الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

3

تحت الرعاية السامية لسيد مدير جامعة أدرار

الملتقى الوطني الثالث

المخطوط العلمي ودوره في خدمة التراث

الثلاثاء - الأربعاء 15 - 16 أفريل 2008

ج.أ.ك.ع.ا.ع.إ/ 2008

تحت الرعاية السامية للسيّد مدير جامعة أدرار

الملتقى الوطني الثالث

البحث العلمي ودوره في خدمة التراث

الثلاثاء - الأربعاء 15 - 16 أفريل 2008

- **مدير الملتقى:**
  د. يحي عز الدين.
- **رئيس اللجنة العلمية:**
  أ. موفق طيب شريف.
- **اللجنة العلمية:**
  أ. جرادي محمد.
  أ. تواتي دحمان.
  أ. أعراب علي.
  أ. سلامي فاطمة.
- **لجنة القراءة والتحكيم:**
  أ.د. اسطنبولي محمد.
  د. دراع طاهر.
  د. حمليل صالح.
  د. مشري طاهر.
  د. لعلى بوكميش.

☎ : 049 . 96 . 02 . 20
049 . 96 . 85 . 32
@ : Fshi 2007 @ naseej . com
✉ : جامعة أدرار . شارع 11 ديسمبر 1960 – أدرار

الافتتاحية

✍: رئيس الجامعة
أ.د. عيسى قرقب

بسم الله الرحمن الرحيم

البرنامج العام للملتقى الوطني الثالث
البحث العلمي ودوره في خدمة التراث المخطوط

- **اليوم الأول** الثلاثاء 15 أفريل 2008

الفترة	التوقيت	رقم الجلسة	موضوع الجلسة	الأستاذ	عنوان المداخلة

الصباحية	09 - 09:30	افتتاح أشغال الملتقى			1. - الافتتاح بآيات قرآنية 2. - الاستماع للنشيد الوطني. 3. - كلمة السيّد رئيس الجامعة. 4. - كلمة السيّد مدير الملتقى- عميد الكلية- 5. - كلمة السيّد رئيس اللجنة العلمية للملتقى.
	استراحـــــــــــــة				
	11:30-10	01	مفهوم التراث المخطوط وأهميته	د. المصري مبروك	رئيساً
				د. يحي عز الدين	القيمة الحضارية للمخطوط
				د. بوهرور حبيب	التوصيف الإجرائي لنظرية التراث في الشعر العلربي المعار – مقاربة لنظرية التراث والمثاقفة-
				سليماني عبد القادر	المخطوط – أهميته ومنهج تحقيقه -
				طوابة نور الدين	جهود العلماء في التعامل مع المخطوط
				حدباوي العلمي	فهرسة المخطوط – مفهومها وبعض مشكلاتها-
	استراحـــــــــــــة				
المسائية	17-15:30	02	منهج البحث في التراث المخطوط	أ. د اسطنبولي محمد	رئيساً
				أ.د لشهب أبوبكر	لبنات لمنهج بحث في تحقيق تراث الأمة الشرعي
				د. جيلالي أحمد	منهج تحقيق المخطوط
				د. لميش صالح	فهرسة المخطوط العربي في بعض البلدان الأوربية
				أ. طاهري بلخير	نحو تفعيل منهجي لتحقيق التراث والتنبيه على بعض أوهام المحققين
				أ. حمدادو بن عمر	منهج المؤرخين في تحقيق التراث – الواقع والرهانات-
	– 17 18:30	03	سبل حماية التراث المخطوط	د. دراع طاهر	رئيساً
				د. يوسي هواري	الرسائل الجامعية ودورها في المحافظة على المخطوطات
				د. حمليل صالح	الحماية القانونية للتراث المخطوط في القانون الجزائري
				د. دباغ محمد	طريقة ضبط النص المخطوط وإخراجه
				أ. سرقمة عاشور	المعالجة الآلية للمخطوط وطرق رقمنته
				أ. حليلو نبيل	استراتيجية المحافظة على التراث المخطوط

• اليوم الثاني

الأربعاء 16 أفريل 2008

الفترة	التوقيت	موضوع الورشة	رئيس الورشة	لجنة الصياغة	الأستاذ	عنوان المداخلة
الصباحية	من 0800 إلـــــى 11:00	واقع التراث المخطوط – نماذج تطبيقية-	د. لعلى بوكميش	أ/ مقلاتي عبد الله / أ. شترة خير الدين/ أ. نعيجة رضا أ/ درارجة عبد الجليل	د. دفرور رابح	شروط اختيار المخطوط للرسائل الجامعية
					د. جعفري محمد	واقع التراث المخطوط في الخزائن التواتية
					دبوب محمد	علماء ومخطوطات ودورهم في الإسهام الثقافي والعلمي بمنطقة توات
					رموم محفوظ	المستشرقون والتراث الإسلامي المخطوط بين منهج الشكوكيين ومنهج الموضوعيين
					موسى حمادي	دور مخطوطات أهالي المسلمين في كتابة تاريخ الجزائر خلال القرن 19
					قصاصي محمد/ محي	مسائل لغوية في مخطوطاتنا التواتية

					الدين رشيد	
					طيب شريف موفق	المنهجية الغربية وتراثنا المخطوط – دراسة نقدية من خلال فكر محمد أركون-
					جرادي محمد	دراسة وصفية لخزائن التراث – خزانة كوسام نموذجا-
					صديق مقدم	دراسة وصفية لخزينتي كوسام وملوكة وواقع المخطوطات فيها
					شابي سعاد	دراسة وصفية لخزانة با عبد الله للمخطوط –أدرار-
					حاج أحمد صديق	المخطوطات التاريخية بالخزائن التواتية وأهميتها في كتابة تاريخ المنطقة
					بن خويا ادريس	خزانة مولاي سليمان بن علي والمخطوطات المتواجدة بها – دراسة وصفية-
	15 - 12	استراحـــــــــــة				
المسائية	16 - 15	قراءة التوصيـات واختتام أشغال الملتـقى				
	18 - 16	جولة لبعض الآثار والمناطق السياحية لولاية أدرار.				
	18:00	توديـــــع المشاركين				

المحور الأول

مفهوم التراث المخطوط وأهميته

• الأستاذ: د. طوابة نور الدين
• المحور: مفهوم التراث المخطوط وأهميته
• عنوان المداخلة: جهود العلماء في التعامل مع المخطوط وفهرسته " وصف لنماذج "
• الجامعة: جامعة أدرار – قسم الشريعة

تمـهيد :

لا يختلف اثنان أن التراث المخطوط يعد من أهم المصادر في الدراسات الإنسانية عموما والشرعية على وجه الخصوص، مما جعله يحظى بالاهتمام الكامل حفظا وتحقيقا في جميع دول العالم، بل أضحى من المهام التي تقوم بها الجامعات؛ حيث صارت تشجع طلابها والباحثين من أبنائها للعمل في التراث وتحقيق المخطوطات، وترحب أن تكون رسائلهم العلمية في الماجستير والدكتوراه كتبا مخطوطة من كتب التراث.

وبهذا صارت العديد من الجامعات على اختلاف مناهجها وتوجهاتها ترى أن إبراز مخطوطة إلى الوجود لا يقل أهمية عن كتابة بحث جديد، ولكن قبل الحديث عن أهمية المخطوط في التراث لابد أن أتعرض لهذه العناوين وهي عناصر المداخلة:

1- تعريف التحقيق:

عرف فن تحقيق النص المخطوط بأنه قراءة النص على الوجه الذي أراده عليه المؤلف، أو على وجه يقرب من أصله الذي كتبه به المؤلف، وذلك ببذلنا الجهد الكبير في محاولة العثور على دليل يؤيد القراءة التي اخترناها. لذلك فإن التحقيق هو إثبات القضية بدليل.

وأصل التحقيق في اللغة من حقق الأمر إذا ثبت صحيحا، فالتحقيق إثبات الشيء وإحكامه وتصحيحه، تقول حققت الأمر وأحققته إذا أثبته وكنت على يقين منه، والمراد بالنصوص: أقوال المؤلف الأصلية لتمييزها عما يكتبه المحقق في الهامش من شروح وتعليقات.[1]

وقيل فيه أيضا: بذل غاية الوسع والجهد لإخراج النص التراثي، مطابقا لحقيقة أصله نسبة، ومتنا مع حل مشكلاته، وكشف مبهماته[2].

وعلى هذا الأساس فالنص المحقق كما يقول عبد السلام هارون : " هو الذي صح عنوان واسم مؤلفه، ونسبة الكتاب إليه، وكان متنه أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه" [3].

إذن ففن تحقيق المخطوطات يعنى في الأساس بإظهار الكتب المخطوطة، مطبوعة، مضبوطة خالية نصوصها من التصحيف والتحريف مخدومة في حلة قشيبة، تيسر سبل الانتفاع بها كما أرادها المؤلف، أو أقرب ما تكون إلى ذلك.

2- أهمية تحقيق التراث المخطوط:

يظن بعض الباحثين المحدثين من العرب، أن فن تحقيق النصوص فن حديث ابتدعه المعاصرون من المحققين العرب، أو استقوه من المستشرقين الذين سبقونا في تحقيق جزء من تراثنا ونشروه بين الناس، لكن الحقيقة خلاف ذلك فقد قام فن تحقيق النصوص عند العرب مع فجر التاريخ الإسلامي . يقول عبد السلام هارون رحمه الله : " أن تحقيق النصوص

---

[1] - إياد خالد الطباع: منهج تحقيق المخطوطات ، دار الفكر ط 1، دمشق سنة 2003م ص 19 ، نقلا عن تحقيق التراث في القديم والحديث، الصادق عبد الرحمن الغرياني محمد الفاتح للجامعات ص7 .

[2]- فريد الأنصاري : أبجديات البحث في العلوم الشرعية ، دار الكلمة للنشر والتوزيع المنصورة مصر ط 1، 2002 ص 81 .

[3] - المصدر السابق : نفس الصفحة نقلا عن عبد السلام هارون : تحقيق النصوص ونشرها، مؤسسة الحلبي وشركائه ، القاهرة مطبعة المدني ط 2، 1965 ص 39 .

ليس فنا غريبا مستحدثا، وإنما هو عربي أصيل قديم، وضعت أصوله أسلافنا العرب منذ زاولوا العلم، وروايته، من الحديث، والشعر، والأدب، وسائر فنون الثقافة، وكان نشاطهم في ذلك ظاهرا ملء السمع والبصر. وقد أدى إلينا المستشرقون هذه الأمانة، نقلا عن العرب" [4].

ولقد كان لعلماء الحديث اليد الطولى في إرساء قواعد هذا الفن وتأثر بمنهجهم هذا أصحاب العلوم المختلفة في فن تحقيق النصوص ونشرها، بدأ من جمع المخطوطات والمقابلة بينها، ثم ضبط عباراتها وتخريج نصوصها وانتهاء بفهرسة محتوياتها.

وما ظهر في المجالات العلمية الأخرى؛ كالتاريخ، والأدب، واللغة، وغيرها، إنما كان متأثرا بمنهج أصحاب الحديث في أساسه الأول.

أما من حيث بيان أهمية التحقيق فلا يكاد يختلف على ذلك اثنان، وذلك لما له من دور في الإقلاع الحضاري، وذلك برسم شخصية الأمة وهويتها، رغم ما يبديه بعض المثقفين والمفكرين من أبناء أمتنا من امتعاض عندما يذكر التراث ومن إزراء وازدراء للتحقيق وللقائمين به، بدعوى أنه لا يقوم به إلا ضعاف الطلبة ومن قصرت هممهم من الباحثين والدارسين في مجال تحقيق التراث ونشره.[5]

3- أهم المؤلفات والدراسات الحديثة في تحقيق المخطوط:

دأب العلماء والمختصون في تحقيق التراث على وضع الكثير من البحوث والدراسات التي تنم عن مدى اهتمام العرب والمسلمين والجهود الكبيرة التي بذلوها ويبذلونها في هذا المجال الحيوي، ومن هذه الدراسات الهامة أذكر ما يلي:

1 - تحقيق النصوص ونشرها: عبد السلام هارون طبع سنة 1965م.

2 - قواعد تحقيق النصوص: د/ صلاح الدين المنجد دراسة نشرت سنة 1955.

3 - في أصول البحث العلمي وتحقيق النصوص: د/ رمضان عبد التواب مقال بمجلة المورد سنة 1972م.

4 - منهج تحقيق النصوص ونشرها: د/ نوري حموي القيسي، د/ سامي مكي العاني، بغداد سنة 1975م.

5 - تحقيق التراث: أساليبه وأهدافه، د/ رمضان عبد التواب، مقال نشرها عام 1974م.

6 - تحقيق التراث العربي، منهجه وتطوره: د/ عبد المجيد دياب القاهرة سنة 1993م.

7 - مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي: د/ محمود الطناحي، القاهرة سنة 1984م.

8 - خواطر من تجاربي في تحقيق التراث: د/ رمضان عبد التواب مقالة بمجلة مركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة 1983م.

9 - تحقيق التراث: د/ عبد الهادي الفضلي، جدة سنة 1983م.

10 - منهج تحقيق المخطوطات: إعداد مؤسسة آل البيت لإحياء التراث قم 1988م.

11 - تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث: الصادق عبد الرحمن الغرياني، مجمع الفاتح للجامعات 1989م.

12 - تحقيق النصوص بين المنهج والاجتهاد: د/ حسام سعيد النعيمي بغداد سنة 1990م.

13 - تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل: د/ عبد الرحيم عسيلان سنة 1415ه.

14 - قواعد تحقيق المخطوطات: إياد خالد الطباع ، محاضرات ألقيت بدبي سنة 1997م.

15 - منهج تحقيق المخطوطات: إياد خالد الطباع، دمشق سنة 2003م.

16 - قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها: ريجيس بلاشير، وجان سوفاجيه طبع سنة 1945م، طبع بترجمة محمود المقداد سورية 1988م.

17 - محاضرات في تحقيق النصوص: د/ أحمد محمد الخراط، المدينة المنورة، المنارة للطباعة والنشر سنة 1983م.

18 - مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين: د/ رمضان عبد التواب، القاهرة 1985م.

19 - محاضرات في تحقيق المخطوطات: د/ محمد رضوان الداية،ألقيت في الدورة التدريبية التي انعقدت بدمشق سنة 1987م.

20 - أمالي مصطفى جواد في فن تحقيق النصوص: نشرها تلميذه عبد الوهاب محمد علي في مجلة المورد سنة 1977م.

21 - أسس تحقيق التراث العربي ومناهجه: نص التقرير الذي وضعته لجنة مختصة في بغداد سنة 1980م، تونس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سنة 1987م.

22 - ضبط النص والتعليق عليه: د/ بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة سنة 1982.

23 - في منهج تحقيق المخطوط: مطاع الطرابيشي، دمشق سنة 1983م.

24 - المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات: د/ محمد التونجي، عالم الكتب، بيروت سنة 1995م.

25 - صلاح الدين المنجد : قواعد فهرسة المخطوطات العربية، دار الكتاب الجديد بيروت 1976 م.

26 ، عبد الستار الحلوجي : المخطوط العربي، مكتبة مصباح ، جدة المملكة العربية السعودية 1989 م.

27 - عابد سليمان المشوخي : فهرسة المخطوطات العربية: مكتبة المنار، الزرقاء الأردن 1989 م.

28 - أيمن فؤاد سيد: الكتاب العربي المخطوط: وعلم المخطوطات، الدار المصرية اللبنانية القاهرة 1997 م.

29 - الفهرس الوصفي لبعض نوادر المخطوطات بالمكتبة المركزية بجامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، نشر عام 1413 ه .

30 - شعبان عبد العزيز خليفة، محمد عوض العايدي: الفهرسة الوصفية للمكتبات، المطبوعات والمخطوطات، دار المريخ الرياض 1982م.

31 - مهدي فضل الله: أصول كتابة البحث وقواعد التحقيق، دار الطليعة بيروت.

32 - قواعد فهرسة المخطوطات العربية: دار الكتاب الجديد بيروت 1976م.

4- تعريف المخطوط وأركانه:

تعرف المخطوطات بأنها الكتب التي لم يتم طبعها بعد ولا تزال بخط المؤلف أو غيره ، أو أخذت عنها صور فوتوغرافية لتودع كل صورة منها في إحدى المكتبات العامة التي تحرص على اقتناء المخطوط، ومعظم هذه المخطوطات

---

[4] - نفس المصدر : ص 81 نقلا عن عبد السلام هارون تحقيق النصوص ص 77 .

[5] - المصدر السابق: ص 139 .

نادر الوجود وقد يفقد الكثير منها أو تضيع بعض أجزائه الهامة لسوء الحالة الاقتصادية في عصر من العصور أو انتشار المجاعات والأوبئة في العصر الذي وضعت فيه تلك المؤلفات. وقد أصبح استخدام المخطوطات في البحوث العلمية شائعا وبخاصة أن كثيرا من الكتب الهامة لم ينشر بعد، لذا وكما يقول بعض الباحثين فإن البحث لا يكون عميقا دون استخدام المخطوطات [6]، فهي المعول عليها في كثير من البحوث العلمية والمتعلقة خاصة بمجال إحياء التراث.

أركان المخطوط:

بعد تعريف المخطوط لابد من معرفة أركانه الأساسية كما حددها العلماء القدامى تتمثل في: الكاغد (الورق) والمداد (الحبر) والقلم (الخط) والتجليد (التسفير) .

وكما يذكر الباحثون أن أغلب المؤلفات التي وصلت إلينا عن صناعة الكتاب العربي المخطوط كتبت كلها في بلاد المغرب والأندلس، وعلى الرغم من أن حرفة الوراقة كان لها دور بارز في الحضارة الإسلامية منذ العصر العباسي إلا أنه لم يعرف أي مؤلف يتحدث عن صناعة الكتاب المخطوط في تلك الأصقاع [7].

ويعتبر كتاب " عمدة الكتاب وعدة ذوي الألباب " الذي ألف على الأرجح للأمير الصنهاجي تميم بن المعز بن باديس، أشمل ما وضع في صناعة الكتاب المخطوط حيث تحدث مؤلفه المجهول عن كيفية اختيار الأقلام الجيدة وكيفية بريها على أجناس الخطوط، وصفة الدواة واختيار آلاتها، وعمل أجناس المداد والأحبار الملونة، وعمل الليق، وتلوين الأصباغ وخلطها، والكتابة بالذهب والفضة وعمل ما تمحى به الكتابة، وإلصاق الذهب والفضة، وعمل الكاغد وسقيه وتعتيقه، والجلد والتجليد وجميع آلاته.

وهناك كتب عن صناعة الأحبار والألوان وأساليب التزويق والتجليد ولعل أهمها كتاب "الأزهار في عمل الأحبار" لمؤلفه المغربي محمد بن ميمون بن عمران المراكشي الحميري ألفه أثناء إقامته ببغداد في المدرسة المستنصرية سنة 649ه /1251م، وفي فن التجليد نجد أقدم كتاب هو "التيسير في صناعة التسفير" للفقيه بكر بن إبراهيم الإشبيلي ت 628ه/1231م، وأرجوزة " تدبير السفير في صناعة التسفير" لابن أبي حميدة الذي عاش في القرن التاسع الهجري (15 م) [8].

5- جهود العلماء في العناية بالمخطوط:

يرجح كثير من الباحثين أن سبب ظهور فن تحقيق المخطوط عند علماء العرب إلى شيوع الوجادة في القرن الرابع الهجري، وذلك بسبب أن القدامى قد فطنوا إلى كثير من المسائل التي يعالجها الآن المحدثون في تحقيق النصوص، والتي تعتبر بمثابة جهود حثيثة في هذا المجال ومن هذه المسائل في باب العناية بالمخطوط ما يلي:

1 - المقابلة بين النسخ:

إذا كان المحدثون يطلبون من المحقق أن يجمع مخطوطات الكتاب الواحد والمقابلة بينها للخروج منها جميعا بنص مستقيم فقد كان العلماء القدامى يفعلون ذلك أيضا، يقول العَلموي عن طالب العلم: " عليه مقابلة كتابه بأصل صحيح موثوقا به " فالمقابلة متعينة للكتاب الذي يرام النفع به.

وقال الإمام الشافعي ويحيى بن أبي كثير: " من كتب ولم يعارض " أي يقابل " كمن دخل الخلاء ولم يستنج " [9].

وقد كان هذا العمل من الأساليب التي اتبعها العلماء القدماء للتوصل إلى المتن الصحيح كما ذكر ابن أبي أصيبعة في ترجمة مهذب الدين عبد الرحيم بن علي، المعروف بالدخوار: " وكان لا يقرئ أحدا إلا وبيده نسخة من ذلك الكتاب الذي يقرأه ذلك التلميذ ينظر فيه ويقابل به، فإن كان في نسخة الذي يقرأ غلط أمر بإصلاحه، وكانت نسخ الشيخ مهذب الدين التي تقرأ عليه في غاية الصحة وكان أكثرها بخطه " [10].

2 - إصلاح الخطأ:

إذا كان المحدثون من المحققين ينصون على ضرورة احترام النص وعدم الإقدام على تصحيح ما فيه من أخطاء إلا إذا ظهر وجه الصواب فيه، فإن منهج القدماء لا يخرج كثيرا عن ما نادى به المحدثون. يقول القاضي عياض:" الذي استمر عليه عمل أكثر الأشياخ نقل الرواية كما وصلت إليهم وسمعوها، ولا يغيرونها في كتبهم" [11]

3 - علاج السقط:

الذي درج عليه كاتب المخطوط قديما، أنه إذا سقط منه شيء من النص سهوا ثم أراد أن يستدركه فإنه لا يقحمه بين السطور حتى لا يشوه جمال الصفحة، وإنما يصنعه على حاشية الصفحة ويشير إلى مكانه من النص بما يسمى علامة الإحالة، وهي عبارة عن خط رأسي مائل نحو اليمين إذا كان الاستدراك جهة اليمين والعكس إذا كان الاستدراك جهة اليسار.

وكان القدماء يفرقون بين الحواشي التي هي من صلب النص وسقطت من الناسخ سهوا، وتلك الحواشي التي يفسر بها الكاتب كلمة أو غيرها [12].

4 - علاج الزيادة:

جرت عادة القدماء أنه إذا وقع في الكتاب زيادة أو كتب شيء على غير وجهه اختاروا ثلاثة أمور:

1- الكشط وهو سلخ الورق بسكين ونحوها.
2- المحو، وهو الإزالة بغير سلخ إن أمكن.
3- الضرب عليه، وهو أجود عندهم من الكشط لاسيما في كتب الحديث.

5 - علاج التشابه بين بعض الحروف:

إن اللغة العربية تتشابه فيها حروف كثيرة : كالياء والباء والتاء والثاء والدال والذال، ويفرق بينها بالنقط المفردة والمثناة والمثلثة فوق الحرف وتحته.

لذلك اهتم علماؤنا القدامى في كتبهم بالنقط والشكل حتى لا يؤدي إلى اختلاف القراءة، ووقوع التصحيف والتحريف لذلك جرت عادتهم أن يضبطوا الكلمة بالحروف كقولهم: بالحاء المهملة والدال المهملة والتاء المثناة من فوق والثاء المثلثة ونحو ذلك.

---

[6] - عبد الرحمن عميرة : أضواء على البحث والمصادر، دار الجيل بيروت ط4 ، 1984 ص61 .
[7] - أيمن فؤاد سيد : الوصف المادي للمخطوطات ص 58 .
[8] - المصدر السابق : نفس الصفحة
[9] - تحقيق التراث مصدر سابق نقلا عن الإلماع : القاضي عياض اليحصبي ص 31 .
[10] - أيمن فؤاد سيد : السماع والقراءة والمناولة وقيود المقابلة والمعارضة ص 98، 101 نقلا عن عيون الأنباء في طبقات الأطباء 2 / 243 .
[11] - تحقيق التراث ، رمضان عبد التواب مصدر سابق ص41 نقلا عن الإلماع : القاضي عياض ص 185، 186.
[12] - المصدر السابق : ص 39.

وأن يضعوا في باطن الكاف الأخيرة كافا صغيرة أو همزة وفي باطن اللام الأخيرة كلمة: لام إلى غير ذلك.
بل لقد بالغ بعض القدماء فابتكروا علامات معينة تدل على إهمال نقط الحرف، حتى لا يظن أن الناسخ قد غفل عن نقطه فأمر بجعل تحت الحاء حاء صغيرة، وتحت العين عينا صغيرة ...[13].

6 ـ صنع الحواشي:
يقصد بها الفراغ الموجود على ورقة المخطوط وهو شيء يختلف عن الهامش، حيث كان المؤلفون يكتبون ما يعن لهم من تنبيه أو فائدة أو تعليق أو حاشية فكانت الحواشي مجالا لرصد هذه التعليقات.

7 ـ علامات الترقيم والرموز والاختصارات:
لم تكن علامات الترقيم الموجودة اليوم معروفة عند القدماء غير أنهم عرفوا ما يقابل النقطة، فكانوا يرسمونها على شكل دائرة صغيرة، كما كانوا يعبرون عن نهاية الاقتباس بقولهم: هذا كلام فلان، هذا ما قاله فلان، إلى هنا قول فلان، وكانوا يختصرون الكلمة الأخيرة بالألف والهاء (أ-هـ) [14].

6- شروط تحقيق المخطوط:
هناك جملة من الشروط لابد من تحققها حتى يكون هذا المخطوط أو ذاك صالحا للتحقيق أهمها ما يلي:
1 ـ ألا يكون قد حقق تحقيقا علميا من قبل [15]، أو يكون قد نشر من قبل [16]، فلابد للباحث أن يبذل قصارى جهده وكل ما في وسعه لمعرفة ما نشر من نسخ هذا المخطوط أو ذاك إن كان نشر، وهل حقق كله أو جله أو جزء منه فقط، فلابد من متابعة أخبار هذا المخطوط من خلال المنشورات المختصة في هذا المجال.
2 ـ أن تكون للمخطوط قيمة علمية معتبرة، وذلك لأن الهدف من إحياء التراث هو بناء قاعدة صلبة عليه، لذلك لابد من التنقيب والبحث عن كل ما هو مفيد، وإن كانت هذه الفائدة نسبية وتختلف من باحث لآخر ، ولكن لابد من الإشارة لبعض الضوابط التي يجب التقيد بها عند اختيار المخطوط المراد تحقيقه وهي:
1 ـ ألا يحقق الباحث كتابا شارحا للمخطوط، والأصل المشروح ما زال لم يحقق بعد.
2 ـ ألا ينشغل الباحث بالبحث عن المخطوطات التي لم يعرف مصنفوها، أو
مخطوطات لا توجد لها نسخا، إلا إذا كانت نادرة وفيها إضافات علمية معتبرة، كما يؤكد على ذلك الباحثون.[17]
3 ـ أن يحقق الباحث التراث العلمي الرصين، ولا يهتم بالكتب التعليمية ويترك المصنفات الأصيلة [18]، بل عليه معالجة الموضوعات الحية والحيوية النافعة ، التي يمكن نشرها دون عناء، وإلا فلا داعي لإضاعة الجهد على تحقيق مخطوط قليل الفائدة أولا ويصعب نشره بعد إنجازه ثانيا.[19]

7 ـ جهود العلماء في الفهرسة:
1 ـ معنى الفهرسة:
الفهرس والفهرسة كلمة فارسية تدل على جملة العدد لمطلق الكتب ثم عربتها العرب وجمعتها على فهارس، فقالت : فهرس فلان الكتاب فهو مفهرس والكتاب مفهرس والعمل فهرسة .
وفهرسة المخطوطات ميدان رحب واسع وطريق شاق، والذي يسلكه لابد له أن يروض نفسه على الصبر والمجاهدة[20].
والفهرسة كعمل ميداني تعني وصف الكيان المادي للعمل المفهرس، وهذا الكيان المادي يختلف في المخطوط عن المطبوع .[21]

2 ـ عمل المفهرس:
وفهرسة الكتاب العربي المخطوط تتطلب العناية بالنقاط التالية:
1 ـ صفحة العنوان في المخطوط.
2 ـ المقدمة أو الاستهلال.
3 ـ الخاتمة. 4 ـ الفصول والعناوين الفرعية.
5 ـ علامات الترقيم. 6 ـ الهوامش 7 ـ مسطرة المخطوط (عدد السطور)
8 ـ الاختصارات 9 ـ التصحيحات والتصويبات.
10 ـ ترتيب أوراق المخطوط. 11 ـ التمليكات والإجازات والسماعات.
12 ـ حجم المخطوط 13 ـ زخرفة المخطوط وتحليته.
14 ـ الصور والرسوم 15 ـ تجليد المخطوط .[22]

3 ـ مواصفات المفهرس:
ومما تجدر الإشارة إليه أنه لابد أن تتوفر جملة من المواصفات حتى يؤدي المفهرس عمله على أحسن وجه، وإذا أريد للمخطوط أن يفهرس فهرسة علمية جادة .
1 ـ الثقافة الواسعة مع إدراك واسع لتاريخ الكتابة والوراقة والوراقين، وبداية التدوين.
2 ـ الاهتمام باللغة العالية التي تكتب بها المخطوطات وخاصة العناوين، حتى لا يقع التصحيف والتحريف بها.
ومن أمثلة ذلك: كتاب نحو القلوب: للقشيري، يصحفه بعضهم إلى نجو القلوب، لأنه توهمه من المناجاة.
وكتاب معجم السفر للحافظ السلفي ذكر في بعض الفهارس معجم الشعر، وكتاب الشاء يتصحف إلى النساء، وكتاب الخيل يتصحف إلى الخليل .[23]
3 ـ الإلمام بمصطلحات العلوم والفنون ومعرفة العلاقة الدقيقة بين الكتب والمؤلفين، وهذا ضروري للمفهرس، وتظهر ثمرة هذه المعرفة في فهرسة الكتب المنزوعة الأغلفة أو التي فقد جزء منها فمثلا كتاب إصلاح المنطق لابن السكيت يضعه بعضهم في علم المنطق بينما هو في صميم اللغة.
والمعجم الكبير للطبراني وهو من كتب السنة ومصادرها الأصلية وضع في كشاف مجلة عالم الكتب في علم اللغة لوجود كلمة معجم في عنوانه [24].

---

[13]- المصدر السابق نقلا عن القاضي عياض : الإلماع ص 135 .
[14] - تحقيق التراث : ص 41
[15]- فريد الأنصاري : أبجديات البحث مصدر سابق ص83 نقلا عن تحقيق التراث : عبد الهادي الفضلي مكتبة القلم جدة ط 1، 1983 ص41 .
[16] - إياد الطباع : منهج تحقيق المخطوطات، مصدر سابق ص23 .
[17] - المصدر السابق : ص24.
[18] - فريد الأنصاري : أبجديات البحث مصدر سابق ص 84 .
[19] - مهدي فضل الله :أصول كتابة البحث العلمي وقواعد التحقيق ، دار الطليعة بيروت. ص 141.
[20] - أيمن فؤاد سيد : مقال ثقافة المفهرس، من كتاب فن فهرسة المخطوطات ص 189، 192
[21] - شعبان عبد العزيز خليفة ، محمد عوض العايدي، الفهرسة الوصفية للمكتبات المطبوعات والمخطوطات، دار المريخ الرياض ط2 ص 316 .
[22] - انظر شعبان عبد العزيز خليفة، محمد عوض العايدي، الفهرسة الوصفية للمكتبات مصدر سابق ص 306 .
[23] - أيمن فؤاد سيد : ثقافة المفهرس مصدر سابق ص 193 .
[24] - المصدر السابق ص : 197 .

4 ـ معرفة واقع المخطوط من حيث وجوده وعدم وجوده ،وكثرة نسخه في المكتبات وقلتها، فهناك كتب سعيدة الحظ نجد نسخا كثيرة منها في خزائن المخطوطات، وكتب سيئة الحظ نسخها قليلة جدا.

5 ـ أن يكون على وعي بما يكتب عن شؤون المخطوطات، وخاصة ما يتعلق بنفي نسبة الكتب إلى من نسبت إليهم.

6 ـ متابعة ما ينشر من الكتب المحققة وقراءة مقدماتها لما فيها من فوائد جليلة، مع قراءة كل ما يهم شؤون المخطوطات مثل مجلة المورد العراقية ، ومجلات المجامع اللغوية.[25]

4 ـ نماذج وصفية عن بعض ما ألف في فهرسة المخطوطات:

من أهم ما ألف في فهرسة المخطوطات ما يلي:

1 ـ مختارات من المخطوطات العربية النادرة في مكتبات تركيا، لرمضان ششن طبع باسطنبول سنة 1997م.

يقع الكتاب في 1147 صفحة، ذكر فيه المؤلف 1609 عالم ومؤلف.

والكتاب مرتب على قسمين:

1 ـ الكتب المعلومة مؤلفها: وهي مرتبة على المؤلفين الذين رتبهم المؤلف على أسمائهم المشهورة أو على ألقابهم أو على كناهم أو على نسبهم وأسماءهم، وإذا كان للمؤلف أكثر من كتاب، رتبه على حروف الهجاء.

2 ـ الكتب المجهولة مؤلفها: رتبها المؤلف على حروف الهجاء، وزاد في آخر الكتاب فهارس لأسماء المؤلفين ولأسماء الكتب ولأسماء الناسخين، ولأسماء الرواة والمتملكين والمجيزين، ولأسماء البلاد والمؤسسات ولموضوعات العلوم، حتى وصل بذلك عدد الفهارس إلى ستة،أما المؤلفون فهم مرتبون على حروف الهجاء.

أولا : يأتي الرقم المسلسل للمؤلف ثم اسمه المشهور أو كنيته أو لقبه ثم اسمه الكامل، وإذا لم يكن له شهرة ذكر باسمه أو بنسبته، ثم يأتي بتاريخ وفاته بالتقويم الهجري، ثم يأتي على ذكر المراجع بين قوسين، والتي اكتفى في أغلبها بالإشارة إلى موضوعها في كتاب بروكلمان وسزكين من المستشرقين.

وإذا لم يجدها هناك ذكر موضعها في كتاب الزركلي أو كتاب كحالة، وإذا لم يجد انتقل إلى مراجع أخرى.

وقد راعى المؤلف في كل كتاب ورد ذكره الأمور التالية:

1 ـ اسم الكتاب : إذا سماه المؤلف وإذا لم يسمه،يقول كتاب في كذا ، رسالة كذا، ثم يشير إلى موضعه في كشف الظنون أو في ذيله لإسماعيل باشا البغدادي، ويشير إلى أبوابه وأقسامه إن كانت غير معروفة.

2 ـ أول الكتاب: وذلك من خلال بداية نص المؤلف جملة أو جملتين إذا كان الكتاب معروفا أو إذا كان نادرا لخص المقدمة في عدة أسطر.

3 ـ نسخة الكتاب أو نسخه : ويذكرها مرتبة على تاريخ الكتابة وفي كل نسخة كان يراعي المواد الآتية:

1 ـ اسم المجموعة في المكتبة.

2 ـ الرقم المسلسل للنسخة داخل المجموعة، كما يشير إلى رقم ترتيبها في المجموع إذا كانت النسخة في مجموع الرسائل.

3 ـ عدد أوراقها وتاريخ كتابتها هجريا، وإذا كانت النسخة قطعة أو جزءا من كتاب أشار إلى ذلك، وذكر بدايتها ونهايتها.

كما نقل المؤلف قيود الكتابة كما هي في النسخة لأنها لها أهمية كبيرة من جهة التاريخ السياسي والثقافي.

كما دون أيضا ما يوجد في أول الكتاب وآخره من قيود تملك وسماع وقراءة ورواية وقيود تصحيح ومقابلة مما يساعد على استنباط معلومات عن تاريخ الكتاب أو النسخة.

وفي نهاية الكتاب ألحق المؤلف جملة من الفهارس العامة والمهمة؛ عن أسماء المؤلفين، عن أسماء الكتب، أسماء النساخين، أسماء الرواة والسماع والمتملكين، والمجيزين، وأسماء الأماكن والمؤسسات ، وفهرس لموضوعات العلوم ، وكل هذه الفهارس جاءت مرتبة ترتيبا ألفبائيا.

2 ـ فهرس مخطوطات شنقيط ووادان: مؤلف أحمد ولد محمد يحيى، طبع بمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي بلندن سنة 1997م.

ذكر المؤلف في كتابه هذا 1106 مخطوط، وعلى سبيل المثال عن أسلوبه في الفهرسة سأذكر أول وآخر ما جاء في كتابه.

الأول: مصحف شريف، الناسخ : عبد الله بن عبد، تاريخ النسخ 6 ذو القعدة 1237ه، 01/ 1822م.

عدد الأوراق : 500 مقياس 11× 10س ، مقياس النص:6،5×5،5 عدد الأسطر 12.

الحالة الوصفية : نسخة ناقصة الأول والوسط قليلا، ضعيفة الأوراق مخرومة، ملاحظات: مصحف خاص بصاحب المكتبةسيد محمد حبت.

آخر المخطوط:سلم المرونق في علم المنطق.

المؤلف : سعيد بن إبراهيم قدورة الجزائري، المتوفى سنة 1066/ 1656م.

الناسخ : محمد بن العباس السرغيني، تاريخ النسخ : 1204ه/ 1790م.

الموضوع : منطق. عدد الأوراق 6، مقياس النص: 15× 10س ، عدد الأسطر 30، الخط مغربي.

الحالة الوضعية: نسخة كاملة. ملاحظات : محبوكة مع متون أخرى.

3 ـ فهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتنبكتو.

المؤلف : سيدي عمر بن علي ، نشر مؤسسة الفرقان بلندن سنة 1995م.

يقع الكتاب في خمس مجلدات كبيرة الحجم، ورد فيه ذكر 9000 اسم لمخطوط في مختلف العلوم خاصة العلوم الإسلامية، والفلك، الطب، المنطق والفلسفة، والأدب، وعلوم اللغة والنحو، ورسائل متفرقة.

وقد قسمت المخطوطات حسب موضوعاتها وتحت كل عنوان نجد اسم المؤلف وتاريخ وفاته إذا عرف بالتاريخين الهجري والميلادي، ثم يذكر المصادر التي اعتمدت في الفهرسة.

وخلاصة القول فإن تحقيق التراث وفهرسته وإخراجه للناس ليس بالأمر الهين والسهل كما يظن الكثير ممن لم يمارس هذا الفن ، لأنه يعتبر في حد ذاته قيمة حضارية يبنى عليها الحاضر والمستقبل، ويعتز بها الأحياء قبل أن يصل ثوابها إلى من ألفها من العلماء الأموات.

والله الموفق والهادي إلى الحق والصواب.

---

[25] ـ لتفصيل هذه المواصفات انظر : ثقافة المفهرس مصدر سابق ص 199، 204، 214.

• الأستاذ: حدباوي العلمي
• المحور: مفهوم التراث المخطوط وأهميته
• عنوان المداخلة: فهرسة المخطوط
-مفهومها وبعض مشكلاتها-
• الجامعة: جامعة أدرار – قسم اللغة العربية-

الدول العربية وغير العربية ضرورة ملحة لأهميتها في توفير جو طبيعي للمخطوط، وجو علمي للباحثين، يساعد على تحريك قاطرة المؤسسة الجامعية، وتشجيع الباحثين الفرادى، وهي عموما لها أثر إيجابي مزدوج، أثر يمس مالكي المخطوطات والقائمين على الخزانات العلمية والمشرفين على زوايا تحفيظ القرآن الكريم، وأثر ثان يمس أهل التحقيق والدارسين والمخابر العلمية والجامعات.

الأثر الأول يتمثل في المساهمة في الحفاظ على المخطوط وراحة ومالكه، ذلك أن فهرسة المخطوط تُعرّف الباحثين على الموجود منه، وتقدم معلومات أولية عنه، فتختصر على الباحث طريق تقليب الكتب المخطوطة لمعرفة عنوانها، واسم مؤلفها وغير ذلك.

وإذا كان مخطوط ما معرَّض لأن يقلّبه مُحتاجه وغير محتاجه في اليوم -مثلا- أكثر من مرة، فإنه مع الوقت سيزداد قِدما وامّحاءً.

وأما الأثر الثاني فيتمثل في المساهمة في راحة الباحث، ففهرسة المخطوط تجعله يتعرف على مقتنيات خزانة ما،وهو جالس مطمئن، وفي غياب الفهرسة على الباحث أن يبقى الساعات والأيام أحيانا لمعرفة الموجود، هذا في حال بحثه داخل الولاية التي هو موجود فيها، فإذا احتاج إلى معرفة المخطوطات في ولايات بعيدة وقرى نائية فإن وجود فهرسة يوفر عليه السفر والانتقال، فالباحث من الجزائر العاصمة مثلا لا يمكنه أن يعرف ماهو موجود في أدرار المدينة فضلا عن قصورها المترامية هنا وهناك، إلا إذا قطع قرابة الألف كيلومتر ونصف الألف، ليحاول معرفة العناوين المتوفرة، فإذا أراد أن يعرف المخطوطات في القصور التابعة لأدرار عليه أن يقطع مئات الكيلومترات، هذا مع غياب الطريق المعبدة ووسائل النقل الموصلة إلى بعضها، ونفس هذا الباحث من العاصمة لو ذهب إلى جناح المخطوطات بالمكتبة الوطنية الحامة لاستطاع أن يعرف الكثير عن مقتنيات المغرب ومصر وغيرها.

ومن هذا يظهر الضرر الذي يصيب المخطوط، والعنت الذي يصيب الباحث عن المخطوطات، بسبب غياب فهرسة للموجودات، ويأتي بحثي هذا والمعنون بـ (فهرسة المخطوط: مفهومها وأسسها وبعض مشكلاتها) في إطار الإلمام ببعض المعلومات الأولية لفهم هذا الفن الهام، آملا أن يكون خطوة من الخطوات الدافعة في سبيل عمل ميداني يشترك فيه الباحثون، ومراكز البحث مع القائمين على الكنوز المخطوطة، لفهرستها وتصنيفها، وأبدأ في بحثي هذا بتعريف الفهرسة:

تعريف الفهرسة:

ذكر محمود محمد الطناحي أن ("الفِهْرِسْت" بكسر الفاء وسكون الهاء وكسر الراء وسكون السين، ثم تاء أصلية، تُكتب مبسوطة ومعقودة "فهرست-وفهرسة"، وهي كلمة فارسية تدل عند الفرس على جملة العدد لمطلق الكتب، ثم عربتها العرب، وجمعتها على فهارس، وكل ما عربته العرب بألسنتها فهو من كلام العرب، ثم اشتَقت منها فعلا واسم فاعل واسم مفعول ومصدرا، فقالت: فهرس فلان الكتاب فهو مفهرس، والكتاب مفهرس، والعمل نفسه فهرسة) (1).

وانتقلت الدلالة إلى أربعة معان:

1- الدلالة على الكتاب الذي يضم أسماء الكتب و التقاييد والرسائل المقروءة مثل "الفهرست" لابن النديم، و هذا الذي جاء في "لسان العرب" عن الليث: "الفهرس: الكتاب الذي تجمع فيه الكتب"(2).

2- الدلالة على كتاب يحتوي على أسماء المشايخ المستفاد منهم والمتلقى عنهم وأسماء الكتب المأخوذة منهم سماعا ككتاب (فهرس الفهارس) لعبد الحي الكتاني، وربما سميت الفهرسة برنامجا وغيرها.

3- الدلالة على القائمة في أول الكتاب أو في آخره، تتضمن ذكر أبواب الكتاب وفصوله و مباحثه و أعلامه واستشهاداته، وكل ما يكشف عن كنوزه أو يعين على الإفادة منه.

4- الدلالة على البطاقة المتضمنة لعنوان الكتاب وموضوعه واسم مؤلفه وما إلى ذلك مما يدخل في توصيف الكتاب المخطوط.

والمعنيان الأخيران: القائمة بأبواب الكتاب وأعلامه وغيرها، والبطاقة المتضمنة لعنوان الكتاب وغيرها، هما المظهران المعروفان الآن للفهرسة (3).

والفهرسة -وهي العملية المجسِّدة للمظهرين السابقين- تُعرَّف -اصطلاحا- بأنها عملية وصف فني للمادة المفهرَسة، مما يجعل المعلومات عن هاته المادة في متناول المستفيد بجهد يسير، وفي وقت وجيز (4).

تاريخ الفهرسة:

يذكر أيمن فؤاد سيد أن المتخصصين يعتبرون الفهرس الببليوغرافي الذي وضعه الشاعر اليوناني كاليماخوس **callimacus** في القرن الثالث قبل الميلاد لمكتبة الاسكندرية يعتبرونه أول فهرس منهجي وضع في التاريخ، وذكر هذا الباحث نماذج أخرى قديمة جاءت بعد هذا العمل الرائد (5).

ويعتبر كتاب ابن النديم المسمّى "الفهرست" أول كتاب عربي ببليوغرافي يصل إلينا، وقد سبقت ابن النديم أنواعٌ من الفهارس ذكرها في كتابه هذا، كفهرست كتب جابر بن حيان (6).

وبدأت فهرسة المخطوطات في أوربا على أيدي علماء مشارقة متقنين للغات السامية والشرقية واللغات الهندوأوربية، لاسيما منهم الموارنة اللبنانيين الذين رحلوا في سنة 1575م إلى روما لدراسة اللاهوت، وبعد الدراسة عاد بعضهم إلى لبنان، وبقي بعضهم هناك، كما رحل بعض المشارقة إلى فرنسا، وتزامنت رحلاتهم تلك مع تكوُّن رصيد من المخطوطات العربية في مكتبات أوربا، فعملوا هناك على فهرسته؛ كما اجتهد بطرس دياب الحلبي في فهرسة مخطوطات المكتبة الملكية الفرنسية، وباروت السوري الذي تابع المهمة ثم الأب يوسف العسكري (7).

هذا عن فهرسة المخطوط في العصر الحديث في أوربا، أما فهرسة المخطوطات في العصر الحديث في المشرق العربي فكانت بدايتها مع إنشاء الكتبخانة الخديوية سنة 1870م بمصر، حيث جمعوا المخطوطات من المدارس والمساجد والزوايا، وكانت البداية الفعلية لوضع فهارس تفصيلية للمخطوطات مع الدكتور يوسف العش بالمكتبة الظاهرية بدمشق حيث وضع فهرس التاريخ، وملحقاته بالمكتبة الظاهرية بدمشق سنة 1947م، ثم جاء فؤاد سيد الذي أخرج فهارس تفصيلية لمخطوطات دار الكتب المصرية، ومصورات معهد المخطوطات العربية (8).

ومع الوقت تطور مفهوم الفهرسة وبدأ يتحدد أكثر فأكثر، ويتميز عن فنون وتخصصات قريبة منه، وظهر لي – من خلال ما توفر لي من مراجع- أن أتطرق إلى تخصصين قريبين منه، كثيرا ما يقع التداخل بين الواحد منهما وفن الفهرسة، وأقصد بالتخصصين: علم المخطوطات، والببليوغرافيا.

الفهرسة وعلم المخطوطات:

يشترك المفهرس مع عالم المخطوطات في كثير من الأمور، وتتداخل مهمة كل واحد منهما مع مهمة الآخر، ومع ذلك فرّق بعض الباحثين بينهما، وهذا أحمد شوقي بنبين، يحدد نقاطا للتمييز بينهما نذكر منها:

أ- قضية البحث في مصدر المخطوط، كالقول أنه جاء من هذه الخزانة العلمية، أو من هذا المسجد، أو الزاوية الفلانية، فهذا ليس من مهمة المفهرس، وإنما هي مهمة عالم المخطوطات الذي من اختصاصه أن يدرس تاريخ الخزانات وتاريخ المخطوطات.

ب- والعمل على تأريخ المخطوط غير المؤرَّخ يختلف عند كل واحد منهما فالمفهرس يؤرخه بالتقريب، اعتمادا على الحدس والتخمين، وتلعب التجربة الشخصية دورا مهما في عمله، والخطأ هنا وارد، أما عالم المخطوطات ففضلا عن تجربته الشخصية يستعين بأدوات تقنية وعلمية حديثة في عمله هذا.

ج- ومن الأمور التي تختلف عند كل واحد منهما وصف نوع ورق أو جلد المخطوط، فالمفهرس يكتفي في نعت المادة المكتوب عليها بكلمة: رق أو جلد، أما عالم المخطوطات فيسهب في ذلك.

د- ومنها أيضا قضية تحديد نوع الخط، والتعليق على الخطوط المختلفة في المخطوطة الواحدة، المفهرس يكتفي بالإشارة إلى هذا الاختلاف دون بيان سببه، مكتفيا بقوله إنها نسخت بأقلام مختلفة، أما عالم المخطوطات فيتحقق من الخط، ويبحث في سبب اختلافه، ويتأكد من صاحبه هل كتبها نساخ متعددون، أم ناسخ واحد في حالات نفسية مختلفة، أو في فترات زمنية متباعدة أو غيرها (9).

وقد أشار أحمد شوقي بنبين إلى أن هذه الاختلافات من التكامل، وخلص إلى أن هذا التداخل والتكامل يدعوان إلى عمل مشترك بين المفهرس والباحث في علم المخطوطات (10).

الفهرسة والببليوغرافيا:

رأينا التداخل بين الفهرس وعلم المخطوطات، والآن نحاول معرفة بعض التداخل الحاصل بين الفهرسة والببليوغرافيا من خلال هذه العناصر:

أ- من ذلك أن الفهرسة جزء من الببليوغرافيا، فإذا كانت الببليوغرافيا علمَ إعداد القوائم أو أحد وجوهها - وهو علم يختص بحَصر الكتب ونوعية المعلومات- فإن الفهرسة تُعنى بوصف المواد التي تجمَّع في الببليوغرافيا (11).

ب- ومن ذلك أن الفهرسة تُحصي المقتنيات الموجودة في كتاب ما، أما الببليوغرافيا فتحصي المؤلفات في موضوع معين، أو التي كتبها شخص ما بغض النظر عن وجودها في مكتبة ما أو عدم وجودها، وبذلك يكون مجالها أوسع من الأولى (12).

ج- ومما ينجرّ عن هذا فرق آخر، وهو أن الفهرسة تحدد مكان الكتاب والببليوغرافيا تُخبر بوجود الكتاب فقط (13).

أسس فهرسة المخطوط:

لا توجد أسس واحدة لفهرسة المخطوط عند العرب، بل هناك من يذهب إلى أن مشكلة عدم الاجماع، وعدم الاتفاق على أسس واحدة لا يشمل العرب وحدهم، بل هي في كل اللغات، وليست في عصر دون آخر، بل هي على مدى العصور (14).

وأعرض هنا أسسا تجمع بين ما أورده كل من أيمن فؤاد سيد وعبد الستار الحلوجي لفهرسة المخطوط، مع بعض التصرف القليل، وهذه هي بيانات الفهرسة:

1- الفن (الموضوع)، والرقم.
2- اسم المؤلف وتاريخ وفاته.
3- عنوان المخطوط.
4- مكان النسخ إن وجد.
5- اسم الناسخ:
هل المخطوطة بخط المؤلف، أو منقولة عن نسخة المؤلف، أو بخط أحد العلماء.
6- تاريخ النسخ.
7- بيانات التوريق:
عدد الأوراق، والإيضاحات:"التذهيب، والصور، والرسوم والزخارف، وتحديد حجم المخطوط طولا وعرضا بالسنتمتر، وعدد الأجزاء أو المجلدات".
8- نوع الخط ولون المداد:
يُذكر نوع الخط نسخا أو رقعة أو ثلثا أوغيرها، معجما أو مهملا، مضبوطا بالحركات أي بالشكل أو لا، مكتوبا بمداد عادي أو ملوّن، مع الإشارة إلى الكتابة بأقلام وأحبار مختلفة في حال كان ذلك، وما إذا كان الخط واضحا وبحالة جيدة أو رديئة.
9- المَسطرة:

عدد الأسطر في الصفحة.

10- الوصف المادي للمخطوط:

وصف حالته المادية من تلويث أو ترميم، أو أكل أرضة، أو خروم (أي نقص)، وكذلك وصف التجليد، ونوع المادة المكتوب عليها (بردي، رَق، كاغد)، وذكر ما يحمله من السماعات والإجازات والمقابلات وما شابهها.

11- بداية المخطوط ونهايته:

بداية المخطوط أي أوله بعد الديباجة، حتى تكون البداية مميّزة له عما سواه من مخطوطات، تبدأ كما العادة بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم، وأما نهاية المخطوط فهي آخره قبل ذكر اسم الناسخ وتاريخ النسخ، مع العلم أن اسم الناسخ وتاريخ النسخ سبق ذكرهما مستقلين في البيانات.

12- بيانات المتابعة:

المداخل الأخرى، والبطاقات الإضافية.

13- اسم المفهرس:

لأن ذكر اسم المفهرس يُحدد المسؤولية، ويُشعر المفهرس بالالتزام، ويدفعه للحرص على التدقيق، كما أن هذا يشجعه ويزرع الثقة في نفسه حين يُنسب المجهود إليه.

*- أ- مع الإشارة إلى مصادر التعرف على عنوان الكتاب وتحقيقه كفهرسة ابن النديم، وكشف الظنون لحاجي خليفة وذيوله، ومعاجم التراجم والطبقات المترجمة لمؤلّفه ويُكتفى بالأعلام لخير الدين الزركلي، ومعجم المؤلفين لمحمد رضا كحالة، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان، وتاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين، ودائرة المعارف الاسلامية.

ب- وإذا كان الكتاب قد سبق نشره يُذكر ذلك وأماكن وتاريخ هذا النشر، ويرجع المفهرس في ذلك إلى (معجم المخطوطات المطبوعة) لصلاح الدين المنجد، و(الفهرس الشامل للتراث العربي المطبوع) لمحمد عيسى صالحية (15).

البطاقة أم الكتاب أم فهرس الاتصال المباشر:

إن الفهرس البطاقي card catalog هو أحد أشكال الفهرسة، يُستعمل بوضع مجموع البطاقات في أدراج معدنية أو خشبية مصممة لهذا الغرض وهي تمتاز بالمرونة فهي تسهل للمفهرس الاضافة إليه والحذف منه، ومنه تحقق له مواكبة الجديد باستمرار ولكن ظهرت عيوب لهذا النظام ذكر محمد فتحي عبد الهادي بعضها كصعوبة استخدام أكثر من باحث لهذا النوع من الفهارس في وقت واحد، وشَغله لحيز كبير، وعدم إمكانية توزيعه خارج المكتبة أو مركز المعلومات، فضلا عن تكاليف إعداده وصيانته، ولذلك فضل البعض استخدام الفهارس المطبوعة لا سيما بعد تقدم أساليب الطباعة والنسخ (16).

وتكلم محمد عبد الهادي عن أشكال جديدة للفهرسة، ذكر الفهارس المصغرة، أو الفهارس في شكل مصغر microform catalogs ، وتكلم عما يُسمى (فهرس الاتصال المباشر) online catalog ، وهو الذي يعتمد على استخدام الحاسبات الالكترونية، فتُحمل التسجيلات الببليوغرافية في ذاكرة حاسب آلي، أو على أقراص مضغوطة، وتُعرض على شاشة مرئية للمستفيد (17).

وقد ساهمت الشبكة العنكبوتية "الانترنت" في إتاحة بعض الفهارس إلى أكبر عدد ممكن من المستفيدين، بانفتاح هذه الشبكة على العالم أجمع، وهي تُتيح الفهارس بطريقتين فيما يبدو لي، بطريقة الفهارس المصورة تصويرا ضوئيا، مثلما هو الحال في موقع (مركز ودود للمخطوطات)، وفهارس المخطوطات والمصورات التي يحويها هذا الموقع تصل إلى زهاء المائة.

وهناك طريقة إتاحة البيانات بوسيلة البحث داخل الموقع، عن طريق مدخل المؤلف أو اسم المخطوط أو غيرها من المداخل، ونحصل على المعلومة المرادة بحسب البيان المدرج مسبقا في خانة البحث، وهي أسرع من سابقتها بكثير ولا تأخذ وقتا ولا جهدا، إلا أنها تجربة في بدايتها، ومن الأمثلة المجسدة لهذه الطريقة موقع (الدكتور يوسف زيدان للتراث والمخطوطات)، وبه ثماني فهارس لمكتبات مصرية، والبحث مُتاح فيها -مجموعةً- عبر مدخل العنوان أو المؤلف أو الموضوع أو البداية أو رقم الحفظ.

وأرى أنه لابد من الإسراع في فهرسة المخطوطات، فهذا هو العمل الأساس، ثم يأتي الطبع في كتب، مع توفيرها في مواقع الكترونية، بطريقة البحث في الموقع على شبكة الانترنت، فهي وسائل متكاملة، ولا استغناء بواحدة عن الأخرى.

مشاكل في طريق الفهرسة وبعض حلولها:

1- مداخل المؤلفين:

أ- يصعب على المفهرسين والباحثين المختصين أن يُنشئوا قانونا واحدا لمداخل المؤلفين العرب، ومرد ذلك إلى أن المؤلفين لم يُعرفوا دائما بأسمائهم، هناك من عرف باسمه مثل الحسن البصري، وهناك من عرف بكنيته مثل أبي حنيفة، وهناك من عرف بلقبه كالجاحظ؛ ويذكر أحد الباحثين أن الحل يكمن في إثبات الاسم الحقيقي مكتفين منه بالاسم الثلاثي، مضافا إليه اللقب أوالشهرة، مثل: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين (18).

ب- ومن الصعوبات أن يُنسب الكتاب لغير صاحبه، وقد يجد المفهرس اسم المؤلف مذكورا في المخطوط، ولكن عليه التثبت في حال لم يشتهر الكتاب لهذا المؤلف، أو إذا شك المفهرس لأي سبب من الأسباب، والخبرة تساعد على تفادي مثل هذه الأخطاء.

وكذلك يستعين المفهرس بمتابعة ما يُكتب عن المخطوطات وأخبارها، لاسيما الأخبار والدراسات التي تُعنى بنفي نسبة الكتب إلى من نسبت إليهم، ثم إثبات نسبتها إلى أصحابها الحقيقيين، ومن أمثلة ذلك شرح ديوان المتنبي الذي طبع مرات كثيرة باسم (التبيان في شرح الديوان) منسوبا لأبي البقاء العكبري صاحب كتاب إعراب القرآن، وقد شكك مصطفى جواد في هذه النسبة، ثم ردها بأسباب كثيرة ورجح نسبة الكتاب إلى ابن عدلان الموصلي وكذلك الأمر بالنسبة إلى كتاب (نقد النثر) نُشر منسوبا لقدامة بن جعفر، ثم ظهرت نسخة ثانية باسم (البرهان في وجوه البيان)، وجاء فيها اسم المؤلف وهو أبو الحسين إسحاق بن وهب (19).

2- مشكلة عنوان المخطوط:

أ- من ذلك أن يشتهر المخطوط بعنوان غير عنوانه الأصلي، (فتاريخ ابن خلدون) مثلا اشتهر بهذا الاسم، ولكن عنوانه الأصلي هو (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) (20).

ب- ومنها أن يكون لنُسخ المخطوط أكثر من عنوان، كشرح ديوان المتنبي لأبي العلاء المعري، فإن بعض

النسخ تحمل عنوان (معجز أحمد)، وبعضها يحمل عنوان (اللامع العزيزي)، وهنا لابد من الخبرة بالمخطوطات لمعرفة وجود هذه الاختلافات، ثم لمعرفة العنوان الأصلي ليدخل الكتاب به، ويُحال إليه من العناوين الأخرى غير المستعملة (21).

ج- وأيضا من الصعوبات أن تحمل النسخة الواحدة من المخطوط أكثر من عنوان عنوان على الغلاف، وآخر مختلف في المقدمة، وثالث مختلف عنهما في الخاتمة، وهنا يمكن استبعاد العنوان الذي على الغلاف لاحتمال أن يكون إضافة متأخرة، ويبقى عنوانان: عنوان المقدمة وهو الأساس، وعنوان الخاتمة وهو لا يرقى للأول لاحتمال اختصار الناسخ له، أو لنسيانه إياه، وهكذا يستعمل عنوان المقدمة كعنوان أساسي مع الإحالة على العنوانين الآخرين (22).

د- ومنها ضياع العنوان من المخطوط أو إغفال ذكره لسبب ما، وهذه ظاهرة تُسمى بالمخطوط مجهول المؤلف، فهنا يجتهد المفهرس في التعرف على المؤلف من خلال مقدمة المخطوط أو في نصه، وهذا يتطلب مرانا وخبرة (23).

3- مشكلة تاريخ المخطوط:

تحديد تاريخ المخطوط بالغ الأهمية باعتباره وثيقة تاريخية وحضارية يُساعد على دراسة مجالات الحضارة الاسلامية المختلفة، وهو يُحدَّد بطريقة حاسمة من قَيْد الفراغ من كتابة النَّسْخَة الكولوفون **colophon**، لكن هناك الكثير من المخطوطات لا يوجد بها كولوفون، وأحيانا يوجد ولكن مع نقص في ذكر تاريخ النسخ، أو سنة النسخ، وهنا لابد من أساليب أخرى لتحديد ذلك، مثل النظر في المادة التي كتبت عليها، وإجازات السماع والقراءة، أو قيود التملك، والوقفيات والأختام، وكذلك النظر في أسلوب الكتابة ورسم الخط فأساليب الكتابة تطورت عبر العصور، فهي مختلفة من عصر إلى آخر، والتجربة الطويلة في التعامل مع المخطوط تمكِّن المفهرس من تأريخ المخطوط-تقريبا- من خلال الكتابة ورسم الكلمات (24).

4- مشكلة المجاميع:

أ- المجموع عبارة عن عدة مباحث أو مؤلفات أو رسائل جمع بعضها مع بعض في كتاب واحد، وقد تكون هذه المباحث لمؤلف واحد، وقد تكون لأكثر من واحد، فيمكن أن يحمل المخطوط عنوان المؤلف الأول فقط، وهذا ربما ضلل المفهرس فأثبته على أنه عنوان الكتاب كله، لذلك لابد من التنبه لمحتويات الكتاب؛ وقد ينجر عن هذا مشكلة في التصنيف فمؤلفات المجموع قد ترجع إلى فنون مختلفة (25).

وحلُّ هذا المشكلة أن يعتبر المفهرس كل مؤلف أو رسالة في المجموع مخطوطا مستقلا بذاته، ويُشير عند رقمه إلى أنه في مجموع (26).

5- مشكلة التصنيف في نوع الفن:

من مشاكل الفهرسة أن يوضع الكتاب المخطوط في غير فنه، ومن أمثلة ذلك أن يوضع كتاب (إصلاح المنطق) لابن السكيت في موضوع (علم المنطق)، وإنما هو كتاب في اللغة، لأن المنطق هنا هو النطق، أي الكلام المنطوق؛ وأيضا كتاب (المثلثات) لقطرب وضعه بعضهم في علم الحساب والهندسة، وموضوعه الصحيح هو اللغة، لأنه يتكلم عن الألفاظ التي تُضبط أوائل حروفها بالحركات الثلاث باتفاق المعنى، مثل (الرغوة)، أو باختلافه مثل (الجد)، ويواجَه هذا المشكل بمعرفة اللغة وغريبها، ومطالعة المادة العلمية في المخطوط (27).

المراجع:

[1] - (فن فهرسة المخطوطات: مدخل وقضايا) "بحوث ومناقشات ندوة قضايا المخطوطات 2"، تنسيق وتحرير: د. فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية -القاهرة- 1999م.

[2] - (الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات)، أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية -القاهرة- ط: 1، ربيع آخر 1418هـ، يوليو 1997م، ج 2/ ص: 521.

[3] - لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط: 1، 1426هـ، 2005م.

4- (المخطوطات والتراث العربي)، عبد الستار الحلوجي، الدار المصرية اللبنانية -القاهرة- ط: 1، شوال 1422هـ، يناير 2002م.

[5] - (المعالجة الفنية لأوعية المعلومات)، محمد فتحي عبد الهادي، مكتبة غريب -الفجالة؟- (بدون عدد الطبعة وتاريخها).

الهوامش:

[1] - (ثقافة المفهرس)، محمود محمد الطناحي، (فن فهرسة المخطوطات: مدخل وقضايا) "بحوث ومناقشات ندوة قضايا المخطوطات 2"، تنسيق وتحرير: د. فيصل الحفيان، معهد المخطوطات العربية -القاهرة- 1999م، ص: 189.

[2] - لسان العرب، ابن منظور الإفريقي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط: 1، 1426هـ، 2005م، ج:2، ص: 3091.

[3] - أنظر: (ثقافة المفهرس)، محمود محمد الطناحي، ص: 189، 190.

[4] - أنظر (المعالجة الفنية لأوعية المعلومات)، محمد فتحي عبد الهادي، مكتبة غريب -الفجالة؟- (بدون عدد الطبعة وتاريخها)، ص: 17.

[5] - (الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات)، أيمن فؤاد سيد، الدار المصرية اللبنانية -القاهرة- ط: 1، ربيع آخر 1418هـ، يوليو 1997م، ج 2/ ص: 521.

[6] - (الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات)، 2/ 522، 523، وانظر كذلك: (المخطوطات والتراث العربي)، عبد الستار الحلوجي، الدار المصرية اللبنانية -القاهرة- ط: 1، شوال 1422هـ، يناير 2002م، ص: 20، 21.

[7] - أنظر (الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات)، 2/ 530، 531.

[8] - أنظر نفس المرجع، 2/ 532.

[9] - أنظر (علاقة الفهرسة بعلم المخطوطات)، أحمد شوقي بنبين، (فن فهرسة المخطوطات: مدخل وقضايا) ص: 34- 42.

[10] - أنظر المرجع نفسه، ص: 44.

[11] - (فن فهرسة المخطوطات: مدخل وقضايا) تعقيب أحمد فؤاد الباشا، ص: 49.

12- أنظر (المخطوطات والتراث العربي)، ص: 21.

[13] - أنظر (فن فهرسة المخطوطات: مدخل وقضايا)، تعقيب أحمد شوقي بنبين، ص: 50.
[14] - أنظر: (علاقة الفهرسة بعلم المخطوطات)، (فن فهرسة المخطوطات: مدخل وقضايا) ص: 34.
[15] - أنظر (الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات)، ج 2، ص 536.
[16] - (المعالجة الفنية لأوعية المعلومات)، ص: 20، 21.
[17] - المرجع نفسه،ص: 21.
[18] - (المخطوطات والتراث العربي)، ص: 32، 33.
[19] - (ثقافة المفهرس)، ص: 210، 211.
[20] - أنظر (المخطوطات والتراث العربي)، ص: 33، 34.
[21] - المرجع نفسه، ص: 34.
[22] - المرجع نفسه، ص: 34، 35.
[23] - (الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات)، 2/ 535، 536.
[24] - المرجع نفسه، 2/ 536، 537.
[25] - أنظر (المخطوطات والتراث العربي)، ص: 35، 36.
[26] - أنظر (الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات)، 2/ 535.
[27] - (ثقافة المفهرس)، ص: 196، 197.

- الأستاذ: موسى حمادي
- المحور: مفهوم التراث المخطوط وأهميته
- عنوان المداخلة: دور مخطوطات أهالي المسلمين في كتابة تاريخ الجزائر خلال القرن 19
- الجامعة: جامعة أدرار – قسم التاريخ

دراسته، وتعتبر حجة قوية بإمكانها الترجيح بين الآراء المتضاربة و الروايات المتعددة، ومن هنا فالبحث عن الوثيقة هوا لبحث عن سلاح خطير يمكننا من وقف التردد إزاء القضايا العالقة، وبالتالي إصدار الأحكام المدعمة بالحجج.

وانطلاقا من ذلك فان الأفراد و الشعوب الذين لهم إحساس بالتاريخ وبأحكامه القاسية لا يجرؤون على ارتكاب الأخطاء التي تكون ذات يوم دليلا على إدانة لهم عكس الشعوب التي ليس لها إحساس بالتاريخ فترتكب أخطاء تستوجب حكم التاريخ القاسي عليها. وقد اعتنت الشعوب المتقدمة والمتخلفة على حد سواء بجمع تاريخها وتصنيفه و تقديمه للناس وذلك سدا للثغرات التي يمكن أن يتسرب منها الأعداء و الخصوم[1].

1-مكانة المخطوطة في تدوين تاريخ الجزائر خلال القرن التاسع عشر:

تكمن أهمية المخطوطة الجزائرية في تدوين تاريخ الجزائر خلال القرن التاسع عشر في أن تاريخ الجزائر للقرن المذكور لا زال لم يستكمل بعد ملامحه البارزة رغم الأدبيات التاريخية الكثيرة التي تناولت موضوعاته التاريخية المختلفة في تلك الفترة.ولعل أبرز الأخطاء المنهجية الكبيرة التي وقعت فيها مدرسة التاريخ الاستعمارية هو معالجتها لتاريخ البلدان المستعمرة اعتمادا على مصادرها وحدها[2] ،دون إخضاعها للفحص الدقيق وتعريضها للنقد والتمحيص باستعمال مختلف المناهج العلمية المعروفة، و الكفيلة بإبراز جوانب الخطأ و الصواب المتوفرة في تلك المادة التاريخية ،وذلك ما يؤدي بالضرورة إلى تقييم المسار التاريخي للدول والشعوب محل الدراسة.

وقد أدى هذا المنحى في دراسة التاريخ إلى اعتماد مصادر متحيزة، أدت إلى بروز أخطاء تتنافى مع المعرفة الموضوعية المجردة التي هي في الواقع هدف الباحث النزيه في التاريخ وذلك ما حذر منه ابن خلدون في مقدمته عندما ذكر أن من مآخذ المؤرخين في نقل الأخبار اقتصارهم على ذكر رواية من جانب دون آخر فقال:<<...ولا قيس الغائب منها بالشاهد؛والحاضر بالذاهب فربما لم يؤمن فيها من العثور،ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق، وكثير من المؤرخين والمفسرين و أئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا وسمينا،لم يعرضوها على أصولها،ولا قاسوها بأشباهها...>>[3].

ومن هنا تأتي ضرورة أن ندرك أن الاطلاع على حقبة تاريخ الجزائر خلال القرن التاسع عشر، وخاصة خلال الحقبة التاريخية التي بدأت بدخول الاستعمار إلى البلاد منذ 1830م. لا يمكن أن تكون موضوعية إذا كان النظر إليها من زاوية واحدة وهي الزاوية التي يقف عندها المستعمر ولا يمكن أن ترتقي إلى مستوى أعلى ما لم يتم النظر إليها من الزوايا المقابلة فيؤدي ذلك إلى سد النقص في إثبات الوقائع والأحداث التاريخية وهذا بالنسبة إلى كل الأطراف المتواجدة على مسرح الأحداث مهما كان دورها وتأثيرها فيه[4] ،فليس صحيحا ما ادعاه بعض مؤرخي مدرسة التاريخ الاستعمارية من أن الشعب الجزائري فقد التأثير على الأحداث بعد انهيار المقاومة المسلحة وأنه لم يعد له دور فيها.فالاعتقاد أن ثورة1871م هي آخر الثورات الشعبية المسلحة ضد الاستعمار الفرنسي ليس أمرا مسلما ، اذ نجد أن الوثيقة الأهلية تقف نقيض هذا الموقف، وتبرز أن الإدارة الفرنسية مازالت تواجه ثورات حقيقية لا تتورع عن تسميتها باسمها، فعلى سبيل المثال أورد محمد بن عبد الرحمن[5] في رسالته من السجن العسكري لمدينة قسنطينة بتاريخ 28 ماي 1880م إلى المجلس الحربي ما يلي:<<...إنني متهم بالتحريض على الحرب الأهلية وكذلك بالنهب على رأس عصابة مسلحة وبالهجوم على السلطة العمومية ومقاومتها،ثم بتنظيم عصابات وتحريك الشعب وأخيرا باغتيال أو محاولة اغتيال مع نهب و حرق واستعمال العنف تجاه السلطة العمومية...>>.وقد أخبر صاحب هذه الرسالة بأنه لا يحاول الدفاع عن حياة منتهية سلفا. ومن

هنا ندرك أن الرسالة لم تكن توسلا للسلطات الفرنسية ولكنها توضيح لها، واختصارا للبحث الذي تدعي العدالة الفرنسية أنها تقوم به،وانطلاقا من ذلك اقترح أن يبسط القضية للعدالة الفرنسية المنشغلة في ذلك الوقت بفحص ملفات المتهمين في ثورة الاوراس 1879م وبد ذلك يقرر هؤلاء كما أضاف<<...العقاب الذي أستحقه بسبب الصرخة التي أطلقتها في وجه الفضائح التي ترتج منها الإنسانية جمعاء...>>،ليقر صا حب هذه الرسالة بعد ذلك بأنه <<...عندما أطلق بركان الاوراس بعد كتمان طويل نيران نقمته من جميع جنباته، ارتفعت فجأة من غابات خنشلة وباتنة حتى حدود تونس والصحراء صرخة هائلة أن الموت للطغاة...>>[6] ومن هنا كانت الحركة التي حصلت في الأوراس سنة 1879م ثورة هدفها تصفية العملاء ودحر الاستعمار <<إن كل القياد عموما وقياد الاوراس خصوصا ما هم سوى أوغاد ليسوا جديرين بالحياة لتجاوزهم حدود سلطتهم وابتزازهم لمواطنيهم>>.

إن فكرة الوطنية أيضا التي يحاول البعض تجنب الحديث عنها خلال القرن التاسع لأنها حسب الكثيرين لم تكن موجودة ،أو على الأقل لم تنضج لأنه حسبهم فان القبيلة لم تكن تسمح بظهورها وهو ما افقد المجتمع تماسكه من| البداية أمام الاحتلال الفرنسي ،وهي وان كان لا يمكن نكرانها-فكرة الوطنية- في ثورة الأمير عبد القادر (1847-1832) باعتبار أن الأمير كان رجل مقاومة ودولة ،وحاول وضع حد للذهنية القبلية ولكنه فشل في ذلك وبنهاية مقاومته للستعمار واستسلامه سنة1947 اختفت فكرة الوطنية من الثورات الشعبية، غير أن صاخب الرسالة سابقة الذكر يشير بوضوح إلى فكرة الوطنية عندما يقول <<في نهاية الأمر ساد الاعتقاد بتحرير الوطن المشترك وبنهاية قاهري جبالنا>>، وعن المشاعر التي كانت تخالج الأهالي الجزائريين تجاه ذلك يقول << ...فعمتنا فرحة عارمة لا توصف ثم كان أن شاركت حينئذ بكل قلبي في البهجة العامة...>>[7].

و الواقع أن المستعمر لم بهمل مخطوطات الأهالي،وعندما ظهرت مكتبة و متحف الجزائر فقد ظهرت أول نواة لمكتبة مدينة الجزائر سنة 1835م،ولم تبدأ في العمل فعلا إلا خلال سنة1838م وبوحي من بريستون المتصرف المدني،وأضيف إلى المكتبة متحف أثري وأصبحت بعد ذلك المكتبة والمتحف منطلقا للباحثين في تاريخ الجزائر يجدون فيها المخطوطات العربية والمطبوعات والآثار التي هي عدة المؤرخ[8].

وإذا كان المؤرخون الفرنسيون قد أعطوا أهمية للبحث عن المصادر الأهلية ،ممثلة في المخطوطات فإنهم كثيرا ما شككوا في قيمتها ،واتهموها بالتجريدية و المبالغة، بل إن بعضهم مثل ويليام ميرسي في كتابه<<تاريخ و مؤرخي الجزائر>> دعا إلى وضعها جانبا ،و الاعتماد في كتابة تاريخ الجزائر خلال العهد العثماني على المصادر الأوربية ووثائق الأرشيف الرسمية ولم يكن منفردا في هذه الدعوة[9].

عشر(د:يحي بوعزيز نموذجا)مجهودات ألمؤرخين الجزائريين المعاصرين في استغلال مخطوطات القرن التاسع :

إن الغرض من إبراز د يحي بوعزيز أنموذجا من خلال مجهوداته في استغلال المخطوطة الأهلية التي ترجع إلى القرن التاسع عشر لا يعني بأي حال من الأحوال إهمال قيمة الآخرين الذين بذلوا جهودا مضنية في سبيل استخراج كثير من الوثائق سواء من دور الأرشيف أو من الملكيات الخاصة، والتي ننعم نحن اليوم بسهولة الاطلاع عليها من خلال كتبهم المطبوعة ومن أمثلتها كتاب أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر[10] لأبو القاسم سعد الله، ونصوص سياسية جزائرية من القرن التاسع عشر لجمال قنان، أو نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1914-1830) لعبد الحميد زوزو وغيرهم.لكن هذا الاختيار لشخص يحي بوعزيز يأتي تكريما لشخصه بعد أن قضى نحبه في هذه الحياة الدنيا ومضى إلى ربه نهاية السنة الفارطة،تاركا وراءه أعمالا نعتبرها مساهمة كبرى في هذا الميدان وبداية موفقة للاستغلال الأمثل من أبناء هذا الوطن لوثائقهم في كتابة تاريخ الجزائر الحديث. خاصة و أننا نعتقد أن مجهود المرحوم انصرف في معظمه إلى استخراج تلك الوثائق أو تجميعها ولم ينصب على تحليلها ودراستها بالشكل الكافي، وستكون مجهوداته المبذولة من خلال أمثلة هي موضوع الدراسة.

من ذلك أن المؤرخين اختلفوا حول مستوى ثقافة الشيخ الحداد مقدم الطريقة الرحمانية والذي وقف إلى جانب المقراني في ثورته عام 1871م فأكسب ثورته غطاءا دينيا كانت في أمس الحاجة إليه للتخلص من التهمة الموجهة للثورة ألا وهي الإقطاعية. فمن هؤلاء من كان يرى انه كان أميا وجاهلا ،وآخرون يرون غير ذلك بمعنى انه كان ذو ثقافة عالية وهو ما جعل يحي بوعزيز يقف موقفا وسطا فاعتبر أن ثقافته متوسطة[11].غير أن مواصلته التنقيب عن ما يثبت هذه الفكرة أو تلك جعله يثابر إلى غاية أن وقعت يديه على رسالة يعتقد أن كاتبها هو الشيخ الحداد نفسه أو أنه هو الذي أملاها عل احد ولديه، محمد أو سي عزيز، فاعتبر يحي بوعزيز أن هذه الرسالة قد أماطت اللثام حول مستوى ثقافة الشيخ الحداد ،وتبين انه ذو ثقافة عالية[12]أما عن كيفية وصولها إلى يحي بوعزيز فقد ذكر في هامش صفحة56 إن الأستاذ حسين عبد الرحمن بن محمد أبي القاسم البوجليلي حفيد الشيخ البوجليلي هو الذي قام بتسليمه نسخة فوتوغرافية منها بقصر الأمم بالجزائر خلال انعقاد المؤتمر الرابع عشر للفكر الإسلامي سنة1980م. ذلك أنها –الرسالة –تبين أن الشيخ الحداد قد أجاز تلميذه عما درسه عليه من فقه وغيره. ثم إن هذا التلميذ نفسه ذكر في كتابين مخطوطين له ما يؤكد ذلك في كتاب<<نور الراجي في اعراب مقدمة الصنهاجي>> ذكر أنه انتقل إلى مقام الولي الصالح الشيخ أمزيان بن الحداد عام 1268ه –أكتوبر1851م فقرأ خاتمة في خليل إسحاق في ذلك العام بدأ قراءة الفقه[13]. إن هذا المخطوط يتألف من168 صفحة وذكر صاحبه أنه انتهى منه فجر الأربعاء 05 ربيع الثاني 1277ه-أكتوبر1861م. أما في مخطوط <<التبصير>> الذي كتب بعد الأول بنحو 25سنة فذكر صاحبه انه درس عليه علم المنطق و الجوهر الكنون في علم البيان واستعارة السمرقندي[14] كما ذكر ابنه سي عزيز أن أباه زاول تعليمه في مدرسة صدوق ثم التحق بزاوية أعراب الزواوي و أخذ عنه طريقة الشيخ محمد بن عبد الرحمن بوقبرين ،ثم عاد إلى بلاده وأسس مسجد و زاوية.

وانطلاقا من كل ما سبق فان صفة الأمي تنتفي تلقائيا لأنها لا يمكن أن تنطبق على من تصدى لكل تلك العلوم و المعارف الفقهية.

كما انه بالإضافة إلى كشف الملابسات التي كانت تعيشها الجزائر آنذاك ويعيشها المجتمع الأهلي يمكن لمثل تلك الأعمال أو المخطوطات الأهلية إن صح التعبير أن تفيدنا بمعلومات عن أوضاع خرج بلدنا في مناطق ربطتنا بها ظروف قاهرة في ذلك الوقت، وقد تحمل يحي بوعزيز مشقة البحث عن مثل هذه الوثائق فكان مما عثر عليه رسالة بتاريخ27 جمادي1284ه-جوان1877م وقد تسلمها كما ذكر من الشيخ المهدي البوعبدلي في بلدة بطيوة قرب وهران، وكانت هذه الرسالة موجهة من سي عزيز إلى حفيده محمد الطاهر ابن الشيخ بن عبد الله وقد كان في ذلك الوقت بمنفاه في كاليدونيا الجديدة فأفادنا في وصف أحوال المنفيين الجزائريين وتعدادهم هناك، كما تحدث عن المنفيين الفرنسيين وطبيعة التهم التي ساقتهم إلى ذلك المكان، وقد أفاد من خلال ذلك أن إجمالي عدد المنفيين في كاليدونيا الجديدة يفوق خمسة آلاف(5000)شخص، وأن نصيب العرب منهم هو نحو مائة وأربع أشخاص، وأن أسباب النفي هي واحدة للجميع، وهي الخروج عن طاعة الدولة الفرنسية.وأن السبل هناك كانت تضيق بالجميع، وان الدولة الفرنسية وعدت الجميع بالعفو والتسريح[15] وذلك ما يدل على أن كاليدونيا الجديدة كانت بلدا للنفي وليس للاستيطان.

أما وصايا الشيخ الحداد إلى ابنيه وإخوانه فان الدكتور يحي بوعزيز ذكر أنه تسلم نسخة من هذه الوصايا المطبوعة على المطبعة الحجرية من السيد عبد الرحمن بن القاضي شيخ بلدية صدوق في صيف عام 1969 وهي مؤرخة في 01 ربيع الاول عام1290ه وفيها خبر وفاة السيد محمد أمزيان بن الحداد الذي تولى مشيخة الطريقة الرحمانية مدة أربعين سنة[16].

كما اعتنى المرحوم يحي بوعزيز برسائل سي عزيز ابن الشيخ الحداد منها رسالته إلى الجنرال لالمان بعد استسلامه و المحفوظة في أرشيف وزارة الحرب بفانسان صندوق A.M.G. carton H 375 H هذه الأخيرة لم تكن تحمل تاريخا ولكن الفرنسيين وضعوا لها تاريخ جويلية 1871م.وبنفس العلبة توجد عريضة سي عزيز التي كتبها أو أملاها على محاميه في سجنه قبل أن يقدم للمحاكمة، ويكشف فيها عن الانحياز الفرنسي لصالح أعيان من الأهالي على حساب آخرين مما أدى إلى استشراء العداوة بين القبائل،كما يكشف عن التعسف والعداوة والظلم الذي مارسته المكاتب العربية والذي أفضى في نهايته كنتيجة حتمية إلى العصيان والثورة ،وقد حررت بقسنطينة يوم 9مارس 1873م. أما الوثيقة الثانية فتحتوي على عرض وافي عن الصراع الذي كان دائرا بين زعماء الأهالي من أجل منصب الخليفة في مناطق مجانة وشلاطة منذ دخول الاحتلال الفرنسي وخاصة بين عائلتي المقراني وابن علي الشريف والأسباب التي دفعت الشيخ الحداد إلى الثورة كما قدم من خلالها نقدا لاذعا للأدوار السيئة التي لعبتها المكاتب العربية.

ومن الوثائق الهامة التي تحصل عليها المؤرخ هي وثيقة سي عزيز المتعلقة بعتق أمته الحبشية المسماة اسمي بنت عبد الله ببه وحده .وقبل الحديث عنها والتعليق عليها نشير إلى المجهودات الجانبية التي بذلها المؤلف، فقد تابع سيرة الأمة المحررة فتوصل إلى أنها حصلت بعد 14 عاما على وثيقة أخرى من قلم عتق الرقيق بمحافظة السويس تثبت كذلك حريتها من سيدها الشيخ عزيز بن الحداد وتحمل تاريخ17 نوفمبر1896م ،و أن أحد الأشخاص المدعو <<الحسيني>> هو الذي أخبر المؤلف بزواج الشيخ عزيز بن الحداد من تلك الأمة التي أعتقها وأنجب منها بنتا وولدا وقد ،تم إحضارهما إلى الجزائر بعد وفاته في باريس. أما البنت فقد عاشت إلى بداية سبعينات القرن العشرين في مدينة الجزائر بعد أن أخفقت في زواجها، أما الابن فكان موظفا بقسنطينة إلى غاية اندلاع الثورة وتذكر مصادر أخرى أنه توفي سنة1935م ،ونكشف من خلال هذه الوثيقة مدى قداسة رباط الزوجية عند الأهالي الجزائريين وكذلك إنسانيتهم فقد حرر سي عزيز أمته وترك لها حرية الرجوع إلى بلادها الحبشة عندما كان قادما من الحجاز إلى فرنسا عبر مصر بعد أن طلبت منه ذلك، و بالمقابل حافظ على ولديه منها وأخذهما معه إلى باريس، ورغم وفاته هناك فان ابنه في الجزائر محمد الصالح الذي أنجز له مع السلطات الفرنسية صفقة عودته إلى ارض الوطن قد أعاد جثمان أبيه وأخويه ابنا الأمة الحبشية ،ويبقى أن علاج بعض التناقضات الواردة في الوثيقة قد تم بنجاح فوثيقة تحرير الأمة الحبشية هو 17-11-1896 م-بينما توفي سي عزيز في 21-8-1895-وهو ما يثبت أن الوثيقة متخلفة عند التحرير ولم يستخرجها الشيخ عزيز بل أمته المحررة بناءا على وثيقة بخط الشيخ وشهادة الشهود ووثيقة التحرير الرسمية لم توجه للشيخ بل جاء بها ابنه محمد صالح من مكة مع بعض آثاره،وذلك بعدما عاد بأخويه إلى الوطن [17].

لم تقتصر مجهودات يحي بوعزيز على ما هو موجود بالجزائر سواء بدور الأرشيف أو لدى العائلات، ولم يتوقف بحثه في الأرشيف الفرنسي وإنما امتد بعد ذلك إلى كتابة مراسلات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليلة أورد ثلاثة وعشرين وثيقة منها ما هو رسائل إلى ملكة اسبانيا أو إلى قادتها العسكريين بمليلة كما أن هناك رسائل من أولئك القادة العسكريين إلى الأمير .لعل أهم الملاحظات حولها هو أن بعض رسائله إلى ملكة اسبانيا إيزابيل الثانية كتبت باللغة الفرنسية وأخرى بالعربية [18].

وفي موقع آخر فان يحي بوعزيز حسم الجدل حول موقف العائلات الارستقراطية من ثورة المقراني بعرض أكثر من اثنان وستين(62)وثيقة ومخطوطا ورسالة لمختلف الأعيان وشيوخ القبائل تبرز بوضوح مواقف هؤلاء من الثورة [19].

عوائق في طريق الاستغلال الأمثل للمخطوطة

لاشك أن استغلال المخطوطة الأهلية في الجزائر كمصدر تاريخي هام تقف دونه جملة من العوائق، جعلته مازال بعيدا عن الاستغلال الأمثل لكنوزه وهو ما قد يعرض جزء منه للضياع، خاصة الموجود لدى بعض الأفراد والعائلات الذين يجهلون قيمته الحقيقية وسأكتفي في هذا العرض بذكر أهم هذه العوائق:

-الخزائن الخاصة:يجد كثير من الباحثين صعوبة في الوصول إلى محتويات هذه الخزائن فان أسعفه الحظ في ذلك فالصعوبة الأخرى هي افتقاد تلك المحتويات إلى الفهرسة وشروط الحفظ الجيد ،وكل ذلك يجعل الاستفادة منها محدودة.

-الإهمال الذي يتسبب في ضياع هذه المخطوطات :وكمثال على ذلك فقد سبق لي شخصيا أن طلبت الاطلاع على أرشيف بلدية عنابة سنة2003م فعلمت أنه تعرض لفيضانات سنة1982 وبعدها قامت السلطات المعنية بجمع ما تبقى منه

في إحدى القاعات بطريقة فوضوية وبمرور الوقت أصبح وكرا للجرذان والروائح الكريهة التي جعلت من المستحيل الدخول إلى تلك القاعة، والوعود قائمة بتنقيتها وتنظيمها وتصنيفها بما يسمح بالاطلاع غليها والاستفادة منها.

-صعوبة قراءة الخط فقد كتبت بخطوط لم يعد العمل جاري بمعظمها ،واحتوت على كلمات تلاشى استعمالها ،وهو ما يتطلب تركيزا واطلاعا على قاموس تطور اللهجة العامية في مختلف أنحاء بلادنا .

(1) زوزو عبد الحميد، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر(1900-1830)،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 2007،ص 07.

(2) قنان جمال ،نصوص سياسية جزائرية من القرن التاسع عشر،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1993، ص 6.

(3) ابن خلدون عبد الرحمن،المقدمة ،دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع،بيروت ،لبنان 2004،ص21.

(4) قنان جمال،الرجع السابق ،ص5.

(5) اسمه الكامل محمد آمزيان بن محمد صالح بن عبد الرحمن زعيم ثورة الاوراس1879،رحماني الطريقة ،كان مدرسا للقرآن (أنظر محمد الطاهر عزوي،جمعية أول نوفمبر في الأوراس ،تاريخ الاوراس ،دار الشهاب، باتنة الجزائر1988،ص ص144-145 .

(6) زوزو عبد الحميد، ثورة الأوراس سنة1879،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986،ص ص121-123.

(7) المرجع نفسه،ص 123.

(8) سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المجلد الاول،الطبعة الرابعة،دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،2005، ص16.

(9) لقد سبقه إليها دي سلان ودي غرامون ووافقهم من بعد ذلك ستيفان غزال، أنظر المرجع السابق ،ص27.

(10) صدرت آخر طبعة منه عن دار الفكر، بيروت، لبنان ،2005، في أربعة مجلدات

(11) يحي بوعزيز،ملاحظات وانطباعات الشيخ سليمان بن داود بن يوسف،عن ثورة1871،الأصالة عدد15/14،الجزائر جوان جويلية 1977،ص ص105-117.

(12) ذكر يحي بوعزيز،أن لا تاريخ للرسالة ولكن صاحبها البوجليلي كتب بخط يده في نهايتها أنه أرسلها إليه من قسنطينة أيام مرضه،وقد توفي في ذلك المرض خلال ربيع الأول 1289(أفريل1873)،فيكون تاريخها هو المذكور(أنظر يحي بوعزيز،وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر1989،ص7).

(13) المرجع نفسه،ص7.

(14) يتألف هذا المخطوط الثاني من28 صفحة.

(15) يحي بوعزيز، وصايا الشيخ الحداد ومذكرات ابنه سي عزيز،المرجع السابق،ص ص 46-47.

(16) المرجع نفسه،ص ص67-69.

(17) المرجع نفسه،ص ص166-177.

(18) للاطلاع أكثر أنظر يحي بوعزيز،مواقف العائلات الأرستقراطية من الباشاغا المقراني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر1994.

(19) للاطلاع أكثر أنظر:يحي بوعزيز وميكاييل دواييالزا،مراسلات الأمير عبد القادر مع اسبانيا وحكامها العسكريين بمليلية ، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر1981.

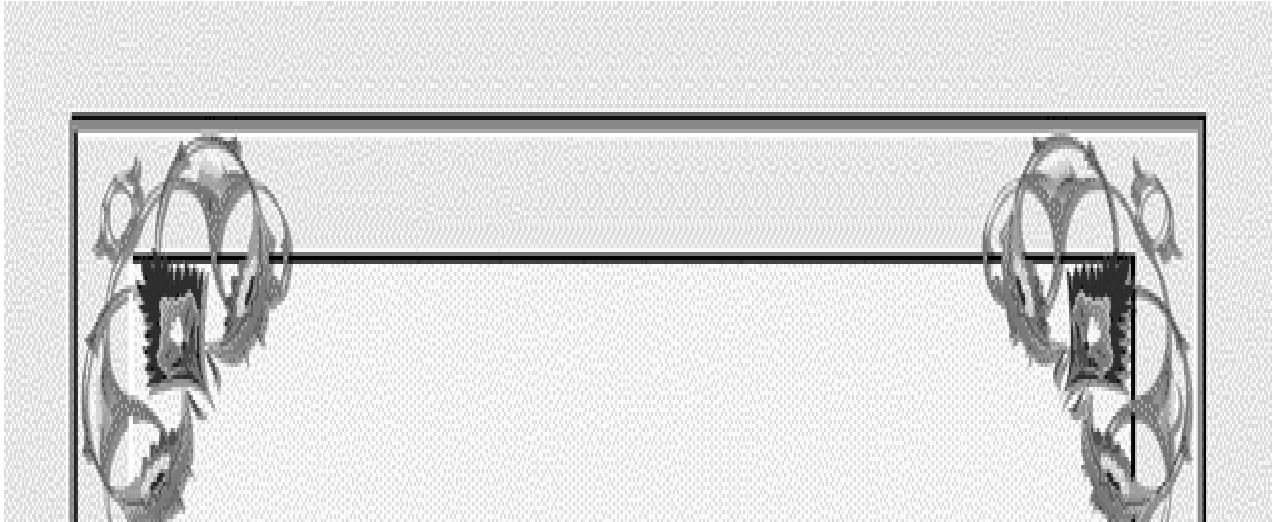

المحور الثاني

منهج البحث في التراث المخطوط وسبل حمايته

• الأستاذ: د. بوهرور حبيب

• المحور: منهج البحث في التراث المخطوط وسبل حمايته
• عنوان المداخلة: التوصيف الإجرائي لنظرية التراث في الشعر العربي المعاصر-مقاربة لنظرية التراث والمثاقفة-

• الجامعة: المدرسة العليا للأساتذة قسنطينة

الراهن من خلال توظيف مجموعات منتظمة من تقانة التناص مع الذاكرة التاريخية،ضمن سياقات الحاضر في شتى تفاعلاته من جهة.والغياب جراء قدرة بعض الشعراء على خلق نوع من الحواجز الوهمية،التي تحول دون قراءاتهم الإرادية لبنية التراث كفاعل سياقي.

لهذا أعتقد أن مقاربة إشكالية الموقف من التراث،يجب أن تنطلق أولا من ضبط علاقة القارئ (الشاعر) ذاته بالتراث أولا،ثم قراءته لهذا التراث بناء على ما يأتي :

- ✓ القراءة المادية للتراث على أساس أنه أثر .
- ✓ القراءة المفتوحة للتراث المرتبطة بسياقه الزمني والتاريخي والاجتماعي .

وقد فصّل الدكتور محمود أمين العالم-فيما سبق حين راجع التراث ضمن آلية الحضور التفاعلي في الراهن،لا ضمن الأثر الملموس ماديا لهذا التراث-و تساءل قائلا :"ما هو التراث؟ولعلي أصدم الكثير من القراء عندما أجيب:بأنه لا يوجد تراث في ذاته، فالتراث هو قراءتنا له،فهو موقفنا منه،وهو توظيفنا له! لست أقصد من هذا أنني أنفي أو ألغي الحقيقة الذاتية للتراث - بغير شك - موجود،قائم متحقّق بالفعل موضوعيا وماديا،في نص في فكر،في معرفة علمية،في ممارسة،في سلوك،في عمارة،في بناء،في نظام حكم،في أشكال تعبير قولية وحركية أو مادية ...في خبرة إلى غير ذلك. والتراث موجود قائم يتحقق كذلك بالفعل زمنيا في لحظة تاريخية اجتماعية معينة،وتتراكم هذه اللحظة الزمنية لتشكّل تاريخنا القومي التراثي العام. على أن هذا الوجود التراثي المتحقّق ماديا وزمنيا وتاريخيا ينتسب إلى الماضي،ولهذا فهو تراث أي أنه أثر،حتى وإن بقيت معالمه ماثلة قائمة أمامنا على نحو مادي أو معنوي،على أنه ليس فعلا أقوم به،بممارسته،بتحقيقه ابتداء،وإنما هو تحقيق سابق على

وجودي،ولهذا فحقيقته في ذاتها مشروطة بمدى معرفتي بها،وطبيعة موقفي منها، وتوظيفي لها ..." [1]

من خلال النظرة السابقة لفلسفة التراث نظر الشعراء الرواد إليه،وشكّلوا مواقفهم ضمن فضاءات اجتماعية وسياقية وأيديولوجية عديدة ومتناقضة في الكثير من الأحيان،لأن الموقف من التراث،في تقديري،هو موقف من الحاضر لا موقف من الماضي،"فحسب موقفي من الحاضر يكون موقفي من الماضي وليس العكس كما يقال أو يظن"[2]. فللشعراء الروّاد مشارب أيديولوجية رسمتها الحركية الاجتماعية لما بعد الحرب العالمية الثانية خلال مراحل الخمسينيات والستينيات والسبعينيات،فكان منهم الملزَم والملتزم،واليميني السلفي،واليساري الاشتراكي،والواقعي الانتقادي،والبورجوازي المتحرّر،فلا غرابة إذا كان يتشكّل الموقف من التراث ضمن فضاءات متنوعة تشترك كلها في عملية مراجعة عامة وشاملة للتراث،خاصة إذا تقمّص الشاعر الناقد دور المتلقي أو القارئ(في عصر القارئ)في أثناء مراجعة المادة التراثية ليوظفها توظيفا عصريا يسكن حاضر القارئ ويصبح بعض أقنعته وأرديته .

وقد حدد الدكتور جابر عصفور قراءتين أساسيتين للتراث،يتشكل الموقف انطلاقا منهما،القراءة الأولى هي القراءة الوصفية للتراث حيث يُعزل التراث عن القارئ تماما لكي يراجع الأثر مراجعة محايدة تماما.أما القراءة الثانية فهي قراءته ضمن فاعلية تثاقفية مع القارئ ذاته،الأمر الذي يضفي عليها صبغة أيديولوجية بحيث يُسقط حضور العصر والقارئ معا على المقروء(التراث)وتاريخه[3]. وهذا ما ظل يؤكد عليه الدكتور محمود أمين العالم في قوله"التراث لا يوجد في ذاته وإنما هو قراءتنا له،وموقفنا منه وتوظيفنا له"[4].

وأفهم من هذا أن تشكيل الموقف من التراث يجب أن يؤسس على وفق منظور العصر وعلى أساس آلية الشعور بالعصر ذاته،وهذا ما نادى به الدكتور حسن حنفي في مشروعه الحضاري وقراءته للتراث حين طالب بضرورة إعلاء آلية الشعور،لأنه"أهم من العقل وأدق من القلب وأكبر من الوعي"[5]**.فالتجديد،في تقديري،يجب أن ينطلق من إعلاء الواقع الثقافي وإعطاء الأولوية للمعاملات،والتجارب الأيديولوجية،وطرح البدائل وتشكيل الأنموذج المتغير ضمن سياق قراءة الأثر (الثابت) ورسم الموقف (المتغير).

وانطلاقا من فلسفة قراءة وتشكيل الموقف من التراث،دخل الشعراء الرواد المعاصرين مجال التنظير،فقدموا مواقفهم وأطلقوا العنان لمشاعرهم في صياغتها،فقد كانوا في مراحل تجريبية أولى،سُمح لهم فيها بقراءة الموروث الثقافي والإبداعي العربي قراءة ذاتية وأيديولوجية تارة،وقراءة استشرافية تأسيسية تارة أخرى. خاصة حين ترتبط هذه القراءة ارتباطا جدليا بقضية الحداثة،فلا تطرح قضية التراث إلاّ وقضية الحداثة حاضرة ضمن نص الحديث،ويرجع ذلك،في تقديري،إلى العلاقة التكاملية التي تجعل من الحداثة خلال هذا الطرح(تراث وحداثة)" محاولة تركيب بين التراث والتجديد،والأصالة والمعاصرة"[6]في نظر بعضهم ،وعند بعض آخر هي"التغاير،وهي الخروج من النمطية والرغبة الدائمة في خلق المغاير"[7] .

يتضح هذا أكثر فأكثر كلما أراد الشاعر الناقد التنظير للعملية الإبداعية وإعلاء الموقف،لأن"في موقف الشاعر من التراث تتضح معالم الثورة،ومن ثم تتضح الحداثة ....فلما أخذ الشاعر يتساءل عن مدى ارتباطه بالتراث- ومن ثم بالماضي وبالتاريخ - أصبح على أبواب ثورة جديدة"[8]،لاعتقادي أن تحديد مفهومي التراث في ضوء علاقته بالحداثة هو جوهر العملية الإبداعية والتنظيرية معا عند الشاعر المعاصر،فكل آليات تشكيل القصيدة المعاصرة من ثورة على الوزن والقافية ولغة نمطية وأساليب الخطابة والوصف الجاهز،لا يمكنها أن تتحقق إبداعيا إلاّ بعد أن يحدّد الشاعر موقفه من الموروث أولا وعلاقة هذا الأخير بها حسب الحداثة والتحديث لديه،"وما الخروج عن البحر إلى التفعيلة ونبذ مقولة القاموس الشعري والثورة على القافية الموحّدة والبحث عن مقاييس جديدة للشعر الحديث إلاّ ترجمة لمفهوم جديد للشعر من خلال فهم معين للتراث والحداثة أولا،وفهم معين للعلاقة بينهما ثانيا"[9].

فما هو مفهوم التراث عند الشعراء الرواد؟ وما هو موقفهم منه؟ وما هي علاقة التراث بالحداثة؟ وكيف تجسّد هذا في إبداعهم الشعري؟

لم يستطع الشعراء الرواد - في حدود إطلاعي وبحثي - أن يصلوا إلى مفهوم واحد ودقيق للتراث،وإنما استطاعوا أن يحصّلوا شبه إجماع على ضرورة ربط الموروث بالعملية الإبداعية عامة،والشعرية على وجه الخصوص،لاعتقادي أن مراجعتنا للتراث هي مراجعة للحاضر،وأن فهمنا للحاضر يجب أن ينطلق نحو إعادة قراءة التراث في ضوء الحاضر لا العكس."فالماضي عند معظم رواد الشعر العربي الحر ليس شيئا منفصلا عن الحاضر والمستقبل،إنه يحي الحياة الجديدة والإنسان المعاصر،ينمو بنموه ويتطور بتطوره فهو ليس كتلة جامدة أو مجرّد كتاب أو مخطوط أو أثر محدّد،بل هو جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان ومن واقعه المعيش. والقديم لا يبقى جامدا بل يتطور عبر التاريخ والبيئات."[10]

وقد جسّد هذا الموقف الشاعر صلاح عبد الصبور في أعماله النثرية التي ضمت معظم تنظيراته للعملية الإبداعية من جهة،ولعلاقة هذه العملية بالموروث الشعري والفكري والحضاري،والعربي والإنساني من جهة أخرى .

يبدأ بناء الموقف عند عبد الصبور من ضرورة قراءة التراث الشعري قراءة منهجية وموضوعية متأنية،حتى نتمكن من غربلة الإيجابي من التراث،"فالشعر العربي القديم تراث هائل متناثر في بطون المجموعات والدواوين وكتب الأخبار والسيّر،وليس هناك من شك في أن ذلك الذي يجرؤ على الخوض في هذه المجموعات والدواوين من عامة القراء سيصطدم بمتلاطم الموج وغريب الأنواء. ومن هنا كانت الحاجة الماسة إلى إعادة عرض ذلك التراث وانتقاء ما يجد فيه القارئ المعاصر ما يألفه ويحبه،لأنه يخاطب الإنسان على اختلاف زمانه ومكانه..."[11]،وذلك شرط أن يقرأ هذا التراث قراءة موضوعية تعود إلى الماضي لفهم الحاضر في ضوء الماضي وليس العكس،كما فعل بعض الشعراء المعارضين لأنماط وأشكال وصيغ تراثية كثيرة،جعلتهم يعيدون إحياء التراث وبعثه في غير مبعثه ويلبسونه حلّة لم تعد تليق بمقامه،وهذا ما فعله شوقي مثلا حين راح يعارض الكثير من قصائد البحتري وابن زيدون وغيرهما،متناسيا أن واقعه غير واقعهم ومتطلبات الصياغة الشعرية لم تعد مثل متطلباتهم في زمنهم الماضي.

من هنا عمل صلاح عبد الصبور على مقاربة ماهية التراث ضمن حركية الإبداع وعلاقة هذه الحركية بالشاعر المبدع ذاته حين اعتبر أن"التراث هو جذور الفنان الممتدة في الأرض،والفنان الذي لا يعرف تراثه يقف معلّقا بين

الأرض والسماء.وقد تكون كلمة التراث سهلة المفهوم عند معلمي اللغة والأدب،فالتراث عندهم هو كل ما خطّه الأقدمون وحفظته الصفحات المسودة،أما الشاعر فالتراث عنده هو ما يحبه من هذا الذي خطه الأقدمون وحفظته الصفحات،التراث عنده هو ما يجد فيه غذاء روحه ونبع إلهامه وما يتأثره،أو يتأثر به من النماذج.فهو مطالب بالاختيار دائما،مطالب بأن يجد له سلسلة من الأدباء والأجداد من أسرة الشعر"[12].

ولا يجب أن يفهم مما سبق أن صلاحا يدعو إلى تماهي الشاعر مع تراث أسلافه بعدما يكون قد نهل من جيد الشعر،وقرأ أروع النثر،وحفظ منهما الكثير،فهذا من شأنه أن يقوي الملكة اللغوية للشاعر ويربطه بوقائع وتجارب شعرية تخلق أمامه مسارات جديدة لا تحاكي ولا تعارض بالضرورة مسارات الأقدمين،لهذا يؤكد عبد الصبور على إجبارية قراءة التراث قراءة راشدة من جهة،ومتبصّرة وواعية من جهة أخرى،لكثرة ما في التراث من تناقضات فكرية وحضارية من شأنها أن تأثر على بناء الموقف النقدي عند الشاعر المعاصر من التراث. من هنا"ينبغي إذن أن تتم العودة إلى تراثنا عودة متبصّرة مستيقظة،وأن يلقي هذا التراث في نفوسنا من الحضارة المعاصرة ويدمجا معا،وتتم باندماجهما مزاوجة ذوقية فنية يخرج من ثوبها الشاعر المعاصر،كما خرجت حياتنا المعاصرة في مظاهرها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية من هذا الزواج التاريخي بين وراثاتنا وتقاليدنا وبين حضارة العالم المعاصر"[13].

ويحدّد صلاح عبد الصبور آليات مراجعة التراث على النحو الآتي:

- ضرورة اعتبار التراث تاريخية منفتحة على حقب متلاحقة .لأن"تراث الأمة من حاضرها،ويمتد أمس لوجدانها،والملوّن لنا والكائنات"[14]،أثناء لحظة المعاصر،خاصة عندما ي قراءاته وتنظيراته وبين صياغة الموقف والفكرة وا
- القراءة اللغوية التعاقبية الثابت والمتحول في العربية،لأن"عمر اللغة طويل يتجاوز أعمار كثي روى لنا من شعر عربي قبل الإسلام،وها هي ذي [illegible] وأربعمائة سنة وما زالت لغة نامية حية متطورة معبرة"[15]. ولا يجب أن يفهم من هذا أن عبد الصبور يدعو إلى محاكاة اللغة القديمة أو تمجيدها،وإنما موقفه السابق هو الدلالة على عمق الموروث اللغوي العربي،بما احتوى من مؤهلات ومحمولات فكرية وحضارية وإنسانية خالدة، يمكننا أن نستغلها في صياغة المتن الشعري والإبداعي الحديث دون أن نقع في التنميط أن المحاكاة اللغوية،لأن"قاموس الشاعر الجاهلي يختلف عن قاموس خلفه الأموي أو العباسي أو المعاصر.وذلك مظهر صحي للتطور اللغوي"[16].
- تحسين المهارة اللغوية،وإتقان أساليب الكلام في قواميس الماضي العربي،وذلك حتى لا يحيد العائد إلى قراءة التراث عن هدفه الأسمى وهو فهم هذا التراث في ضوء الحاضر، أمام صعوبة لغته"ولاختفاء دلالاته وراء غموض لفظه أو وعورة بعض تراكيبه ...نخطئ لو أردنا لقارئنا المعاصر،أو طالبناه،أن يعود إلى مجموعات الشعر القديم كالمفضليات والأصمعيات أو إلى موسوعات الأدب وسير الشعراء كالأغاني والأمالي واليتيمة دون أن ننير له دربه ونلقي له في الطريق بعلامات الآمان".[17]
- حسن الانتقاء أثناء العودة لقراءة التراث،وذلك بالنسبة للقارئ المتلقي لهذا التراث في مراحله الأولى،ويفهم من هذا الموقف عند عبد الصبور ضرورة وضع المختارات العامة والخاصة أمام المتلقي العائد،أو الراغب في العودة إلى قراءة الموروث كبعد فني أو إبداعي خالد،وذلك حتى لا نصدمه كمتلق لا نعلم مستويات القبول والرفض لديه بناء على أسسه الجمالية والذوقية والفنية الخاصة."فتراثنا الشعري- ككل تراث إنساني - فيه الباذخ والوسط والداني إلى الأرض،وفيه الخالد الباقي على كل عصر وفيه ابن عصره الذي لا تسعفه أنفاسه على الحياة إلى أبعد من يومه القريب. وقد فطن سوانا من الأمم إلى الأمر فأعدّوا المجموعات المختارة التي يلتقطون فيها الجواهر من القول وينضدونه ويبدعون في عرضه،مختارين لكل شاعر رائعته أو روائعه،وفي كل عصر مبدعه أو مبدعيه،فتكون تلك المجموعات هي سبيل الناشئ في لغة أمته"[18].ويمكن جمع هذه الآليات الأربع في مراجعة التراث وقراءته عند عبد الصبور في هذا الشكل :

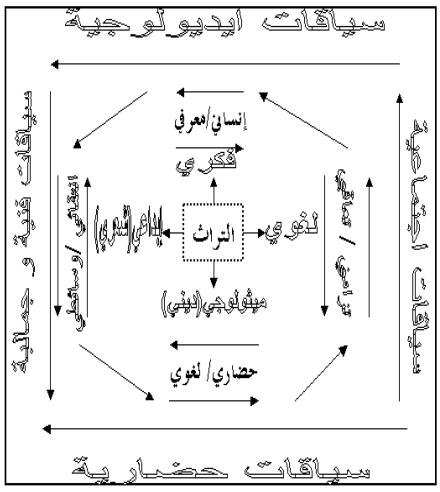

وقف قديم

[illegible] الشعر.وعليه فإن الشعر العربي يسبق الإسلام بحوالي قرنين من الزمان،فمعنى هذا أن الشعر الآن يجاوز ستة عشر قرنا،أو ألفا وستمائة سنة،ومعنى هذا أيضا أن تراثنا الشعري هو الذي يجعل شاعرنا المعاصر صاحب نظرة ومنهج في تذوق الشعر وفهمه.فالشاعر- في رأي-ينمو أساسا من التراث،و الشاعر يحمل تراثه الشعري في باطنه،ومن هذا التراث الشعري يكون انطلاقه ويكون فهمه وتقديره لدور الشعر ..."[19].ولا يفهم من هذا عند صلاح ضرورة تماهي الشاعر المعاصر في التراث،وإنما يفهم منه العكس تماما،أي وجوب قراءة التراث قراءة تفاعلية وتزامنية معا، من شأنها أن تخلق آفاقا أمام القارئ،لا تقطع صلته مع ماضيه ولكنها في الوقت نفسه لا تجعله حبيس أطر وأنماط إبداعية لم تعد تصلح لعصره،"فهذا الموروث لم يكن لينتزع الشاعر العربي من عروقه أومن

جذوره،ولكنه كان جديرا بأن يثير حوارا بينه وبين الموروث الشعري القديم".[20]

ويذهب الدكتور الشاعر عبد الله حمادي بعيدا في قراءة التراث وربطه بالراهن الشعري،خاصة في كتابه"الشعرية العربية بين الإتباع والابتداع"وفي مجموع الحوارات المتناثرة في الصحف والجرائد والمجلات.إنّه الشاعر،في تقديري الذي،قرأ التراث قراءة موضوعية بعدما غاص في كنوز التراث،وبعدما جرّب الكتابة انطلاقا من آليات التراث ولكنه سرعان ما تجاوز هذا المنظور دون أن يغدر بالعهد الذي قطعه للتراث يقول :"..الذي لا يتحول هو الجماد هو الموات هو الانكسار إنني مازلت على العهد مع كل قناعاتي،أنا أديب مسكون بهاجس التراث حتى النخاع"[21].

وقد بنى حمادي موقفه هذا من التراث انطلاقا من علاقات مثاقفة مع الآخر خاصة إذا علمنا أن الشاعر قد عاش ودرس فترة طويلة في إسبانيا،بما تحمله هذه الأخيرة من إرث حضاري وثقافي عربي، خلّد الموروث العربي والإسلامي لأزيد من ثمانية قرون. لقد راجع التراث مراجعة بنى خلالها علاقة مع الآخر،ولم يقتصر على العودة المعارضة فحسب،وإنما عاد وهو يحمل معه أسئلة من الحاضر يقرأها ويحاول فهمها في ضوء الماضي، والعكس صحيح أيضا،يقول:"بدأت أدرك قيمة هذا التراث يوم وقفت وجها لوجه مع آداب أخرى ومكنتني اللحظة الهاربة من معانقتها في لغتها الأصلية،فحصل لي ما يشبه المكاشفة بلغة المتصوفة. آنذاك أدركت ما يخبئه تراثنا العربي الإسلامي من كنوز لم يقدرها أدعياء الثقافة حق قدرها،بل راح بعضهم يطالب بإعدامها حتى يتسنى له ولوج الحداثة"[22]. ويتضح مما سبق أن حمادي الشاعر لا ينظر إلى التراث نظرة المنبهر المقلد، وإنّما يبحث في التراث عن أسباب التجاوز إلى مراتب التحديث،وصولا إلى صياغة آنية لمفهوم الحداثة. وهذا عكس الدعوات القائلة بضرورة الإلغاء التام للعلاقة مع الموروث كشرط أساس لبلوغ مراتب الحداثة عند الشاعر. من هنا فشرط الحداثة عند حمادي،هو البحث الموضوعي في التراث على أساس أنه لا يمكننا أن نطفئ جمرته فهي دائما تنتظر من ينفخ فيها،يقول:"لا حداثة حقيقية دون الخروج من رماد التراث،ففي التراث هناك خلل وميض جم كما يقول الشاعر قديما،يوشك أن يكون له ضرام إذا وجد من ينفخ فيه بروح تجمع بين طرفي نقيض،وتحسن سبر أغوار النور الكامن في كيان الثابت المسكون بالمتحول"[23].

وينادي حمّادي بضرورة الانتماء عن قناعة وإرادة للشعرية العربية،وتجنب الانسياق وراء الأفكار والنظريات المستوردة والحلول فيها،لأن الشاعر العربي المعاصر لا يمكن أن يجد ذاته الشعرية إلاّ انطلاقا من قراءة متأنية وواعية لمكونات شعريته العربية بما فيها الموروث في شتى تمظهراته،ويسرد الشاعر الحادثة التي عجلت بعودته إلى الشعرية العربية قائلا:"..حضرت يوما في أول احتفال يقام بغرناطة للشاعر المقتول(لوركا)بعد ذهاب فرانكو،وكان لي الحظ في ذلك اليوم أنني كنت ضمن الشعراء الذين توالوا على منصة التأبين،وقد كنت آنئذ أنشد الشعر بغير لغة الغزالة،وكان ذلك بعد أن تمكنت من اللغة الإسبانية،فلما خلصت من قراءة قصيدتي اقترب مني الشاعر الكبير الصديق الباسكي(Blass de stero)ليقول لي أنت مثلنا !! ...كانت تلك اللحظة حاسمة في حياتي جعلتني أعيد النظر في كثير من قناعاتي الأدبية وجعلتني أتوقف عند القناعة الراسخة أن لا شعرية لنا إلاّ شعريتنا،وأن الانسياق وراء الانفعالات المستوردة والجماليات المحمولة بأنفاس الآخرين ليست من شعريتنا في شيء إذا أردنا لها(شعريتنا)أن تكون ذات صفاء وتميّز وإضافة ..."[24]

إن عودة حمادي الشاعر والناقد إلى التراث هي عودة فيها من معالم الحداثة الكثير،لأنه في تقديري أراد بعودته تلك إلى قراءة ما كان يقال عنه ثابتا قراءة مغايرة تماما ينشد فيها التحوّل،وهذا ما جعله يقترح لوازم حداثة ومعاصرة للقصيدة العمودية،التي ظلّ ينادي ببعثها من جديد،وفق آليات بنيوية وفكرية أو جزها فيما يأتي:

1. تفعيل اللاعقلانية اللغوية(Irracionausmo Veral)،فقد لاحظ حمادي الباحث والناقد والمنظّر انعدام مستويات العدول اللغوي أو الانزياح في القسم الأكبر من المدّونة الشعرية العربية لأن"اللغة في معظم نتاج العهد القديم*الغربي والعربي على حد سواء،كانت تخضع من طرف المتلقي لميزان عقلاني منطقي لا يقبل الغموض أو الغلو بالمفهوم القديم،والعدول والانزياح أو اللاعقلانية بالمفهوم المعاصر."[25]
2. إعلاء عامل الذاتية أو الفردية(Individualismo)في الإبداع الشعري كظاهرة صحية عند الشاعر،لأن كل حركات التجديد عبر الزمن انطلقت شرارتها الأولى من إعلاء الذات المبدعة وخروجها عن ثقافة الاحتذاء،لأن"العامل الفعّال الذي له دور الريادة والأهمية القصوى لقياس مدى تطور الانفجارات الإبداعية يخضع إلى مدى تطور الذاتية،والتي مفادها مقدار الثقة التي أجدها في نفسي كإنسان ."[26]ويربط عبد الله حمادي تفاعل الذاتية تفاعلا إيجابيا مع محيط الشاعر المبدع،لكون هذا الأخير لا يمكنه أن يكون أكثر ذاتية في الخلق والإبداع إلاّ وفق حركية اجتماعية تقوده نحو ذلك،يقول:" وهذا العامل الذي هو الذاتية يرتكز على دعائم اجتماعية وتاريخية ونفسانية،وبالإجمال فهو يتحرك بخلفية أو بظرف حضاري متكامل البناء على جميع الأصعدة،فاكتساب درجة أو مقدار ما من الذاتية مرده أساسا إلى تظافر العوامل المذكورة آنفا ولا يمكن فصله عنها أو فحصه خارج نطاقها... فالتعبير الفنيّ في كل زمان ومكان يقاس بمقدار الأبعاد المتشعبة التي استطاعت العبارة الشعرية في صياغتها الفنية والجمالية وبكثافتها اللفظية والمعنوية من حيث المتانة والبنية،مع دقة اللاوعي الواعي،وثبات الرؤية والتجانس أو عدم التجانس في النوع والكم ..."[27].
3. انعكاس عامل الذاتية على التعبير الشعري اللاعقلاني(Irrational): تعد هذه الآلية في تقديري من أهم آليات تحديث الخطاب الشعري من منظور النقد المعاصر.وقد نادى بها شعراء الحداثة ونقادها عند الغرب ابتداء من شارل بودلير وأرثوررامبو،وملا رميه وغيرهم،وظلوا يعملون على تعطيل الحواس كانعكاس شرطي مباشر لتفاعل عامل الذاتية لديهم،وهو الأمر الذي مكّنهم من الثورة على النموذج ورفض الأطر التقليدية الكلاسيكية. من هنا كانت قراءة الشاعر عبد الله حمادي لهذه النقطة قراءة دقيقة وجادة وهادفة في الوقت نفسه لبلوغ مراتب التشكيل والإبداع وتحقيق الفرادة المنشودة،"فقد عودتنا العصور الشعرية الكلاسيكية على الترابط المنطقي في الصورة الشعرية

بحيث لا نجد تناقضا بين المعادلة البلاغية المتمثلة في المشبه والمشبه به،وهي ما نصطلح عليه بمعادلة أ=ب وحتى لو اقتضى الأمر وتطورت هذه العلاقات الفرعية فإننا نجد الصورة الشعرية تظل محافظة بحيث لا ينكسر فيها حاجز المنطقية "[28] .

وخلاصة موقف حمادي من التراث أن القراءة الدقيقة له وفق الأطر والطروحات المذكورة سابقا من شأنها أن تقربه أكثر فأكثر من سياقات الحداثة الشعرية المنشودة،لأن هذه الأخيرة"ليست معادية للتراث كما يخطئ بعض،فمن خصوصياتها تمثُّل التراث وليس اجتراره؛إنها لا تلغي التراث لأنها تساؤل مستمر الوهج عن الواقع ودحض لهذا الواقع"[29]من هنا فقدت الحداثة عند حمادي المعيار الزمني لأنها ظلت تتخطى ذاتها مع كل ولادة،فالنص الشعري القديم عند حمادي يمكن أن يكون نصا حداثيا بامتياز،شريطة أن تتوفر فيه القدرة على خلق الانزياحات اللغوية كمطلب من مطالب تحديث النص الشعري،لأن النص"الحداثي- سواء أكان قديما أو معاصرا- هو بمثابة تجليات الكلام دون ارتباطه بمعيارية الأشياء أو مواضعة اللغة،فالنص الحداثي تحول إلى رفض قاطع للمحاكاة.

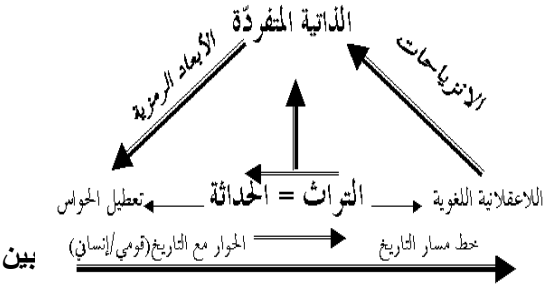

بين

س

آليات التحديث الهرمي للنّص الشعري من منظور حمادي فها

المدرس الحديثي،والمدرسة الثانية من موقع إبداعي فإنها شاعرة ترى الشعر بعدا فنيا حرا لا يعرف الحدود ولا القيود.لذلك فنازك الناقدة ومن خلال أعمالها النقدية وتنظيراتها له تستبطن النص الشعري وتستنطقه وتعيش في أجوائه ناقدة وشاعرة على حدّ سواء،بحثا عن أصول فنية أو تجسيدا لمقولة نقدية،أو تحديدا لخصائص شعرية مشتركة.

من هنا كانت مقاربة نازك الناقدة لقضية التراث مقاربة ضمن الإطار التشكيلي والتنظيري للشعر الجديد(الحر)، الذي عدّت لاحقا رائدة له بامتياز.فقد ظهر موقفها من التراث موقفا ضمنيا في إطار المقارنة الموضوعية بين أسس الشعرية القديمة ومعالم الشعرية الحديثة،وظهر ذلك جليا في مقدمة ديوانها"شظايا ورماد"وكتابها"قضايا الشعر المعاصر".لقد رفضت نازك الملائكة الخضوع الإرادي للموروث الأدبي عموما والشعري على وجه التخصيص،فنادت بإحداث القطيعة مع الأساليب التشكيلية والتعبيرية القديمة التي أضحت حسب رأيها قيودا تعيق حركية الإبداع كاملة.من هنا يمكن تحديد معالم الموقف النقدي حول التراث عند نازك في النقاط الآتية:

- مفارقة الواقع العيني في الوصف،واللجوء إلى اعتماد آلية الرمز بما تحمله هذه الأخيرة من قدرة على صياغة تفاعلية للعملية الشعرية بعيدا عن التنميط أو تقديس الموروث،لأن الواقع حسب رأيها يظهر"أن اللغة العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء لأن كتابها وشعرائها لم يعتادوا استغلال القوى الكامنة وراء الألفاظ استغلالا تاما إلاّ حديثا،فقد بقيت الألفاظ طيلة قرون الفترة الراكدة(المظلمة)تستعمل بمعانيها الشائعة وحدها،وربما كان ذلك هو السبب في جنوح الجمهور العربي جنوحا شديدا إلى استنكار المدارس الشعرية التي تعتمد على القوة الإيحائية للألفاظ ...على اعتبار أن هذه المدارس تحمّل اللغة أثقالا من الرموز والأحلام الباطنية،والخلجات الغامضة واتجاهات اللاشعور،ومثل ذلك مما لا تنهض به إلا لغة بلغت قمة نضجها ."[30] وتتفق هذه الدعوى مع دعوة الشاعر الناقد عبد الله حمادي سابقا حين نادى بإعلاء الذاتية واعتماد ما سماه باللاعقلانية اللغوية. والواضح أن هذا الموقف من اللغة كوسيلة تشكيل للإبداع الشعري،يرجع حسب رأي إلى قصور اللغة العربية في مراحل كثيرة من الشعرية العربية على تحقيق غاية الشاعر المبدع في نقل أحاسيسه وتخليد رؤاه بعيدا عن الاحتذاء بالسلف شكلا ومضمونا. لهذا كان الشاعر الناقد هو أقرب إلى إدراك هذه المعضلة من زميله الناقد المحترف والأكاديمي،كون هذا الأخير لا يمارس العملية الإبداعية وإنما يراجعها فقط.
- خلق توازن موضوعي بين ثنائية المضمون والشكل: وقد ظهر هذا الموقف جليا في كتابها"قضايا الشعر المعاصر"حين نادت نازك الملائكة بضرورة إيثار المضمون وفق آلية شكلية تتفق بالضرورة مع روح المضمون ولا تكون معيقا أمامه،لأن متطلبات الشعرية الحديث تتجه حتما نحو مقاربة المضمون في الشكل"فالشكل والمضمون يعتبران في أبحاث الفلسفة الحديثة وجهين لجوهر واحد لا يمكن فصل جزئيه إلاّ بتهديمه أولا.والنقد العربي المعاصر جدير بأن يلتفت إلى هذه الوحدة الوثيقة،وينبه إلى ما في الفصل بين وجهيها من خطر"[31].

أما موقف <u>الشاعر عبد الوهاب البياتي</u> من التراث فهو موقف مرتبط كثيرا بالحسّ الأيديولوجي عند هذا الشاعر،الذي كثيرا ما صاغ مواقفه انطلاقا من ارتباطات فكرية وسياسية معينة،لهذا نجده في البداية لا يتنكّر للتراث،ولا يرفضه بل إن التراث عنده هو الرابطة الضرورية لبلوغ مراتب الحداثة. فهو يعلن قائلا"إن التراث هو ما كان ويكون وسيكون"[32].إنه التجدّد المستمّر ضمن واقع اجتماعي يستطيع أن يشكّل التراث ويتعامل معه،وفق المنظور الاجتماعي للتراث من جهة،ووفق متطلبات حركة المجتمع من جهة أخرى. لأنه"عجينة لدنة قابلة للتشكّل والتعيين ولكن ليس بشكل نهائي"[33]. لأن التراث لا يمكن أن يحصّر في ثقافة معينة أو حضارة ما،وإنما تشكّل التراث ينبع فينا ويتعدانا لملامسة آفاق تراثية إنسانية أسمى". والتراث بهذا المعنى غير محدّد في ثقافة أو عادات معينة أو منجزات حضارية بعينها،إنما هو عامٌ وكلٌ متكامل لا ينفصل بعضه عن بعض إنه كل ما يتركه الأول للآخر ماديا ومعنويا.وهذه نظرة شاملة للتراث باعتباره الماضي المؤثر في الحاضر والمستقبل."[34]

والواضح أن عبد الوهاب البياتي ينظر إلى التراث كبنية إنسانية مغلقة على ذاتها لا يمكن تجزئتها،بل يجب أخذها والتعامل معها ككتلة واحدة،وأعتقد أن الأيديولوجية الاشتراكية

والماركسية للبياتي في فترة شبابه هي التي جعلته يتخذ هذا الموقف الذي بدا جليا في أشعاره خلال مراحله الأولى،"لأن الواقع عنده أوسع من حيث أنه يشمل القديم والجديد معا. فهو ينتظم التراث والمعاصرة معا في تفاعلهما المستمر،وهو يرى أن في التراث جوانب سلبية تعرقل حركة الواقع من جهة،ويقبل من الآخر الأجنبي ما يمكن أن يوجه الحاضر إلى آفاق أرحب وأعمق من جهة ثانية "[35]. وترجع هذه الرغبة في الانفتاح على الآخر،في تقديري إلى الفلسفة الأيديولوجية التي ظلّ يؤمن بها الشاعر منذ الخمسينيات حتى بداية التسعينيات إنها النظرة الاشتراكية التي تُلزم المبدع باحتضان قضايا الآخر والتفاعل معها ضمن نظرية الالتزام التي آمن بها الكثير من الشعراء الروّاد. فقد جسّد هؤلاء مقولة "إن الواجب أعظم مغريات الشاعر وأسوأها "* عندما تقمّصوا في أشعارهم وخطاباتهم دور الشاعر المنّظر والقائد والسياسي،على غرار أسلافهم من الاشتراكيين الأوائل في أوروبا [36].

لهذا فإن الواقع المادي عند البياتي هو معيار التعامل مع التراث،وفهم التراث لا يكون إلاّ ضمن هذه الجدلية أي جدلية الواقع والتراث،وإن الأول هو الذي يختار بإرادة واقعية مؤدلجة نماذج التراث الصالحة للتفاعل ضمن حركية المجتمع الاشتراكي،وبناء على هذا يمكن للشاعر أن يؤسس رؤيا ويعّبر عن موقف صريح وواضح من التراث،"ومن هذه الرؤية الجديدة يبدع شعره الجديد،فالإبداع تواصل مع التراث وانقطاع عنه معا،ارتباط به وثورة على الفاسد منه،حتى لا يكون نسخة عنه وتقليدا له،والجديد ليس هدما للقديم بل إنه إعادة قراءة لهذا القديم في ضوء التجربة الحديثة [37].

ويتضح مما سبق أن البياتي قد سار مع شعراء الحداثة الذين لم يقطعوا صلتهم بالتراث معنويا وإنما أحدثوا القطيعة الشكلية والرؤيوية فقط،وحتى إحداث القطيعة بهذا الشكل فهي في الحقيقة إعادة انتشار وضبط للمواقع أمام موجة الهجوم الكبيرة التي واجهها هؤلاء الشعراء بعد الحرب العالمية الثانية،ومنهم حتى من آمن بضرورة قراءة التراث من منظور متحرّر بحيث يكون الواقع هو الرابط الوحيد الذي يربطه بالتراث.

ويلخّص الدكتور نبيل فرج في كتابه "مملكة الشعر" هذه القراءة للتراث نقلا عن البياتي في النقاط الآتية :"

- ضرورة تقدير التراث في إطاره الخاص،من حيث هو كيان مستقل تربطنا به وشائج تاريخية .
- إعادة النظر إلي التراث في ضوء المعرفة العصرية لتقدير ما فيه من قيم ذاتية باقية وروحية إنسانية.
- توطيد الرابطة بين الحاضر والتراث عن طريق استلهام مواقفه الروحية والإنسانية في إبداعنا العصري.
- خلق نوع من التوازن التاريخي بين الجذور الضاربة في أعماق الماضي والفروع الناهضة على سطح الحاضر ..."[38]

ويمكن بعد هذا أن نشكّل موقف البياتي من التراث في هذا الشكل:

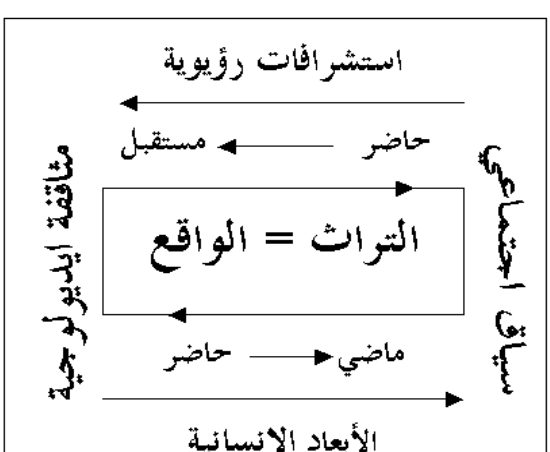

التراث وحركية الواقع

أما الشاعر الناقد محمّد بنيس فقد قرأ التراث قراءة أكاديمية أقرب إلى الموضوعية،فابتعد عن التنظير الذاتي وذهب إلى مساءلة الشعرية العربية في أجزاء من كتابه "الشعر العربي الحديث،بنياته وإبدالاتها"،خاصة في الجزء الرابع منه المخصّص لمساءلة الحداثة.وهنا وجد بنيس نفسه أمام الجدلية الكلاسيكية الأساسية التي يقف عندها كل ناقد أو باحث أو أكاديمي،وهي جدلية التراث والحداثة،فقد"اقتحم الشعر العربي مشروع حداثته في هذا العصر منذ ما يقارب القرن،وصاحب الاقتحام متاعٌ معرفي منشبك برؤيات وممارسات تنظيرية ونصية لها أمكنتُها المتعدّدة،كما لها استراتيجيتها وبرامجها،متفاعلة مع الخارج النصي ومنفعلة به في آن "[39]

إن قراءة بنيس للتراث هي قراءة للتقليدية،ومساءلته للتراث هي مساءلة للتقليدية أيضا،وهذا معناه أن بنيس ينأى في قراءاته عن التنظير المحض المعتمد على الذاتية،ويغوُص في مراجعة شاملة ودقيقة للتراث وفق مصطلح التقليدية الذي يختلف إجرائيا عن المفهوم التراكمي للتراث؛لأن التقليدية،في تقديري،لا تنفي التراث وإنما تُحاكي أجزاء من التراث ضمن الراهن الإبداعي الذي أضحى يرفض الكثير من قيود هذا التراث. إننا"لا نأسف على شيء إذا نحن قلنا إن سؤال الشعر هو سؤال الثقافة العربية الحديثة بامتياز،ولا نتهيبُ إذا نحن أقصينا هذا الحقل أو ذاك في المعرفة أو خارجها"[40].

ويركز بنيس في قراءته للتقليدية على جهة المساءلة،التي قصد بها مجموع التقاليد والمفاهيم النقدية التي رسخت عبر الزمن في الشعرية العربية وظلت تلازم الشعرية المعاصرة في الكثير من تمظهراتها،"وهي جميعها تتشخّص في المعرفة التي توجه القراءة وتضبطها. هذا المفهوم مازال فاعلا في راهن النقد العربي وهو لم يعد يقبل به حتى بعض نقادنا التقليديين. "[41]

وهنا يعرض أمامنا الشاعر مصطلح"الإبدال"الذي قصد به في الكثير من المراجعات النقدية للتراث،سلطة التغيير ورفض الثبات في مقاربة آليات النص الشعري بحيث جعل هذا المصطلح أولوية من أولويات المساءلة،خاصة عندما تصاحب عملية الإبدال-التجاوز عملية إبداع ميزتها الفرادة والعتمة النابعة من ذاتية المبدع الذي تجاوز قيود التقليدية يقول:"تعرض النص وتنظيراته المتعاقبة في الشعر العربي الحديث لإبدالات منذ التقليدية إلى الشعر المعاصر،بين كل إبدال وآخر عتمة لا نستطيع إضاءتها،وتنكتب هذه الإبدالات في تقاطع مع تأويلات مفاهيم الحداثة في شعرنا العربي،وهي التقدم والحقيقة والنبّوة والخيال من خلال انفصالات في الممارستين النصية والتنظيرية،عبر جميع نماذج الممارسة الشعرية."[42]

ويحدّد بنيس بداية الانفصال عن التقليدية إجرائيا وتشكّل الموقف النقدي عند الشاعر العربي الحديث والمعاصر،انطلاقا من جملة الإبدالات المضمونية ثم الشكلية في القرن العشرين،حيث ظهر مستويان أساسيان من مستويات التخطيط للموقف عند الشاعر هما: مستوى الهدم،ومستوى البناء.بدون بلوغ الشاعر هاذين المستويين لا يمكنه أن يحقق غاية الإبدال،لأنّ"إعادة بناء سلسلة

الانفصالات يُبرز خطين متعارضين هما البداية والهدم، يلازمان إبدالات البنايات الشعرية وتنظيراتها في الوقت الذي يتجاوبان فيه مع الأوضاع الاجتماعية-التاريخية للعالم العربي الحديث،وهو ينتقل بين قطبي الهزيمة وإعادة بناء الذات كما يتجاوبان مع الابدالات المعرفية- الشعرية خارج العالم العربي،وخاصة في أوروبا حيث يكون البحث عن السؤال وجوابه."[43]

ويضبط بنيس آلية الإبدال الأساسية في ضرورة إعلاء الذاتية أيضا- شأنه في هذا شأن من سبقه من الشعراء المنظّرين-ولكنه لم يستعمل مصطلح الذاتية،ولا مصطلح اللاعقلانية أو حتى مصطلح تعطيل الحواس،وإنما نادى بوجوب الانتقال من مستوى الاحتذاء المتجسّد في الكلام داخل بنية التقليدية،إلى مستوى الكتابة بناء على مستوى الفردية أو الذاتية لأن"أول ما نقصده هو إبدال بنية الشعر العربي بالانتقال من الكلام إلى الكتابة،ومن التشبيه إلى الاستعارة.هذه القطيعة المعتمدة هي الأخرى على البداية والهدم،تعثر على مرجعيتها في الإبداع المعرفي العلمي الذي كان يسود العصر العباسي الأول. "[44]

إن بنيس لا يرفض في التقليدية إلاّ مستويات الاحتذاء الساذجة التي تعلي الكلام في النظم وفق أطره اللغوية المتداولة. والدليل على ذلك أنه ظلّ منبهرا بأنماط الصياغة والتعبير والكتابة عند العديد من التقليديين،بالمفهوم الزمني للكلمة.خاصة أثناء مرحلة تفاعل الروافد الأجنبية الوافدة علي الثقافة والفكر والإبداع في مرحلة العصر العباسي الأول. ويتطرق بنيس في هذه القضية إلى سلطة الفكر التثاقفي في أوروبا على مجموع الروابط التقليدية،وقدرة هذا الفكر على إحداث شرخ كبير فيها مكنّه من بلوغ مراتب التحديث وإبداع أطر رؤيوية احتوت مجهود هذا الفكر الإبدالي يقول:"في أوروبا الحديثة تمكّنا الإنفصالات النصية وإبدالات ممارساتها من رؤية أسبقية المعرفي وتفاعله مع الاجتماعي-التاريخي"[45].

ويعلل بنيس هذا الموقف ويدعمه من خلال التجربة الفكرية والأدبية لليابان، "فتحديث الشعر الياباني ببذخه القديم يتجاوب مع ما يعرف في التاريخ الياباني بإصلاحات "ميجي"الذي أدخل اليابان إلى العصر الحديث،عبر الانفتاح على المعارف الأوروبية المعاصرة له،ويتبنى نموذجها في الحقول العديدة،العلمية والفلسفية والفنية والأدبية،وهكذا كانت بداية الإبدال...وتجلّت التداخلات النصية مع الشعر الرمزي الفرنسي على الخصوص،ولكن نتائج الحرب العالمية الأولى وزلزال طوكيو1923م كانا مؤثرين على موقف الشعر الياباني من التحديث بنموذجيه الغربي حيث فعّلت هذه الكوارث الاتصال والتفاعل مع الحركات الشعرية التدميرية في الغرب،خاصة السوريالية والواقعية الاشتراكية،وأفضت الحرب العالمية الثانية بعد ذلك،وكوارثها على اليابان،إلى مساءلة العلاقة بالنموذج الشعري الغربي،ثم التخلي عنه في بناء نص شعري ياباني حديث"[46].

ويحدّد محمّد بنيس في معرض ضبط أولويات المساءلة،قوانين الارتقاء من التقليدية إلى التحديث (الحداثة)،ومن اللاموقف إلى الموقف فيما يأتي:

1. تفعيل القراءة للحدث السياسي،وهذا من شأنه أن يشرك الشاعر في مقاربة الواقع بعيدا عن سلطة النموذج من جهة ومخلّفات التقليدية من جهة أخرى لأن المشاركة في تفعيل الرؤيا تجاه الحدث السياسي هو وحده القادر على نقل الشاعر من مستوى الملاحظة والتدوين والتأثر،إلى مستوى المشاركة والتنظير والإبدال[47].
2. الارتباط المباشر والضروري بالتجربة النقدية والإبداعية الغربية،ويرجع ذلك حسب بنيس إلى"أهمية العودة باسمرار في العصر الحديث إلى الغرب لاستلام الجواب عن السؤال الشعري للحداثة،وقد كانت هذه العودة تبحث عن النموذج في نجاح الغرب من ناحية،والممارسة النصية الهادمة في الغرب أيضا.وعن طريق العودة إلى الغرب تتحدّد البرامج والاستراتيجيات الشعرية للحداثة العربية"[48].
3. الابتعاد أثناء عملية الإبدال عن التقيّد بالمبدل على أساس أنه نمط،وإلاّ كان ذلك احتذاء من نوع جديد،فكل تنظيم لابدّ أن يتجاوز ذاته ضمن آلية تحديثية مستمرة لا تؤمن بالثابت،ولا تقف عند الأنموذج إلاّ لتتجاوزه وتبدّله.حيث"يترافق خطّا البداية والهدم مع وضع التنظيرات والممارسات النصية موضع الإلغاء،وبه يتم رجّ شجرة النسب وإعادة بناء السلالات الشعرية،بحثا عن أصول أخرى لحقيقة أخرى تقود إلى التقدّم بواسطة لغة نبوية حديثة لا تفارق الخيال أو التخييل."[49]

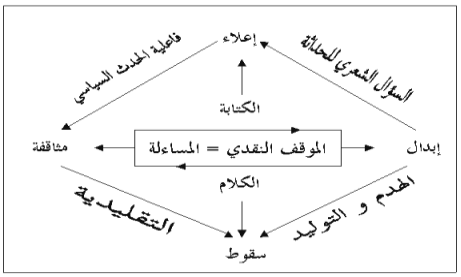

نظري كا... الروّاد المعاص... يها كلّ حسب ... م الأفق والرؤى والقوانين مثل عبد الله حمادي،ومحمد بنيس،ونازك الملائكة،واكتفى آخرون بإعلاء الموقف ضمن فضاء من التشكيل،اختلف من شاعر إلى آخر. فقد انتقل مثلا الشاعر عبد الله حمادي والشاعرة نازك الملائكة،والشاعر صلاح عبد الصبور(هؤلاء الشعراء على سبيل المثال لا الحصر)إلى العمل على تحويل الموقف التنظيري إلى موقف شعري في الكثير من قصائدهم،من خلال توظيف التراث(التقليدية)بطرق وتقانات وأساليب متعدّدة ومبتكرة توسع خلالها التراث العربي وأضحى عند الشاعر الناقد والمنّظر تراثا إنسانيا على مستوى التشكيل الشعري بامتياز.

د. حبيب بوهرور

الهوامش:

(1) - العالم ، محمود أمين : مواقف نقدية من التراث ، دار الفرابي ، لبنان 2004 ، ص 10 .
(2) - المرجع نفسه ص 11 .
(3) - للمزيد ينظر : عصفور ، جابر : قراءة التراث النقدي ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، 1992 ، ص 84 91
(4)- العالم ، محمود أمين : المرجع السابق، ص 12
*5 - حنفي ، حسن : التراث والتجديد : المركز العربي للبحث والنشر ، القاهرة 1980 ، ص 14 .
* وينظر أيضا الصفحات 65 – 131 – 141 – 152 لتفصيل مشروعه الحضاري أكثر .
6 - عزام ، محمد : الحداثة الشعرية ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق 1996 ، ص 38 .
7 - المرجع نفسه : ص 39 .
8 - عباس ، إحسان : اتجاهات الشعر العربي الحديث ، ص 109 .
9 - علاق ، فاتح : مفهوم الشعر عند الشعراء الرواد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2005 . ص 13

(1) ـ العالم ، محمود أمين : مواقف نقدية من التراث ، دار الفرابي ، لبنان 2004 ، ص 10 .
(2) ـ المرجع نفسه ص 11 .
(3) ـ للمزيد ينظر : عصفور ، جابر : قراءة التراث النقدي ، دار سعاد الصباح ، الكويت ، 1992 ، ص 84 91
(4)ـ العالم ، محمود أمين : المرجع السابق، ص 12
*5 ـ حنفي ، حسن : التراث والتجديد : المركز العربي للبحث والنشر ، القاهرة 1980 ، ص 14 .
* وينظر أيضا الصفحات 65 – 131 – 141 – 152 لتفصيل مشروعه الحضاري أكثر .
6 ـ عزام ، محمد : الحداثة الشعرية ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق 1996 ، ص 38 .
7 ـ المرجع نفسه : ص 39 .
8 ـ عباس ، إحسان : اتجاهات الشعر العربي الحديث ، ص 109 .
9 ـ علاق ، فاتح : مفهوم الشعر عند الشعراء الرواد ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق 2005 . ص 13
10 ـ المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .
11 ـ عبد الصبور ، صلاح : الأعمال الكاملة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ج 9 ، القاهرة 1992 ، ص 150
12 ـ المصدر نفسه ، ص 152 .
13 ـ م ن ، ص ص 153 – 154 .
14 ـ م ن ، ص 181 .
15 ـ المصدر نفسه والصفحة نفسها.
16 ـ م ن ، ص ن
17 ـ م ن ، ص 182 .
18 ـ م ن ، ص 182 .
19 ـ م ن ، ص 422 .
20 ـ م ن ص 427 .
21 ـ حمادي ، عبد الله : حوار مع الشاعر أجراه معه نور الدين درويش ،ضمن كتاب سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ،الجزائرط1، 2002م ، ص 38 .
22 ـ حمادي ،عبد الله: المرجع نفسه، ص 38 - 39 .
23 ـ م ن ، ص 39 .
24- م ن ، ص 39 .
* يقصد بالعهد القديم الغربي كتابات هوميروس ، وفرجيل ،ووهوراس وتشيكسبير ،وروسو.
ينظر : حمادي عبد الله : الشعرية العربية بين الاتباع والابتداع ، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين ، الجزائر 2005 ، ص 110
25 ـ حمادي ، عبد الله : المصدر نفسه ، ص 111 .
26 ـ م ن ، ص 120 .
27 ـ م ن ، ص 121 .
28 ـ م ن ، ص 129 .
29 ـ حمادي عبد الله: ديوان البرزخ والسكين، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،الجزائر،ط3 ،2002،ص ص09-10
30 ـ الملائكة ، نازك : الديوان ، ج 2 ، ص ص 20 –21 .
31 ـ الملائكة ، نازك : قضايا الشعر المعاصر ، ص ص 62 – 63 .
32 ـ البياتي عبد الوهاب : الشعر العربي ، والتراث ، مجلة فصول ، مج 1 ، عدد 4 ، جويلية 1981 ، ص 19
33 ـ المرجع نفسه والصفحة نفسها .
34 ـ علاق ، فاتح : مفهوم الشعر عند الشعراء الرواد ، ص 14 .
35 ـ المرجع نفسه ، والصفحة نفسها .
* المقولة لمالكوم كولي ، نقلا عن ساعي ، أحمد بسام ، حركة الشعر الحديث من خلال أعلامه ، ص 382 .
36 ـ ينظر : بوهرور ، حبيب : الواقع والمتخيّل في شعر نزار قباني ، ص 37 .
37 ـ ينظر : علاق ، فاتح : مفهوم الشعر عند الشعراء الرواد ، ص 18 .
38 ـ فرج ، نبيل : مملكة الشعر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1988 ، ص 21 .
39 ، ـ بنيس ، محمد : الشعر العربي الحديث ، بنياته وإبدالاتها ، ج 4 ، مساءلة الحداثة ص 135 .
40 ـ المصدر نفسه، ص 136 .
41 ـ المصدر نفسه والصفحة نفسها .
42 ـ م ن ، ص 138
43 ـ م ن ص 138 .
44 ـ المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .
45 ـ م ن ، ص 139 .
46ـ بنيس ، محمد : مساءلة الحداثة ، مجلة الكرمال ، ع 12 ، نيقوسيا . قبرص 1984 ، ص 18-19 .
47 ـ بنيس ، محمد : الشعر العربي الحديث ، ج 4 ص 139 .
48 ـ المصدر نفسه ، ص 140
49 ـ المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

[45] - م ن ، ص 139 .
[46]- بنيس ، محمد : مساءلة الحداثة ، مجلة الكرمال ، ع 12 ، نيقوسيا . قبرص 1984 ، ص 18-19 .
[47] - بنيس ، محمد : الشعر العربي الحديث ، ج 4 ص 139 .
[48] - المصدر نفسه ، ص 140
[49] - المصدر نفسه و الصفحة نفسها .

- **الأستاذ:** د. جلايلي أحمد
- **المحور:** منهج البحث في التراث المخطوط وسبل حمايته
- **عنوان المداخلة:** منهج تحقيق المخطوط
- **الجامعة:** جامعة قاصدي مرباح ورقلة

العلمي مما دفعني إلى المشاركة فيه لأقدم جهدا متواضعا قصد التعريف بهذا العلم، وتوضيح أهم المراحل والخطوات التي ينتهجها الباحث المحقق.

وتحقيق النصوص ليس وليد العصر الحديث، بل يعود تاريخه إلى عصر الحضارة الإسلامية وازدهار العلوم العربية، حيث أدرك كثير من علمائنا السابقين أهمية هذا العمل، وفي ذلك الزمن عبر بعضهم عن صعوبة إعادة النص إلى أصله وتقويمه، كما ذكر ذلك الجاحظ في كتابه«الحيوان»([26])، وابن الصلاح في عرضه لقواعد مقابلة النسخة بغيرها لتوثيق النص([27])، وجلال الدين السيوطي في معرفة طرق أخذ اللغة والتحمل([28]).

وإذا كان علماء العرب من فقهاء ونحاة على وجه الخصوص قد عرفوا كثيرا من هذه المصطلحات، فإنهم لم يضبطوا للتحقيق قواعد معينة ثابتة، بل كانت أعمالهم تسير وفق اجتهاداتهم وتجاربهم الفردية. ولم يعرف هذا العلم سمة العلمية إلا في العصر الحديث مع ظهور المطابع العربية، حيث وضعت له خطوات معينه، وأسست له قواعد جعلته يرقى إلى درجة العلم ذي المنهج المتميز، وفيه نبغ وتخصص باحثون مستشرقون وعرب ([29]).

فالمستشرقون الألمان أول من كانت لهم ميزة السبق في المؤلفات التي اختصت بتوضيح قواعد التحقيق، وأصول النشر، إذ قدم برجستراسر عام 1931 محاضرات ألقاها على طلبة الماجستير بقسم اللغة العربية في كلية الآداب بجامعة القاهرة ونشرت بعنوان: "أصول نقد النصوص ونشر الكتب".

وتحدث من العرب محمد مندور عن قواعد نشر النصوص الكلاسيكية في نقده لكتاب "قوانين الدواوين" لابن مماتي، في مجلة الثقافة بالقاهرة سنة 1944، وألف أيضا عبد السلام محمد هارون كتابه "تحقيق النصوص ونشرها" سنة 1954، وألف صلاح الدين المُنَجِّد كتابا أسماه: «قواعد تحقيق المخطوطات » سنة 1955.

وجاء بعد هؤلاء علماء آخرون كانت لهم اليد الطولى في هذا العلم منهم: بشار عواد معروف، له كتاب عنوانه: "ضبط النص والتعليق عليه" له طبعة سنة 1982، ومطاع الطربيشي له كتاب: «في منهج تحقيق المخطوطات» له طبعة سنة1983، وحسين محمد سليمان، له كتاب أسماه: "التراث العربي الإسلامي" تحدث فيه عن التعريف بالتراث، وتحدث عن الفهرسة وعن التحقيق والإحياء، حيث عرف التحقيق لغة واصطلاحا، وبين نوع الورق المستعمل عند العرب قديما،كما تحدث عن الخزائن،والنسخ والنساخ، وعن كل ما يتصل بالكتابة والكتاب.

ومن علمائنا الجزائريين الذين قدموا أعمالا في هذا الميدان: أبو القاسم سعد الله، ومختار بوعناني، ويحى بوعزيز –رحمه الله - وعبد الله حمادي، وغيرهم كثير لا يسعني المقام لذكرهم جميعا.

ونظرا لأهمية هذا العلم اهتمت به جامعات العالم ، وأعدت له مقررات خاصة، وأساتذة أكفاء، نرجو أن تسير جامعات الجزائر على نهجهم وتعيد له الاعتبار، في المحافل العلمية لنعيد مجد ماضينا ، ونكشف عن جهود علمائنا في الفكر والحضارة .

كما نرجو أن يكون عملي هذا لبنة من لبنات علمائنا في بناء ثقافة الأمة وتاريخها، وأن يكون نبراسا لطلبتنا في الجامعات الجزائرية.

ولقد اعتمدت في تحديد المفاهيم، وتوضيح منهج التحقيق على جملة من المؤلفات التي تعد من المصادر والمراجع ذات الأهمية ومنها: "أصول نقد النصوص ونشر الكتب" لبرجستراسر، و"تحقيق النصوص ونشرها " لعبد السلام هارون، و"قواعد تحقيق المخطوطات" لصلاح الدين المنجد، "والتراث العربي الإسلامي" لحسين محمد سليمان، وغيرها من الكتب المسجلة في الهوامش.

[26] _ الحيوان : 79/1.
[27] _ مقدمة ابن الصلاح الشهرزوني ، نقلا عن كتاب : في منهج تحقيق المخطوطات ، مطاع الطرابيشي .ص : 30.
[28] _ المزهر في علوم اللغة ، السيوطي .114/1، و ما بعدها .
[29] _ يراجع اصول نقد النصوص ونشر الكتب ، برجستراسر.(مقدمة الدكتور محمد حمدي البكري ، ص : 11)

كما أننا رتبنا هذه المفاهيم وخطوات المنهج ترتيبا عمليا، أي: حسب خطورة المصطلح وأهميته عند ضبط النص.

أولا_ مفهوم التحقيق:

التحقيق في اللغة هو العلم بالشيء ومعرفة حقيقته على وجه اليقين، تقول: حققت الأمر وأحققته، أي: كنت على يقين منه: وتقول: حققت الخبر، فأنا أحقه، أي: وقفت على حقيقته([30]).

أما مفهومه في الاصطلاح: فهو معرفة حقيقة النص كما كتبه مؤلفه، وتقدمه للقارئ مطابقا للأصل.

ويمكن أن نقول فيه: هو الاجتهاد في جعل النصوص واضحة مطابقة لحقيقتها في النشر كما وضعها مؤلفها من حيث الخط واللفظ والمعنى ([31]). ومعنى ذلك أنه ليس من حق المحقق أن يغير ألفاظ النص (المتن)، أو يصحح أسلوبه بالتقديم أو التأخير، أو أن يوجز عباراته بحجة التصويب أو ترقية المستوى العلمي للنص. وفي الوقت نفسه لا يعني أن المحقق ينقل النص بأخطائه الإملائية الناتجة عن التصحيف والتحريف، بل يصحح ويصيب ما ارتكبه النساخ، لأن معظم النصوص لم تصلنا بأقلام مؤلفيها، فالنساخ أنواع: منهم العالم المدقق، ومنهم من تعلم الكتابة والقراءة قصد التكسب وسد الرمق، فلا يعنيه مضمون النص بقدر ما تعنيه زخرفة الشكل وصورة الكتاب([32]). فالغاية من التحقيق هو إخراج الكتاب من عصره القديم إلى العصر الحديث في ثوب يتناسب مع قواعد الكتابة ونظام الإملاء الجديد إضافة إلى سلامة المبنى والمعنى.

ثانيا_ مفهوم التراث العربي:

إن ممارسة التحقيق تعني العودة إلى التفتيش والتنقيب عن التراث الحضاري والفكري، فما هو التراث ؟

أصل كلمة « التراث » من مادة (ورث)، ومعناها اللغوي: هو حصول الوارث على نصيب مادي أو معنوي من تركة الميت، وذلك لسبب من الأسباب المورّثة ([33]).

وأقدم الكتب التي وردت فيه لفظة "ورث" هو القرآن الكريم، ومثاله في قوله تعالى: (وورث سليمان داود)([34])، ومعنى ذلك أن داود_عليه السلام _ أخذ من أبيه سليمان إرث العلم والحكمة، لا إرث المال، فالأنبياء لا يورثون دينارا ولا درهما ،وقال تعالى أيضا: (وتأكلون التراث أكلا لما)([35]). أي: أنكم تأكلون الميراث أكلا، فمن عادة أهل الجاهلية، أنهم كانوا يأكلون ميراث النساء والصغار والضعفاء منهم،ولا يرث منهم إلا من كان شديدا صلبا مقاتلا ([36]).

ومن عادة العلماء اللغويين القدماء عند تفسير ظاهرة نحوية أو صرفية أو غيرها من الظواهر اللغوية أنهم يربطون الكلمة بأصولها، لذلك قالوا: أصل "التراث "هو «الوِرَاث»، أي: بإبدال الواو تاء.

والتراث في الاصطلاح هو ماخلفه السلف للخلف من آثار علمية وأدبية نفيسة تتضاهى بها الأمة في حاضرها، كالعادات والتقاليد والتجارب والخبرات والفنون والعمران والكتب، وغيرها. أي: أن التراث هو وراثة الفكر والحضارة التي أسسها الأجداد([37]). والذي يعنينا هنا من التراث هو الكتاب المخطوط باللغة العربية باختلاف مضامينه.

فالتراث العربي المكتوب والمسموع قبل الإسلام هو مدخل للتراث العربي الكبير، باعتبار أن المساهمين في تدوينه ونقله كانوا يتخذون العربية لغة تعبير وثقافة وفكر، فالمقصود بالعربي في هذا البحث هو من كان عربي اللسان بغض النظر عن أصوله وعرقه.

وخلاصة القول إن المخطوط باللغة العربية هو تراث عربي محض، بصرف النظر عن عرقية مؤلفه أو معتقده الديني، ليخرج منه كل ما كتب بلسان أعجمي تفاديا لكثير من الإشكاليات.

وللوصول إلى معرفة المخطوط لغة واصطلاحا لابد أن نعرج على المراحل التاريخية التي تطور فيها الخط العربي لتكون إضاءة للقارئ، وأخطر هذه المراحل هي مرحلة الجاهلية، أي: الفترة ما قبل الإسلام، إذ يرى بعض الدارسين أنها مرحلة لم يعرف العرب فيها الخط، أي: لم يعرفوا القراءة والكتابة إلا في ظل الإسلام. والظاهر أن هذا الزعم مرفوض لأسباب منها:

_ إن وفرة الكتابات المنقوشة على الحجر وغيره وكذلك المكاتبات التي كانت بين الملوك عربا وأعاجم، حيث ثبت أن رجلا في أواخر الدولة الأموية كان يحتفظ بنسخة من حلف اليمن وربيعة في الجاهلية، كما أشارت المصادر إلى أن عرب الحيرة المناذرة كانت لديهم كتب تحوي أخبارهم وأنسابهم ([38]).

_ ومما يؤكد معرفة العرب للخط تدوين الأشعار الجاهلية وتعليقها على أستار الكعبة، هذه الأشعار المعروفة بالمذهبات أو المعلقات.

_ إن كتبة القرآن لكريم على لسان الرسول _ صلى الله عليه وسلم _ لم يأت من فراغ، إذ كانوا على معرفة سابقة بالقراءة والكتابة.

_ كما أن القرآن الكريم أورد ألفاظا دالة على أن العرب تعلموا الخط، ومنها قوله: (والطور وكتاب مسطور في رق منشور)([39]). وقوله تعالى: (ن والقلم وما يسطرون) ([40])، فلا يعقل أن ترد ألفاظ في القرآن الكريم لا يعرف دلالتها ممن نزل بلغتهم، والذي يعضد هذا القول أن ابن عباس _ رضى الله عنه _ كان يحتفظ بكثير من الصحف التي تسجل الشعر الجاهلي، والذي كان يستخدمه في تفسير بعض الألفاظ القرآنية، ولا يمكن لابن عباس أن يعتمد على شعر مروي شفويا يحتمل كثيرا من القول في تفسير ألفاظ القرآن الكريم، بل كان يستند إلى سجل موثوق في صحته مقيد بالخط العربي([41]).

---

30 _ يراجع رواية اللغة . د/ عبد الحميد الشلقاني .ص :41.

31 _ " المنهج العلمي في البحث الادبي " .د/ حنفي داود .ص : 41. و"في منهج تحقيق المخطوطات "،ص : 31.

32 _ " لسان العرب " ابن منظور . مادة (حقق) . ويراجع : "في منهج تحقيق المخطوطات"،ص:9."والبحث الأدبي" شوقي ضيف .ص: 176.

33 _ التراث العربي الاسلامي،حسين محمد سليمان،ص : 153؛ وتحقيق النصوص ونشرها ، عبد السلام هارون ، ص : 46.(ط 4) .1978.

34 _ أصول نقد النصوص ونشر الكتب .برجستراسر.ص: 18، وضبط النص والتعليق عليه ، يشار عواد معروف .ص:07. 101/2

35 _ لسان العرب ، مادة " ورث ".

36 _ سورة النمل ، الآية : 16.

37 _ سورة الفجر ، الآية : 19.

38 _ التراث العربي الإسلامي ، حسين محمد سليمان ، ص : 14.

39 _ يراجع : التراث العربي الإسلامي ، ص : 17،16.

40 _ المرجع نفسه،ص : 203.

41 _ سورة الطور، الآيتان : (1_2)

بل إن هناك كثيرا من العرب الذين كانوا يعرفون خطوطا أعجمية مثل الآرامية والفارسية والحبشية والرومانية، ومنهم على سبيل المثال: تميم الداري، وورقة بن نوفل، ولقيط بن معمر الإيادي، وعدي بن زيد العبادي ([42]).

وعن أنواع الخطوط العربية التي ظهرت بصورة واضحة في صدر الإسلام كان أولها الخط المكي، نسبة إلى مكة المكرمة، ثم تلاه الخط المدني، نسبة إلى المدينة المنورة ، وكلاهما يتشابهان إذ يتصفان بالتعويج في ألفاتهما ،و بالانضجاع اليسير في شكلهما([43]). وزاد تنوع الخطوط العربية بتحضر الأمة فكان منها الكوفي والديواني والنسخي والرقعي والثلث، والمشرقي والريحاني، والتوماري والبصري، والأنباري، والمغربي والأندلسي، ولكل من هذه الأنواع وغيرها خصائص تميزه .

وطبيعيا أن تكون بداية الخط بدائية، ثم ما لبثت أ ن تطورت وتعددت الأنواع وتزينت الأشكال وتفنن فيها كثير من العلماء والفنانيين، وأضحى عددها يفوق العشرات، وخاصة في أيامنا الزاهرة بالإعلام الآلي الذي أغنى الناسخ عن القلم والورق.

ثالثا _ ما هو المخطوط ؟

إن ما ذكرته هو صورة مقتضبة عن تاريخ الخط العربي وهو تمهيد لمعرفة المصطلح المقصود في هذا البحث.

المخطوط هو ما كتب بالقلم، أو هو الكتاب الذي خط باليد، أو هو النص المكتوب بخط المؤلف، أو بخط أحد الطلاب، أو ما كان منسوخا عن النسخة الأصل، بالخط العربي معتمدا فيه الناسخ على القلم والحبر والورق([44]). فالمخطوط في عرف المحققين هو كل كتاب تراثي قديم تمت صناعته بأدوات ووسائل تقليدية.

وقد يطلق المخطوط أيضا على النصوص الحديثة، سواء كتبت خط المؤلف أو غيره، أو بآلة الطبع، ما لم ينشر نشرة رسمية في المطابع المعتمدة، كمذكرات التخرج، أو رسائل الماجستير، أو أطروحات الدكتورا ه.

ومصطلح المخطوط الذي نعنيه هنا هو النص التراثي الخاضع للقواعد الإملائية وقوانين كتابة العصر القديم من حيث الرسم والرموز والتنظيم المعهود. لأن النصوص الحديثة خاضعة للقواعد الكتابية المعروفة، سهلة القراءة، واضحة المعنى، مما لا يدعو إلى جمع نسخها ومقابلتها لغرض التصحيح والتصويب، الغاية القصوى من التحقيق هو إخراج النص إخراجا كاملا أمينا كما ارتضاه مؤلفه، وأما في النص الحديث فبلغنا الغاية وتحقق القصد.

رابعا _ مفهوم النسخ:

النسخ في اللغة هو الإزالة والتغيير، تقول: نسخت الكتاب، واستنسخته، واستنسخته. أي : نقلت ما في الكتاب إلى نسخة أخرى، والنسخة هي اسم المنتسخ منه([45])، وجمعها: "نُسَخ".

والنسخ في اصطلاح المحققين هو إعادة كتابة نص المؤلف، سواء نقلت عن الأصل، أو عن الفرع، وهو الوسيلة الوحيدة لنشر الكتاب وتوزيعه بين القراء في العصور السابقة، لذلك تعددت النسخ لبعض المؤلفات أو قلت، ذلك بحسب القيمة العلمية.

ومما هو جدير بالذكر أن التحقيق لا يكون صحيحا كاملا إلا بتوفير نسختين من الكتاب فصاعدا لتتم المقابلة وتتأكد صحة متن المؤلف. اللهم إلا إذا توفرت نسخة واحدة للباحث بعد سعيه في الحصول على أخريات وجهوده المتكاملة، فلا تثريب عليه أن يحقق الكتاب لنشره والاستفادة منه، ريثما تظهر نسخة ثانية أو نسخ متعددة منه، وعندئذ يستوفي العمل حقه ويعاد تحقيقه تحقيقا علميا.

خامسا _ ترتيب النسخ:

وإذا توفرت للباحث أكثر من نسخة لكتاب يراد تحقيقه يجب مراعاة ترتيبها بناء على أهميتها وتوثيقها([46])، فنسخة المؤلف أولى من غيرها، وهى الأصل الذي ينبغي أن يعتمد في المقابلة، وتفضل مبيضته على مسودته، وتفضل نسخة قرأها المؤلف أو قرئت عليه، وهى المعروفة بإجازة الإقراء، وتعرف النسخة بتثبيت القارئ أو المقروء عليه في آخر صفحة من الكتاب المخطوط.

وإذا فقدت نسخة المؤلف تفضل نسخة تلميذه على غيره، وهكذا الأقرب إلى المؤلف زمنيا أولى من غيره، أي: كلما كانت ا لنسخة قديمة كانت ذا ت أهمية بالغة.

كما يجب مراعاة الوضوح في الخط بدل الغموض، والكمال بدل النقص الناتج عن محو أو خرق أو تمزيق، أو سقط أو ضياع لورقة أو أوراق. كما يجب أيضا الاعتناء بالنسخة التي دونت بالخط الذي شاع في بلد المؤلف.

هذه الملاحظات كلها تؤخذ بعين الاعتبار أثناء تصنيف النسخ وترتيبها، ولكن قد لا تسير الأمور بهذا اليسر عند التطبيق، فليست أقدم النسخ هي أوضحها وأكملها، بل قد يكون العكس صحيحا في كثير من الحالات.

ومعرفة النسخة الجيدة من غيرها ليس بالعمل البسيط فلا بد للباحث أن يكون على دربة ودراية واسعة بمجال بحثه وأخص بالذكر معرفة الخطوط، وكذا العلم بمصادر وأُمّات العربية مما يساعده على قراءة المخطوط وفهمه، فالمخطوط العربي محفوف بالصعوبات من عدة وجوه:

أ _ إن النسخ الخطية الجيدة الخالية من التصحيف والتحريف والسقط نادرة، وقلما نجد نسخة كاملة سليمة من الخلل ولاسيما نسخة المؤلف.

ب _ إن أكثر المخطوطات العربية لم تصلنا بخطوط مؤلفيها ،أو بخطوط تلاميذهم، بل كان أكثر النساخ لا يحسنون الكتابة في عصرهم ،ومنهم من كانت عنده وسيلة للكسب والعيش فلا يعنيه الجيد من الرديء ([47]).

ج_ إن قواعد الكتابة في العصور السابقة لم تعن بالإعجام، ووضع الحركات الإعرا بية (الضمة، والفتحة، والكسرة، والسكون) المبينة لمعاني النص، فالقارئ هو الذي يتحمل وحده فهم النص بتمييز حروف اللفظ، أو التوجيه الإعرابي أو تحديد مواضع علامات الوقف، وغيرها من الأمور التي تساعد على إدراك مضمون الكتاب. ولا يتحقق هذا الإدراك إلا إذا كان القارئ على معرفة سابقة

---

[42] _ سورة القلم ، الآية 1.

[43] _ التراث العربي الاسلامي ، ص : 209.

[44] _ الأغاني للاصبهاني .101/2.

[45] _ الفهرست لابن النديم، ص: 08.

[46] _ يراجع : "أصول نقد النصوص ونشر الكتب" ، لبرجستراسر .ص : 15. ، و" تحقيق النصوص ونشرها " عبد السلام هارون. ص : 25.(ط4).1978. و" قواعد تحقيق المخطوطات"،صلاح الدين المنجد،ص : 12.و" البحث الأدبي " شوقي ضيف، ص : 176.

[47] _ أصول نقد النصوص ونشر الكتب ،ص : 18. وضبط النص والتعليق عليه .ص : 07.

ومتخصصة في مادة الكتاب، فالطبيب لا يدرك جيدا غاية الفقيه، والفلكي لا يفهم عبارات النحوي، والعكس صحيح على الرغم من أنهم كانوا يمتازون بطابع الموسوعية والشمولية في العلوم.

د _ الإحاطة معرفيا بالرموز العربية القديمة في الكتابة.

هذه نظرة عامة شاملة وليست مفصلة، ففي المخطوطات القديمة دقائق وجزئيات، أنتجتها طبيعة كتابة العصر يجب على المحقق الإحاطة بها ليكون عمله سليما علميا.

ومما هو جدير بالذكر أن هناك كتبا كان لها حظ كبير في الانتشار بحيث تعددت نسخها لشهرتها العلمية أو لصغر حجمها في أماكن متعددة وكانت حظوظ المحقق أكثر إذا جمع نسخا كثيرة للكتاب المراد تحقيقه، بيد أنه اكتشف فيها تشابها كبيرا في أخطائها الإملائية أو في الزيادات أو النقص مما يرجح أنها منقولة عن أصل واحد، ففي هذه الحالة يسعى المحقق إلى فرز كل مجموعة عن حده حسب أخطائها أو حسب الفروق بينها، ويرمز لكل مجموعة أو فئة برمز، مثل: فئة (أ)، وفئة(ب)، وفئة(ج). ويتخذ عند المقابلة نسخة واحدة من كل فئة لتمثل نظيراتها في الهامش أثناء إثبات أوجه الاختلاف.

سادسا _ وصف النُّسَخ:

من الأعمال التي يجب على المحقق أن يقوم بها هي وصف النسخ المعتمدة في التحقيق، فهذه العملية أراها المرحلة الثانية ذات الأهمية في التحقيق بعد جمع النسخ، لأنها الخطوة التي يبنى عليها الترتيب والتصنيف لنسخ المخطوط.

والذي ينبغي أن نشير إليه أن عملية الوصف لا تكون دقيقة وكاملة، إلا إذا كان الباحث معاينا للمخطوط الأصل، أما إذا كانت النسخة صورة منه، أو منسوخة -أي: منقولة عنه نقلا حرفيا _ فلا يرقى الوصف إلى الغاية المنشودة ،بل لاشك أن تفوت الباحث عدة أمور لا يستطيع ضبطها، منها: لون المداد، و مقاييس الصفحة ،ونوعية الورق وغيرها، لأن الصورة أو النسخ الحديث ليس كالأصل، ولأن معرفة هذه الأمور ضرورية تساعد الباحث على تقدير عصر النسخ، من حيث خطه وأخطاؤه ،لا سيما إذا لم تكن النسخة صورة طبق الأصل. والذي يجب على المحقق ذكره في الوصف هو الآتي :

أ- أوصاف المخطوط:

الخط : حالة الخط: واضحا أو جميلا أو غامضا أو رديئا...

نوع الخط: كوفيا، مشرقيا، مغربيا...

لو ن المداد: أسود، أخضر، أحمر ...

الورق : نوع الورق: جيدا أو رديئا.

حالة الورق: قديما أو حديثا أو متآكلا.

لو ن الورق: أبيض، أو أصفر، أو رماديا.

غلاف المخطوط: لونه وما كتب عليه من تعليقات أو توقيعات.

ب_ المقدمة: مقدمة المخطوط: يثبت نص المقدمة كاملا، وبيان كاتبها، سواء أكان المؤلف نفسه، أو الناسخ ، أو من قدم له.

ج_ التعليقات أو التقريرات: يذكر ما هو ذو بال منها، وخاصة إذا كانت الشروح لواحد من العلماء العظام، والتعليقات قد تكون ترجيحا لرأي، أو تفنيدا ، أو توضيحا لغامض.

د_ الحاشية ([48]): إن المقصود بالحاشية هو البياض المحيط بالمتن في صفحة الكتاب، في أيّ جهة من الجهات الأربع منها. والحاشية عند المؤلفين هي شرح لنص ما، لذلك سمي المؤلف المبدع للنص مصنفا، وسمي الشارح حاشيا. وكانت طريقة المتقدمين أن يكتبوا الشرح بجوار النص المشروح، إما في أسفله أو في أعلاه أو في يمينه، وقد يكون في يساره، أو في جهاته الأربع.

هـ الهامش: ومعناه البياض الموجود في يمين الصفحة المكتوبة، وقد يكون أحيانا في يسارها، وقد يطلق أحيانا على الجهات الأربع من الصفحة المكتوبة، وحينئذ لا فرق بين الهامش والحاشية والذيل والإحالة.

و_ الذيل: ومعناه البياض الموجود في أسفل الصفحة المكتوبة.

ز_ الإحالة: هو ما يكتب في ذيل الصفحة من تعليقات أو شروح أو مصادر ومراجع.

وعموما فإن مصطلح الحاشية هو شرح نص لمؤلف ما، وقد يكون المؤلف نفسه شارحا لنصه، أي: هو الحاشي والمصنِّف معا. أما الهامش والذيل فهو البياض في صفحة مكتوبة، ويختلفان باختلاف الجهة. وأما الإحالة فهي ما كتب من تعليقات في أسفل الصفحة ما لم يكن شرحا.

ح_ الإجازات والسماعات: وهذه من عادة العلماء القدامى أو الطلاب أن يقرؤوا الكتاب على عالم شيخ ، وأن يثبتوا أسماء شيوخهم الذين قرؤوا لهم أو عليهم في آخر صفحة من المخطوط. وتسمى إجازة إقراء، أو إجازة سماع، أو إجازة مُنَاوَلة.

ط_ التَّمَلُّكَات: أي: ذكر أسماء المالكين للمخطوطة، سواء كانوا مؤسسات عمومية، أو أفرادا خواصا.

ك_ التعقيبات: وهي الكلمات التي تثبت تحت آخر كل سطر من ظهر الصفحة المخطوطة، لتدل على بداية الصفحة القادمة، أي تدل على تتابع النص، وتعادل في العصر الحديث رقم الصفحة في الكتاب.

ل_ خاتمة المخطوط: يثبت نص الخاتمة بأكمله.

م_ اسم الناسخ: اسم الناسخ بكامله : نسبا ومولدا ومنشأ.

ن_ تاريخ النسخ: ذكر التاريخ باليوم والشهر والسنة.

س_ مكان النسخ: المكان او البلد الذي نسخ فيه المخطوط.

ع_ مسطرة المخطوط: ونعني بالمسطرة ، المقاييس التي يشتمل عليها المخطوط من حيث:

* مقياس الصفحة: أي: طول الصفحة بالسنتيمترات، وعرضها مع بيان مساحة الهوامش.

* عدد الأسطر: أي عددها في الصفحة الواحدة.

* عدد الكلمات: أي في السطر الواحد.

* عدد الصفحات: أي عدد صفحات المخطوطة.

ويمكن وصف الكتاب المخطوط إذا حوى مجموعة من المؤلفات، لأن من عادة القدامى أن يكتبوا أو ينسخوا مجموعة من المؤلفات ضمن كراسة واحدة، كأن يجمعوا بين مؤلف في النحو وآخر في الحساب اقتصادا للورق.

ف_ مكان إيداع المخطوط: بيان اسم المكتبة أو المدينة الحافظة للمخطوط الأصل.

ص_ رقم الإيداع: أي : رقم إيداع المخطوط في المكتبة الحافظة .

هذه أهم الأوصاف التي يجب على المحقق أن يذكرها إن ثبتت في النسخة الموصوفة، لأن بعضها قد لا يدونه الناسخ، مثل اسم الناسخ أو التعليقات، أو الإجازات، أو التملكات، أو تاريخ النسخ ومكانه وغير ذلك، فالوصف الدقيق

---

[48] _ يراجع : المساعد على بحث التخرج ،ص : 130.

للنَسَخ يساعد على تمييز الجيد من الرديئ ، كما يساعد على معرفة الأصل من الفرع .

سابعا_ أخطاء النص:

يصادف القارئ نوعا من الأخطاء في النص ناتجة عن السهو أو الإبهام أو الجهل، ولقد فرق العرب في دراساتهم بين أنواع الأخطاء المرتكبة، ووضعوا لها مصطلحات، نذكر منها وأهمها:

أ_ *السقط*: وهو عدم إثبات كلمة أو جملة أو فقرة في النص ويعود ذلك لسهو الناسخ أو لجهله بالمادة المنسوخة، أو لضياع أوراق من الكتاب المنسوخ.

ب_ *التصحيف*([49]) : هو تغيير الكلام الناشئ عن تشابه صور بعض الحروف التي تنقط للتفريق بين صورها الخطية في الفص القديم المكتوب بغير نقط الإعجام ، مثل : ب.ت.ث. أو: ج.ح.خ. أو : د.ذ. أو : ر. ز....الخ.

أو هو التغيير الناشئ عن نقط الإعراب، والمراد به تشكيل الكلمة بالحركات لا بالحروف، مثل: عَقِيل وعُقَيْل.

فالتصحيف إذن قراءة اللفظ بخلاف ما أراده كاتبه الناتج عن جناس الخط، وكان العرب يضعون فوق الكلمة التي يشتبه فيها كلمة (*صح*) لرفع اللبس ولئلا يساور القارئ فيها ريب.

ج_ *التحريف* ([50]): أما التحريف فهو تغيير اللفظ بإبدال مخل الحروف، كأن يكتب حرف الواو راءا، أو الطاد صادا، أو تغيير بالتقديم والتأخير، كأن يقدم حرفا على آخر، أو يؤخره، مثل: "علم" و"عمل"، و"كتاب"و"كاتب"، أو التغير بالزيادة مثل: قسط وأقسط، أو بالنقص منه، مثل: حديث، وحدث.

وبعبارة أوضح فالتصحيف هو تغيير الصورة الصوتية للكلمة الناتج عن تشابه الحروف فيها، أو لتشابه كلمة بأخرى في الرسم. وأما التحريف فهو تغيير للصورة الخطية، إما بتبديل حرف بآخر، أو بتقديمه أو بتأخيره أو حذفه أو زيادته في الكلمة، وعموما كلاهما تغيير في معنى اللفظ.

ثامنا_ المقابلة:

المقابلة هي قراءة النسخة الأصل، وعرضها على النسخ الأخرى لبيان أوجه الاختلاف في النص المراد تحقيقه. ومثاله أن نقرأ ـ النسخة الأصل (أ) ونقارنها بالنسخة الفرعية (ب)، ونسجل جميع الفروق الموجودة بين النسختين في الهامش ثم نقارنها (أي: الأ صل) بالنسخة (ج) مع تسجيل الفروق، وهكذا دواليك. مع جميع النسخ المعتمدة في تحقيق النص، وطبيعيا أن تكون المقابلة بين جملة وأخرى أو فقرة وأخرى تسهيلا للعمل وتداركا للأخطاء المحتملة الناتجة عن السهو، لا أن تكون بين نسخة وأخرى دفعة واحدة، لأن الهدف هو التأكد من صحة النص في جميع النسخ المخطوطة ، وقد تتم مقابلة النسخ بطرق مختلفة منها:

_(أ) مقابلة شفوية سماعية: وهي أن تقرأ النسخة ولتكن رمز (أ)على مقابل آخر يساعدك في ضبط النص ولتكن لديه النسخة (ب)، فأينما وجد الخلل والاختلاف، وتعارضت النسختان ، استوقفك مساعدك مشيرا إلى الخلل ونوعه ومكانه في النسختين (أ) و(ب).

_ (ب) مقابلة مرئية: وهي أن يقرأ الباحث نفسه النسختين (أ) و(ب)جملة جملة، أو جزءا جزءا، متتبعا أخطاء النسختين معاً، دون مساعدة الآخرين، وهى طريقة مضنية غير أنها قد تكون أفيد وأسلم من الطريقة الأولى التي قد لا نضمن فيها كفاءة القارئ المساعد.

_ (ج) مقابلة آلية: وأعني بها إدخال المخطوطة في جهاز الكمبيوتر عن طريق آلة (SCANNER)، وفي الجهاز يتضح الخط بواسطة تقنيات حديثة، تكبيرا وتصغيرا، وهذه عملية أكثر تيسير وتسهيل لقراءة المخطوطات، وخاصة ذات الخطوط الرديئة، أو الخطوط الدقيقة، أو التي أصابها حِوَلٌ.

والمقابلة الآلية ما هي في الحقيقة إلا مقابلة مرئية مستعينا فيها المحقق بالآلة المذكورة، أو غيرها من الوسائل المساعدة الحديثة، وقد يتوصل الإعلام الآلي إلى معالجة النصوص المخطوطة بتغيير خطوطها القديمة إلى خطوط حديثة، وبهذه الخطوة يرفع عن المحقق جهد القراءة ومعرفة الخطوط بأنواعها وأشكالها وألوانها.

تاسعا_ رموز التحقيق:

المقصود برموز التحقيق هي الرموز أو العلامات المتفق عليها في الكتابة العربية، والغرض منها هو التيسير والتوضيح والاختصار، والرموز في التحقيق أنوع:

أ_ الرموز العربية القديمة: استعمل العرب القدامى حتى القرن السادس الهجري رموزا خطية قصد الإيجاز والاختصار، فلا بد للقارئ من معرفتها والإحاطة بها لتعينه على الفهم الكامل للنص، وإلا اختلت المعاني، وتشوشت الأفكار ومن هذه الرموز ([51]):

- (ا هـ) = تعني انتهى القول.
- (ثنا) = ومعناها: (حدثنا)، وقد تكون بالنقط (ثنـا) وقد تحذف الثاء وتبقى النون (نـا).
- (أنـا) = ومعناها (خبرنا) بإبقاء الهمزة والنون والألف.
- (ص) = ومعناها عبارة: (صلى الله عليه وسلم).
- (صـ) = أي: (ص) ممدودة وتسمى ضبة، أو علامة التمريض، وتعني أن اللفظ الذي وضعت فوقه الصاد فيه مرض أو خطأ أو علة.
- (صح) = توضع فوق اللفظ، ومعناها أن اللفظ على ما هو مثبت صحيح.
- (-) = إذا ضرب فوق لفظ بخط ،فمعناه أنه محذوف، وربما حُوّقَ بنصف دائرة فوق اللفظ، أو الكلام المحذوف، مثل: (كذا).

ب_ الرموز الحديثة: ([52]).

ويقصد بها الرموز الاصطلاحية أو علامات الترقيم التي اتفق عليها العلماء في ضبط قواعد الكتابة الحديثة مع ظهور الطباعة، والتي يجب على الباحث المحقق أن يضيفها في صلب المتن المحقق، وفي المواضع المتفق عليها تسهيلا لعملية القراءة وتيسيرا لفهم الأفكار والصور، ومنها:

- النقطة: (.) وتوضع في نهاية الجملة المفيدة أو في آخر النص.

---

[49] _ يراجع : لسان العرب ، ابن منظور مادة (صحف)،و في منهج تحقيق المخطوطات ،ص: 56.و تحقيق النصوص ونشرها ،(ط2)، ص : 61. و المساعد على بحث التخرج ، ص : 112_113.

[50] _ يراجع : لسان العرب ، مادة (حرف)،وأصول نقد النصوص ونشر الكتب،ص:8.و المساعد على بحث التخرج ،ص : 113.

[51] _ قواعد تحقيق المخطوطات ، صلاح الدين المنجد.ص : 17_20.

[52] _ راجع : تحقيق النصوص ونشرها ، ص : 52. (ط4).1978. قواعد تحقيق المخطوطات ،ص : 23. والمساعد على بحث التخرج ،ص:83.

- الفاصلة: (،) وتسمى الفصلة لأنها تفصل بين أجزاء الكلام وتدل على وقف خفيف.
- الفاصلة المنقوطة: (؛) وتعرف أيضا بشبه الفاصلة، أو الفصلة المنقوطة، والغرض منها هو الوقف المتوسط ليتمكن القارئ من التنفس في الجمل الطوال التي يتكون من مجموعها كلام مفيد.
- النقطتان المتراكبتان: (:) وتستعملان بين القول والمقول، مثل قول الله تعالى:(اقرأ باسم ربك)[53]، أو بين الشيئ وأقسامه،أي: في حالة التعداد والتفسير، مثل :طالبان لا يشبعان: طالب علم، وطالب مال.
- علامة الحذف: (. . .) وأقل نقاطها ثلاثة بالتجاور الأفقي، وتوضع في مكان حذف منه كلام نتيجة محو أو سقوط أو خرق في النسخة، أو إهمال لورقة كاملة ،ولا يجوز وضع علامة الحذف في المتن المحقق إلا إذا ثبت الحذف في جميع النسخ المعتمدة ،أو أشكل على الباحث إعادة المحذوف، فان ثبت النص في نسخة واحدة أو في مصدر آخر أورد النص نفسه، أو اجتهد المحقق في بيان المحذوف أثبته في المتن ويشار إلى مكان الحذف في النسخ الأخرى في هامش النص المحقق.
- علامة التعجب: (!) وتوضع بعد الجملة الدالة على الاستغراب.
- علامة الاستفهام: (؟) توضع في نهاية الجملة المستفهم بها.
- القوسان المزدوجان :<< >> أو علامة التنصيص ويحصران أسماء الكتب، أو الأعلام، أو الأمثلة، أو العناوين، والنص المنقول أو المقتبس بحذافيره.
- القوسان المعقوفان: [ ] أو المعكوفان، أو المربعان، ويوضع بينهما ما أضافه الباحث في النص المحقق، قصد الإيضاح في حالة حذف، أو سقوط للنص أو أجزائه. والمقصود من الإضافة هنا هي إضافة من اجتهاد المحقق، أو من مصادر نقلت النص، لا من النسخ المعتمدة في التحقيق .كما يوضع بينهما أيضا كلمة (كذا) على هذه الصورة [كذا]، ذلك إذا أبهم على المحقق قراءة كلمة أو جملة في النص نتيجة الرداءة في الخط، أو بعبارة أوضح في حالة رسم تقريبي للكلمة المشكوك فيها ويوضع بينهما أيضا الأرقام التي تضاف في المتن الدالة على بداية السطر أو الصفحة من المخطوط الاصل ،سواء كانت هذه الأرقام في صلب المتن، أو في الهامش الأيمن من الصفحة.
- القوسان المزهران: { }: أو الأقواس العزيزية، ويحصران الآيات القرآنية بصفة خاصة.
- القوسان: ( ): ويوضع بينهما ما كان ليس عنصرا أساسيا في الكلام كالجمل المعترضة، وألفاظ الاحتراس، والتفسير، والأرقام الدالة على الإحالات، والأسماء الأعجمية، وكل ما كتب بلغة أجنبية.
- الخطان العموديان: | |: يستعملان لتحديد بداية ونهاية النص المختلف فيه في نسخ التحقيق، ومن المحققين من يكتفي بوضع رقم الإحالة في نهاية الكلام المثبت الذي اختلفت فيه النسخ، وإننا لنرى وضع العمودين أحسن من وجهين:

الأول: ليسهل على القارئ تحديد النص المختلف فيه، دون الرجوع إلى رقم الإحالة في الهامش.

الثاني: وضع العمودين اختصار لما يكتب قي الهامش، لأن وضع الرقم دون العمودين يؤدي إلى تحديد النص المختلف فيه بداية ونهاية في الإحالة.

- الخط المائل: / : إشارة إلى بداية صفحة المخطوط الأصل، وقد يكون في بداية الصفحة أو في وسطها ، مرفوقا برقم الصفحة المخطوطة، إما بجواره، أو في يمين صفحة التحقيق .
- العارضتان:(- -) : تحصران الجمل الاعتراضية، وتسمى أيضا بالمطتين.

ج_رموز الأعداد المتغيرة: وأقصد بها الرموز التي يختارها المحقق للنسخ المعتمدة في المقابلة، حيث ترتب النسخ المتوفرة حسب أهميتها، كما أشرت إليه في النسخ وتصنيف النسخ، إذ يشار إلى كل نسخة برمز معين ومختلف عن غيره خوفا من اللبس، وتختلف طريقة الترميز من باحث إلى آخر، ومنها:

- الترتيب بالحروف الهجائية الألفبائية.
- الترتيب بالحروف الأبجدية. وهذه الحروف جمعت في كلمات مرتبة ليسهل حفظها وهي: أبجد، هوز، حطي، كلمن، سعفص، قرشت، تخذ، صظغ.
- الترتيب بحسب مخارج الحروف: اختلف علماء العرب القدامى في ترتيب الحروف حسب مخارجها ،وأذكر هنا ترتيبات ثلاثة وهي:

أ ترتيب الخليل:
ع/ه-/ح/غ/ق/ك/ج/ش/ض/ص/س/ز/ط/ت/د/ظ/ذ//ث/ر/ل/ن/ ف/ب/ء/
ي/و/ا.

ب) _ ترتيب سيبويه:
ء.ا./ع/ح/غ/خ/ق/ك/ج/ش/ي/ض/ل/ن/ر/ط/د/ت/ز/س/ص/ظ /ذ/ث/ب/م/و/.

ج)_ ترتيب أبي علي القالي:
ه-/ح/ع/خ/غ/ق/ك/ض/ج/ش/ل/ر/ن/ط-/د/ت/ص/ز/س/ظ/ذ/ ث/ف/ب/م/و/ا /ي.ء.([54]).

- الترتيب بحسب الحرف الأول من اسم المكتبة الحافظة للنسخة: ومثاله إن حفظت بدار الكتب المصرية، رمز لها بحرف (د) أ و(ك) وإن حفظت بالمكتبة الوطنية رمز لها بحرف (م) أ و(و).
- الترتيب بحسب الحرف الأول من اسم المدينة التي وجدت بها النسخة :ومثاله إن وجدت نسخة بمدينة ورقلة رمز لها بالحرف(و) ويستحسن في هذه الحالة أن يرمز بالحرف الثاني من اسم المدينة وهو الحرف (ر)، وذلك أمنا للبس بين الرمز، وحرف العطف (الواو)، وإن وجدت نسخة بمدينة تلمسان رمز لها بالحرف (ت)، أو يرمز لها بالحرف الثاني منها وهو (ل)، وهذا في حالة تشابه الرموز لئلا تختلط على القارئ، وقد يرمز بالحرفين معا على التوالي، مثل (تل)، إن كانت المدينة تلمسان، و(قس) إن كانت قسنطينة ، وهكذا ....

---

[53] _ سورة العلق ، الآية (1).

[54] _ يراجع : المساعد على بحث التخرج ، مختار بوعناني .ص : 134...137.

- الترتيب بحسب الحرف الأول لاسم الناسخ: فإن كان اسم الناسخ هو "أحمد بن محمد بن محمد " يرمز له بالحرف (أ).

وخلاصة القول تتنوع طريقة الترميز، من باحث إلى آخر حسب ما يراه صالحا مفيدا في عمله، لأن الغاية من الرمز كما أسلفنا هي التوضيح والتبيين لا غير.

إن العلامات أو الرموز التي أشرت إليها هي في نظري جديرة بالذكر، ولا يمكن لأي محقق أن يهملها في بحثه، أو يتخلى عنها أثناء ضبط النص المحقق، لأنها إن سقطت من النص اختلت الأفكار وتداخلت، ولا يفهم النص بالسهولة المرجوة من التحقيق.

عاشرا _ ماذا يجب على المحقق ؟

بعد اختيار المخطوطة، وجمع نسخها، ثم تصنيفها، يتوزع عمل المحقق على محورين كبيرين هما:

أ _ محور التحقيق: وهي العملية الأولى والحاسمة التي تجابه المحقق في ضبط النص، فإخراج النص من صورة قديمة إلى صورة حديثة ليس بالأمر السهل، ومن أهم خطواتها:

- تنظيم مادة النص، ورسمه بالطريقة المتعارف عليها في الكتابة الحديثة، يخضع إلى جمل، وفقرات مقسمة بعلامات الوقف .
- تقييد النص بالحركات لإظهار المعاني ودفع الإبهام على القارئ، وخاصة الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، والأشعار، والأمثال، والأعلام و...
- تدوين النص بعد ترجيحه أثناء مقابلة جميع النسخ المعتمدة، أو العودة إلى المصادر القديمة التي أوردت النص نفسه.
- ترقيم الإحالات في النص.
- إضافة ما سقط من النص، سواء كانت كلمة أو فقرة.
- تصويب أخطاء النص، الناتجة عن التصحيف أو التحريف أو الرسم.

(ب) _ محور الدراسة: وأعني بها كل جهد قام به المحقق بعيدا عن النص، وأراها كالآتي:

- _ توضيح منهج التحقيق.
- أسباب اختيار المخطوط.
- التأكد من نسبة المخطوط إلى مؤلفه.
- نبذة مختصرة عن حياة المؤلف إن كان معروفا، ومطولة إن كان مغمورا.
- أهم مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة.
- توضيح مضمون المخطوط، وبيان موضوعاته بالتفصيل .
- توضيح منهج المؤلف، وبيان مذهبه، أي: مدرسته العلمية.
- عرض لأهم نسخ المخطوط المتيسرة ، والمتعسرة .
- وصف كامل للنسخ المعتمدة في التحقيق، مع إثبات صفحات صورة مطابقة للأصل، سيما للنسخ القيمة.
- تأكيد أو نفي النقول التي اقتبسها المؤلف عن غيره، بعد الرجوع إلى مصادرها ومضامينها.
- شرح الألفاظ الغريبة والمصطلحات الواردة في المخطوط بالاعتماد على المعاجم العربية القديمة ([55]).
- التعريف بالمبهم المغمور من أسماء الناس الكتب ، والبلدان ، و...
- تخريج الآيات القرآنية، بضبط اسم السورة، ورقم الآية ،وإكمالها إن اقتصر المؤلف فيها على الشاهد فقط.
- تخريج الأحاديث النبوية، بالاعتماد على كتب الحديث الموثوقة وهى الكتب الستة الصحيحة.
- تخريج الأشعار، ويشتمل على: اسم الشاعر،وديوانه، كما يمكن الإشارة إلى البيت السابق أو اللاحق إن اقتضت الضرورة.
- تخريج الأمثال والحكم.
- موازنة موضوع النص مع غيره من النصوص الأخرى المشتركة في تناوله وعرضه وموضوعاته.
- صناعة الفهارس، وهى متعددة حسب موضوع النص، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أ _ فهرس الآيات القرآنية
ب _ فهرس الأحاديث النبوية
ج _ فهرس الأشـعار
د _ فهرس الأعـلام
هـ _ فهرس الكتب
و _ فهرس البلـدان
ز _ فهرس المصطلحات
ح _ فهرس القبائـل
ط _ فهرس اللهجات
ى _ فهرس المصادر والمراجع
أي _ فهرس الموضوعات الواردة في الكتاب المحقق

حادي عشر _ كيف تختار كتابا للتحقيق؟

إن التحقيق ليس عبثا أو عملا عشوائيا، فهو علم ذو فائدة عظيمة تتمثل في إخراج الكتب القيمة، ونشرها بين القراء في ثوب جميل، لذلك يجب أن نختار المخطوط الذي يحمل في ثناياه علما أو أدبا أو فناً، لغرض الإفادة والاستفاد. كما يجب أن نتجنب تكرار تحقيق الكتب، إلا إذا كانت الحاجة ماسة في إعادة التحقيق، وتوفرت الأسباب الداعية لذلك كتصويب الأخطاء الفادحة التي ارتكبها المحقق السابق، أو الحصول على نسخ ذات أهمية لم تعتمد من قبل، أو غير ذلك من الأسباب القوية.

وبناء عليه يجب على الباحث المحقق التأكد من عدمية التحقيق، وذلك بالاطلاع على فهارس المخطوطات والمجلات أو المعاجم المصنفة حديثا الذاكرة لعناوين المخطوطات العربية وأسماء مؤلفيها وأماكن تواجدها، ومنها:

_ مجلة « لغة العرب» للأب أنستاس ماري الكرملي، سنة 1911.

_ مجلة « المشرق » للآباء اليسوعيين سنة 1916.

_ مجلات « المجمع العلمي العربي» في دمشق، وهي أعداد خاصة بإحياء المخطوطات ظهرت سنة 1921.

_ مجلات « المجمع العلمي العربي » في مصر، وهي مجلات خاصة بالإحياء ظهرت سنة 1935.

_ مجلات « المجمع العلمي العراقي » سنة 1948 ([56]).

ومن أهم الكتب الحديثة التي أحصت المخطوطات العربية، وأشارت إلى نسخها في مختلف المناطق كتاب:

---

[55] _ يراجع : تحقيق النصوص ونشرها ، (ط2) .ص : 56_58.

[56] _ يراجع رواية اللغة . د/ عبد الحميد الشلقاني .ص :

«تاريخ الآداب العربية» لكارل بروكلمان، وكذلك « معجم المطبوعات العربية والمعربة» لإلياس سركيس، وكتاب: «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة، بالإضافة إلى دليل المخطوطات في المكتبات العربية والأعجمية.

وقد يفيد الباحث المحقق أيضا في جمع النسخ سؤال أهل العلم، وخاصة المهتمين بالموضوع الباحثين في التراث العربي، والأفيد من هذا أن يزور المكتبات – وخاصة المهجورة منها- ويفتش رفوفها عسى أن يجد ما لم يوثق ويشهر وكان كنزا مغمورا.

ثاني عشر _ شروط التحقيق:

يلتزم الباحث في أي بحث علمي بشروط معينة أكد عليها كثير من العلماء([57])، والباحث المحقق هو أكثرهم التزاما بها،وفي هذه المناسبة أؤكد على جملة من الشروط نراها عمدا في التحقيق، وهي:

_ المعرفة الشاملة والكاملة بالمادة المحققة، لاسيما مضمون المخطوط، وأنواع الخطوط العربية، والإحاطة بالمصادر التراثية.

- الصبر وعدم التماطل لضمان الاستمرارية في البحث.
- بذل الجهود المادية والمعنوية في سبيل إنجاح العمل.
- الأمانة العلمية، أي: ضبط النص بوفاء كما أراده مؤلفه.

هذه الشروط أساسية في نظري ،لابد من مصاحبة الباحث إياها، لأن عناء جمع النسخ ترحالا ومراسلة يكلف الباحث جهدا جهيدا ،ماديا كان أو معنويا ،لاسيما عند تعسف الساهرين على حماية المخطوطات الناتج عن عادات وتقاليد، أدت بالمالكين إلى تقديسها وحرمان الباحث من الاطلاع عليها، قراءة أو تصويرا ،سواء كان ذلك عن جهل بفائدة التحقيق العلمية والحضارية، أوكان هذا الحرمان عمدا لكونه صار عند بعض الباحثين أو القيّمِين عليه تجارة رابحة.

هذه الأعباء قد تثبط عزيمة الباحث وتكسر شوكته وقد يدبر إذا لم يكابد ويصمد، وإذا تخلى عن كشف جزء من ماضيه، فإنما تخلى عن مسؤولية حملها إياه المجتمع والتاريخ.

وفي ختام هذا المقال نقول إن هذه الرؤية ليست جديدة في علم التحقيق للتراث العربي المخطوط، بل هي خلاصة الآراء المختارة للباحثين، بالإضافة إلى ما استفدناه من تجربة قصيرة في هذا المجال.

إنما الجديد في هذا البحث هو الإحاطة الشاملة بما يمكن أن يقوم به الباحث المحقق، أو بالأحرى الباحث المبتدئ، حيث أشرنا إلى جميع الخطوات الهامة في التحقيق قبل ضبط النص أو بعد الضبط. والجديد في هذا البحث أيضا إننا رجحنا ما رأيناه مفيدا في التحقيق وأهملنا كثيرا من الآراء التي ليست لها صلة بالعلم. والجديد أيضا إننا حاولنا أن نيسر مفهوم المصطلحات بأسلوب يتناسب ومستوى الطالب المبتدئ في هذا الميدان، مركزين على ما هو خطير وذو أولوية في التطبيق عند ضبط النص كما أراده مؤلفه في زمانه.

وهما يكن فإن هذا العمل قد يكون جهدا نساهم به في علم التحقيق، وغايتنا منه أن نقرب المفاهيم والمنهج للباحث المحقق.

فهرس المصادر والمراجع

_ القرآن الكريم.

1_ أصول نقد النصوص ونشر الكتب، برجستراسر. إعداد محمد حمدي البكري (د.ط) مطبعة نهضة مصر.(د،ت).

2_ أضواء على البحث والمصادر. د.عبد الرحمن عميرة (ط2). مكتبة عكاظ للنشر والتوزيع.جدة، المملكة العربية السعودية ، 1981م.

3_ الأغاني، للأصبهاني، (ط6) تحقيق لجنة من الأدباء، دار الثقافة بيروت.1983م.

4_ البحث الأدبي،(طبيعته، مناهجه، أصوله، مصادره) شوقي ضيف.(ط6) دار المعارف، مصر، (د.ت)

5_ تحقيق النصوص ونشرها،عبد السلام هارون .(ط2)مؤسسة الجلي وشركائه للنشر والتوزيع، القاهرة 1965م.، و(ط4) 1978م.

6_ التراث العربي الإسلامي،(دراسة تاريخية ومقارنة)د. حسين محمد سليمان(د.ط) ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.(د.ت).

7_ الحيوان. للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون،(ط3) دار إحياء التراث العربي. بيروت.1969.

8_ رواية اللغة. عبد الحميد الشلقاني. (د.ط) دار المعارف .مصر .1971م.

9_ ضبط النص والتعليق عليه، د. بشار عواد معروف.(د.ط). مؤسسة الرسالة، بيروت_ 1982م.

10_ الفهرست، لابن النديم، تحقيق مصطفى شويمي (د.ط) الدار التونسية للطبع، تونس، 1985م.

11_ في منهج تحقيق المخطوطات، مطاوع الطرابيشي.(ط1) دار الفكر، دمشق، 1983م.

12_ قواعد تحقيق المخطوطات. صلاح الدين المنجد(ط5) دار الكتاب الجديد، بيروت،1976م.

13_ لسان العرب. لابن منظور. تحقيق علي شيري (ط1) دار احياء التراث العربي، بيروت .1988م.

14_ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم وآخرين. المكتبة العصرية، بيروت، 1985م.

15_ المساعد على بحث التخرج.د.مختار بوعناني(ط1)، دار الفجر،للكتابة والنشر، وهران، (الجزائر)، 1995م.

16_ المنهج العلمي في البحث الأدبي د.حامد حنفي داود(د.ط) ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر .1983م.

[57] _ " المنهج العلمي في البحث الادبي " .د. حنفي داود .ص : 41. و"في منهج تحقيق المخطوطات "،ص : 31.

• الأستاذ: د. دباغ محمد
• المحور: منهج البحث في التراث المخطوط وسبل حمايته
• عنوان المداخلة: طريقة ضبط النص المخطوط وإخراجه
• الجامعة: جامعة أدرار –قسم الشريعة-

مطابقة أو مقاربة للنص الأصلي فان هده العملية تحتاج إلى جملة من الأسس والقواعد من بينها عملية المقابلة المعروفة بتقنياتها وأساليبها وتليها عملية الضبط والإخراج التي تقتضي جهدا خاصا من المحقق إلى جانب الخبرة بالخطوط ومصطلحات النساخ كما هو معلوم في مجاله.

وسنبين من خلال هذا البحث أهم قواعد ضبط النص المخطوط وإخراجه حسب الخطوات الاتية :

أولاً:تعريف الضبط :

الضبط لغة الحفظ جاء ومختار الصحاح ضبط الشيء حفظه بالحزم وبابه ضرب ورجل ضابط أي حازم[1]

والضبط في الحديث الإحكام يقال فلان عدل ضابطا[2]

واصطلاحا :يعرف ضبط النص بأنه تمييز الألفاظ المتشابهة رسما بتقييدها بالحركات. قال محمود حامد عثمان المقصود بضبط النص إضافة الحركات إلى الكلمة فيتعين على المحقق في الضبط أن يشكل من الألفاظ ما يشكل وان يقيّد بالحركات الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأمثال والشواهد، والمشتبه من الأعلام والغريب من الألفاظ وما قد يلتبس أو ينبهم من المصطلحات والتراكيب [3]

- ويشترط للمحقق الضابط جملة من المعارف منها :

1- العلم بالخطوط وأوجه الرسم

ومن دلك كلمة مائة بين المتقدمين والمتأخرين فإنها عند المتأخرين تكتب بألف لئلا تلتبس بلفظ منه

2- العلم بقواعد الإملاء

3- العلم بقواد النحو

4- ما يذكر من معارف خاصة بالمقابلة مصطلحات الفن المحقق فيه - النساخ–تاريخ العلوم والرجال....[4]

ثانياً: قواعد الضبط : تتخلص خطوات ضبط النص المحقق فيما يلي :

1- ضبط اللفظ بحركات الشكل عند كون وجه الضبط واحداً [5]

2- ضبط اللفظ بالحركات كتابة عند تعدد اوجه الضبط في كلمة واحدة [6] وهنا لابد من الإشارة إلى أن الحروف لها أسماء ومصطلحات وهي :

الإعجام والإهمال :

فالحرف المنقوط سمي معجما والحرف غير المنقوط سمي مهملا[7]

وإلى هدا أشار البوصيري في بردته متمثلا:

والكاتبين بسمر الخط ما تركت
أقلامهم حرف جسم غير منعجم [8]

- تسمية الحروف المتشابهة حسب نقط الاعجام

الباء :الموحدة التحتية
الياء :المثناة التحتية
النون :الموحدة الفوقية
القاف :المننناة الفوقية
الفاء :المثناة التحتية

3- إثبات اللفظ الأصلي ولو كان خاطئاً إذا كان بخط المؤلف مع ضرورة إصلاحه في الهامش [9] وهذا عند عدم اعتماد نص مختار.

4- ضبط الكلمات التي لم يضبطها المؤلف كتابةً ورأى المحقق ذلك [10]

5- الرجوع في ضبط كل نوع من الألفاظ إلى مصادره الخاصة [11]

أمثلة عن الضبط الذي يقع من غير مقابلة

1. ما وقع في مخطوط ألفاظ الواقفين لأبي يحي الحطاب قوله ((مسألة تسليت عنها)) [12] والصحيح سئلت عنها بدليل التشابه في الرسم، ولعل سبب توهم الناسخ عائد إلى :

أ- التشابه في الرسم المذكور أنفا.

ب- عدم رسم الهمزة على النبرة وتعويضها بياء.

2 - ومما يقع من ضبط الألفاظ في أسماء الأعلام إيراد اسم البرزلي بإضافة الواو بعد الزاي والثابت في كتب التراجم حذفها [13] حيث جاء في المخطوط ((ثم ذكروا أنه وجد في مسائل الحبس من نوازل البرزولي .....))[14]

3. جاء في مخطوط تلقيح الألباب لابن السراج التشترينى[15] النص الآتي: ((وقال سعيد بن سليمان : دخلت على الرشيد)) في اسم سعيد بن سليمان تصحيف ويظهر ذلك من خلال الرجوع إلى مصادر ترجمته حيث كانت وفاته سنة 421 هـ، ووفاة هارون الرشيد سنة 180 هـ، فنلاحظ فرقاً كبيراً بينهما في الزمن والصواب أنه سعيد بن مسلم الباهلي[16]

ثالثا: أثر علامات الترقيم في ضبط النص المحقق:

إن توضيح معالم النص له أثره البالغ في ضبط النص وإتقانه، فيتعين على المحقق العناية بهذا الأمر، وذلك لا يحصل إلا بالاعتناء بتمييز الفقرات والمقاطع تمييزاً يستند إلى المعنى

ويدخل في هذا السياق ضبط علامات الترقيم واستعمالها استعمالا دقيقا وفيما يلي نبين أهم علامات الترقيم واستعمالاتها:

1- الفاصلة: وتستعمل لتمييز بعض أجزاء الكلام عن بعض ومن مواضعها[18]:

ا- بين الجمل.

ب- بين الكلمات المفردة المتصلة بكلمات أخرى.

ج- بين أنواع الشيء وأقسامه.

2- الفاصلة المنقوطة

والغرض منها أن يفق القارئ وقوفاً متوسطاً وأكثر استعمالاتها في موضعين[19]:

أ- بين الجمل الطويلة التي يتركب من مجموعها كلام مفيد.

ب- بيم جملتين تكون الثانية منهما سبباً في الأولى.

3- النقطة: وتوضع في نهاية الكلام التام المعنى.
4- النقطتان: وتوضعان لتوضيح ما بعدهما.
5- علامة الاستفهام: وتوضع في نهاية الجملة المستفهم بها عن شيء.
6- علامة التأثر وتوضع في أخر الجملة التي يعبر بها عن فرح أو حزن أو تعجب أو دعاء.
7- القوسان: ويوضع بينهما الكلام المعترض الذي لا يؤثر حذفه في استقامة المعنى.
8- علامة التنصيص: ويوضع بين قوسيها المزدوجين كل كلام ينقل بنصه وحرفه.
9- الشرطة أو الوصلة: وتوضع بين ركني الجملة وبين العدد والمعدود.
10- علامة الحذف: وتستعمل عند طول الاقتباس وهي ثلاث نقاط تبين أن الكلام محذوف (...)[20]

رابعاً: شرح المصطلحات

من أهم ما يتعلق بخدمة النص المحقق وضبطه وإن كان لا يتصل بالضبط اتصالا مباشراً هو شرح المصطلحات، لأن كثيراً من كتب التراث كتبت بمصطلحات قديمة تحتاج إلى إيضاح وتيسير للقارئ المعاصر.

ولذلك كان لا بد من شرح المصطلحات الغامضة وفق المعالم الآتية: [21]

1- توضيح ما فيه خفاء من عبارات المؤلف.
2- ربط مباحث الكتاب بعضها البعض وذلك بتعيين مواضع الإشارات التي يذكرها المؤلف كقوله : سيأتي ذكر كذا، أو سبق ذكر كذا ، فعلى المحقق أن يذكر الصفحة السابقة أو اللاحقة. [22]

ويلزم المحقق عند شرح المصطلحات الرجوع في كل فن إلى مصادره

وهكذا يتضح أن شرح المصطلحات يساهم في ضبط النص المحقق وإن كان لا يتوقف عليه.

التخريج:

التخريج لغة مصدر من خرّج يقال خرّج الحديث أي أخرجه أو خرّجه في العلم أو الصناعة أي دربه وعلّمه[23]

والتخريج في الحديث علم يذكر مصادر الحديث الأصلية إما بحكم عليه أولا[24]

والتخريج في علم التحقيق هو إرجاع النصوص المنقولة إلى مصادرها التي استقاها المؤلف منها [25]

وعرفه الدكتور حسين محفوظ بقوله: ((التخريج هو تحديد مواطن النقول في النص وتصحيحها وضبطها وإكمالها ونسبة ما لم ينسب منها إلى مصادره وأصحابه)) [26]

- والهدف من التخريج هو التوثيق والتصحيح ولذلك يقتصر فيه على ما يحقق هذين الهدفين.

ومن أهم فروع التخريج: [27]

1- تخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والآثار والأشعار وأقوال العرب والأمثال ولكل هذه الفنون مصادره الخاصة. [28]
2- التعريف بالأعلام والكتب والفرق والمواضع.
3- تخريج النصوص التي نقلها المؤلف ونص على نسبتها لصاحبها.
4- تخريج النصوص التي نقلها المؤلف ولم ينص على نسبتها.
5- تخريج النصوص التي وردت في كتابه ولم ينص على أنه نقلها[29]

الخاتمة

إن ضبط النص المحقق من أهم عناصر التحقيق، وهو عملية علمية دقيقة تتطلب إلماما كبيراً بمعارف شتى، كما تتطلب عناية خاصة وجهداً مضنياً يقوم به الباحث المحقق حتى يمكنه أداء مهمته على أكمل وجه.

ومن خلال دراستنا لمبحث الضبط والتحقيق يمكننا استخلاص النتائج الآتية:

1- دقة المناهج المتعلقة بدراسة التراث عموماً وتحقيق المخطوط خصوصاً.
2- حرص الباحثين في التراث قديماً وحديثا على قواعد التأليف والتحقيق التزاما بالأمانة العلمية.
3- إن البحث في قواعد التحقيق يكسب الباحث ملكة التحرّي والنقد، ويسهم بجلاء في تكوين شخصيته العلمية.
4- إن عملية ضبط النص المحقق وإخراجه تعد المرحلة ما قبل الأخيرة في عملية التحقيق لأنها ستتبع بما يعرف بمكملات التحقيق.
5- ضرورة مزيد الاهتمام بالبحث في التراث المخطوط تحقيقاً ودراسة لما له من قيمة علمية وحضارية.

الهوامش:

(1) مختار الصحاح مادة ضبط، ص 332.
(2) معجم اصطلاحات الأحاديث النبوية، عبد المنان الراسخ، ص 84.
(3) المرشد إلى تحقيق المخطوطات العربية، ص 85
(4) ينظر: محمد دباغ، دراسات في التراث، مقال بعنوان: مقابلة النسخ المخطوطة، ص 61.
(5) المرشد إلى تحقيق المخطوطات العربية، ص 85
(6) م ت، ص 85
(7) ينظر مصادر تاريخ النحو، والخط العربي ومنها مراحل تطور الدرس النحوي، عبد الله الخثران، ص 57.
(8) بردة المديح النبوي.
(9) المرشد إلى تحقيق المخطوطات، ص85.
(10) م ت، ص86.
(11) م ت ص86.
(12) ألفاظ الواقعين لأبي يحي الحطاب مخط : [1] و
(13) ينظر ترجمته في نيل الابتهاج 369.
(14) ألفاظ الواقعين مخط : [1] و
(15) تلقيح الألباب، ابن السراج الشنتريني، تحقيق أحمد الحسن، ص 97.
(16) كيف تحقق مخطوطا، أحمد الحسن، مقال على موقع منتديات المخطوطات 2006/11/12 ص 502.
(17) المرشد إلى تحقيق المخطوطات 87.
(18) مناهج تحقيق التراث ، رمضان عبد التواب: 207.
(19) م ت : 208.
(20) م ت: 210، وينظر المرشد إلى تحقيق المخطوطات ص 87.
(21) المرشد إلى تحقيق المخطوطات 89.
(22) م ت: 89.
(23) المعجم الوسيط مادة خرج، مختار الصحاح : 151.
(24) معجم اصطلاحات الأحاديث النبوية : 37.
(25) تحقيق التراث: عبد الهادي الفضل : 171 .
(26) م ت : 171 ، وينظر عالم الكتب 650/1.
(27) المرشد إلى تحقيق المخطوطات 90.
(28) ينظر: عبد الهادي الفضل، تحقيق التراث: 172.

• الأستاذ: د. حمليل صالح
• المحور: منهج البحث في التراث المخطوط وسبل حمايته
• عنوان المداخلة: الحماية القانونية للتراث المخطوط في القانون الجزائري
• الجامعة: جامعة أدرار –قسم العلوم القانونية-

الوطني الاقتصادي والاجتماعي من طرف السيد رئيس الحكومة من أجل بحثه ودراسته، ومما جاء في رأي المجلس (اختصارا الـCNES) أن :"التراث الوطني نتاج عملية تاريخية عميقة تضافرت في إنجازه جملة من العلاقات والظروف عبر مختلف الفترات، مما يجعله مرجعا حيا للواقع والتاريخ، كما يمكنه أن يكون عامل إحياء وتجديد إذا أحسن استعماله. وهكذا يكتسي التراث أهمية خاصة في بروز الهوية وتكوين الشخصية الوطنية، كما يشكل أحد الركائز الأساسية في بلورة شخصية المواطن الجزائري المعتز بهويته وتاريخه الحافل بالشهادات البارزة والمعالم الثابتة والذاكرة الجماعية الحية.."

ونظرا لأن الرأي اشتمل على العديد من المسائل، فإن بحثنا هذا يتناول بالخصوص أحد مكونات هذا التراث، ويتعلق الأمر بالمخطوط، باعتباره يشكل تراثا منقولا يكتسي أهمية كبرى في إحياء ذاكرة الأمة من زاوية الحفاظ على موروثها الثقافي.

وما يجب التذكير به هنا أن المخطوط لم يرد بخصوصه أي نص قانوني خاص، وإنما جاء متضمنا في جملة من النصوص القانونية، أهمها القانون 98-04 الآتي ذكره.

وللإحاطة بالبحث من جميع جوانبه رأينا أن نقسمه إلى مبحثين مسبوقين بمبحث تمهيدي نعرض فيه للحماية القانونية للتراث الثقافي بصفة عامة.

نتعرض في المبحث الأول لإجراءات حماية وحفظ المخطوط

وفي المبحث الثاني للهياكل المرصودة لحماية المخطوط والجزاءات العقابية المسلطة على مخالفي أحكام القانون المتعلق بحماية التراث بصفة عامة.

المبحث التمهيدي: الحماية القانونية للتراث الوطني

يقتضي الأمر منا في هذه الحالة أن نتعرض لتعريف التراث الوطني وتحديد معالمه لتمييزه عما يشبهه من مفاهيم (المطلب الأول)، وبعدها نعرج اتوضيح أشكال هذا التراث وأنواعه (المطلب الثاني)

المطلب الأول: تحديد مفهوم التراث الثقافي

بالرجوع للمادة الثانية من القانون 98-04 المتعلق بحماية التراث الثقافي La Protection du patrimoine culturel(1) نجد أنها عرفت هذا الأخير بأنه:"جميع الممتلكات الثقافية العقارية، والعقارات بالتخصيص، والمنقولة، الموجودة على أرض عقارات الأملاك الوطنية وفي داخلها، المملوكة لأشخاص طبيعيين أو معنويين تابعين للقانون الخاص، والموجودة كذلك في الطبقات الجوفية للمياه الداخلية والإقليمية الوطنية الموروثة عن مختلف الحضارات المتعاقبة منذ عصر ما قبل التاريخ إلى يومنا هذا.

وتعد جزءا من التراث الثقافي للأمة أيضا الممتلكات الثقافية غير المادية الناتجة عن تفاعلات اجتماعية وإبداعات الأفراد والجماعات عبر العصور والتي لا تزال تعرب عن نفسها منذ الأزمنة الغابرة إلى يومنا هذا"

غير أن المادة الثالثة من القانون 98-04 جاءت لتلخص ما جاءت به المادة 02، حيث قسمت التراث الثقافي إلى ثلاثة أقسام:

1- الممتلكات الثقافية العقارية Les biens culturels immobiliers
2- الممتلكات الثقافية المنقولة Les biens culturels mobiliers
3- الممتلكات الثقافية غير المادية Les biens culturels immatériels

كما جاء في تعريف اتفاقية حماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح على أنه يقصد بالممتلكات الثقافية

1- الممتلكات المنقولة والثابتة ذات الأهمية الكبرى لتراث الشعوب الثقافي كالمباني المعمارية أو الفنية منها أو التاريخية الديني منها أو الدنيوي، والأماكن الأثرية، ومجموعات المباني التي تكتسب بتجمعها قيمة تاريخية أو فنية، والتحف الفنية والمخطوطات والكتب والأشياء الأخرى ذات القيمة الفنية التاريخية والأثرية، وكذلك المجموعات العلمية ومجموعات الكتب الهامة والمحفوظات ومنسوخات الممتلكات السابق ذكرها.
2- المباني المخصصة بصفة رئيسية وفعلية لحماية وعرض الممتلكات الثقافية المنقولة المبينة في الفقرة 1 كالمتاحف ودور الكتب الكبرى ومخازن المحفوظات وكذلك المخابئ المعدة لوقاية الممتلكات الثقافية المنقولة المبينة في الفقرة 1 في حالة نزاع مسلح.
3- المراكز التي تحتوي ما سبق ذكره.

(29) المرشد إلى تحقيق المخطوطات 90.

إذا الواضح مما سبق أن تعريف الاتفاقية جاء واسعا، غير أنه كان مكررا لبعض المصطلحات أو مدققا لها، فيما لم يكن من المفيد التوسيع فيها كما هو الحال بالنسبة لمصطلحات المخطوطات، المحفوظات، المجموعات العلميةن فهذه العبارات في حقيقة الأمر متقاربة المعنى، في حين جاء تعريف المشرع الجزائري دقيقا ومجزءا بحيث لخص وشرح، لخص في المادة 3 من القانون 98-04، وشرح في المادة 20 منه.

المطلب الثاني: أنواع التراث الثقافي

الواضح من المادة الثالثة من القانون 98-04 أن التراث الثقافي الوطني ثلاثة أنواع: 1- تراث ثقافي عقاريي 2- تراث ثقافي غير مادي 3- تراث ثقافي منقول

أولا: التراث الثقافي العقاري

وهو ما جاءت بتبيينه المواد من 08 إلى 49 من القانون 98-04

ويشتمل على:

1- المعالم التاريخية Les monuments historiques

4- المواقع الأثرية Les sites archéologiques

5- المجموعات الحضرية أو الريفية Les ensembles urbains ou ruraux

ولقد رصد المشرع لهذه الممتلكات أنظمة حماية خاصة، تتمثل في:

- التسجيل في قائمة الجرد الإضافي l'inscription sur l'inventaire supplémentaire
- التصنيف Le classement
- الاستحداث في شكل "قطاعات محفوظة" La création en secteurs sauvegardés

ثانيا: التراث الثقافي غير المادي

والذي نصت عليه المواد 67- 68- 69

ويقصد بها مجموعة معارف، أو تصورات اجتماعية، أو معرفة أو مهارة، أو كفاءات أو تقنيات قائمة على التقاليد في مختلف ميادين التراث الثقافي، وتمثل الدلالات الحقيقية للارتباط بالهوية الثقافية، ويحوزها شخص أو مجموعة أشخاص.

وتتمثل على وجه الخصوص بالمجالات والميادين الآتية:

- علم الموسيقى العريقة
- الأغاني التقليدية والشعبية
- الأناشيد
- الألحان
- المسرح
- فن الرقص والإيقاعات الحركية
- الاحتفالات الدينية
- فنون الطبخ
- التعابير الأدبية والشفوية
- القصص التاريخية
- الحكايات والحكم والأساطير والألغاز والأمثال والأقوال المأثورة والمواعظ
- الألعاب التقليدية

ثالثا: التراث الثقافي المنقول

وهو ما أوردته المواد من 50 إلى 66 من القانون 98-04

وتشتمل هذه الممتلكات على:

- نتائج الاستكشافات والأبحاث الأثرية في البر وتحت الماء
- الأشياء العتيقة مثل الأدوات والمصنوعات الخزفية والكتابات والعملات والأختام والحلي والألبسة التقليدية والأسلحة وبقايا المدافن.
- العناصر الناجمة عن تجزئة المعالم التاريخية
- العناصر الأنتروبولوجية والإثنولوجية
- الممتلكات الثقافية المتصلة بالدين وبتاريخ العلوم والتقنيات، وتاريخ التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي
- الممتلكات ذات الأهمية الفنية مثل:
  - اللوحات الزيتية والرسوم المنجزة كاملة باليد على أية دعامة من أية مادة كانت.
  - الرسمات الأصلية والملصقات والصور الفوتوغرافية باعتبارها وسيلة للإبداع الأصيل.
  - التجميعات والتركيبات الفنية الأصلية من جميع المواد مثل منتجات الفن التمثيلي والنقش من جميع المواد، وتحف الفن التطبيقي في مواد مثل الزجاج والخزف والمعدن والخشب...إلخ.
  - المخطوطات Les manuscrits والمطبوعات طباعة استهلالية Les incunables والكتب والوثائق والمنشورات ذات الأهمية الخاصة.
  - المسكوكات (أوسمة وقطع نقدية) أو الطوابع البريدية
  - وثائق الأرشيف بما في ذلك تسجيلات النصوص، والخرائط وغير ذلك من معدات رسم الخرائط، والصور الفوتوغرافية، والأفلام السينمائية، والمسجلات السمعية، والوثائق التي تقرأ عن طريق الآلة.

ما يمكن ملاحظته من خلال هذا الترتيب أن المشرع الجزائري لم يعطي أهمية ولو متواضعة للتراث المخطوط حيث يسبقه من حيث الأهمية اللوحات الزيتية والرسوم والنقش على جميع المواد وغيرها من الممتلكات التي نرى أنها لا تكتسي من الأهمية ما يكتسيه التراث المخطوط الذي يجمع بين العلم والثقافة وحافظ لذاكرة الأمة.

المبحث الأول: إجراءات حفظ المخطوط

على اعتبار أن المخطوط ممتلك مادي منقول فإنه يخضع كغيره من الممتلكات المنقولة لنفس الإجراءات المنطبقة عليها. ومن خلال النصوص القانونية وبالأخص القانون 98-04 فإن إجراءات الحماية تتلخص في طرق تسيير المخطوط وتصنيفه (المطلب الأول)، وضوابط التصرف والاتجار في المخطوط (المطلب الثاني).

المطلب الأول: تسيير المخطوط وتصنيفه

الفرع الأول: تسيير المخطوط Les actes de gestion du manuscrits

تبعا للمادة الرابعة من القانون 98-04 فإن المخطوط يمكن أن يتولى تسييره أصحاب الحق فيه، وذلك بالنظر إلى كل حالة وحسب مصدر الملكية، فقد يكون ذلك وفقا للقانون 90-30 المتعلق بالأملاك الوطنية (3)، أو القانون 91-10 المتعلق بالأوقاف (4).

وبالرجوع للمادة الخامسة فقرة 02 منه فإنه يمكن الدولة أن تكتسب عن طريق الاقتناء بالتراضي Acquisition amiable ممتلكا ثقافيا منقولا ومنه المخطوط.

وما يدخل في حكم التسيير كذلك القيد الذي أوردته المادة السادسة حيث أخضعت كل التشريات ذات الطابع العلمي التي تصدر في التراب الوطني أو خارجه ويكون موضوعها دراسة وثائق غير مطبوعة (والمقصود هنا المخطوطات) محفوظة في الجزائر وتتعلق بالتراث الثقافي الوطني إلى ترخيص من الوزير المكلف بالثقافة.

الفرع الثاني: تصنيف المخطوط Le classement du manuscrit

طبقا للمادة 51 يمكن أن يقترح تصنيف الممتلكات الثقافية المنقولة منها المخطوط التي تشكل ثروة ثقافية للأمة أو يمكن تصنيفها أو تسجيلها في قائمة الجرد الإضافي La liste de l'inventaire supplémentaire بقرار من الوزير المكلف بالثقافة بعد استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية بمبادرة منه أو بناء على طلب من أي شخص يرى مصلحة في ذلك.

ويمكن أن تسجل كذلك في قائمة الجرد الإضافي بقرار من الوالي بعد استشارة لجنة الممتلكات الثقافية في الولاية المعنية، متى كان للممتلك الثقافي المنقول (المخطوط مثلا) قيمة هامة من الوجهة التاريخية أو الفنية أو الثقافية على المستوى المحلي.

والتسجيل L'inscription هنا غير التصنيف Le classement، لأنه إذا لم يصنف في ظرف 10 سنوات يلغى التسجيل (م51).

والتسجيل في قائمة الجرد الإضافي يضع على عاتق الحائزين من الأشخاص العموميين أو الخواص واجب صيانة المخطوط المسجل وحراسته، غير أنهم يمكن أن يستفيدوا من المساعدة التقنية التي تقدمها المصالح المختصة في الوزارة بغية المحافظة عليه، وإذا ثبت أن المالك لا يعير المخطوط عناية كافية لحفظه يمكن الوزير اللجوء إلى تصنيف المخطوط بموجب قرار بعد استشارة اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية وإدماجه في المجموعة الوطنية، كما يمكن أن يكون عن طريق اقتناءه بالتراضي (راجع المادة 05 ف/2)

وفي حالة عدم حماية أو حفظ أو صيانة أو عدم القيام بواجبات حراسة المخطوط المصنف فإن ذلك يعرض صاحبه إلى إلغاء الانتفاع منه بقوة القانون.

ولهذا الغرض أقر المرسوم التنفيذي رقم 07-222 (5) كيفيات ممارسة رجال الفن حق تفقد الممتلكات الثقافية المنقولة المصنفة والتحري بشأنها، والذين أعطاهم حق مراقبة حالة الحفظ والصيانة التي يقوم بها الحائز للمخطوط المصنف، وذلك مرتين في السنة.

المطلب الثاني: التصرف في المخطوط وأحوال سقوط التصنيف عنه

الفرع الأول: التصرف والاتجار في المخطوط

يمكن حصر جملة الأعمال والتصرفات التي قد تمس المخطوطات في ثلاث مجموعات:

1) الأعمال الرامية لترميم أو إصلاح المخطوط: وفي هذه الحالة وجب أن يكون العمل بغرض الحفظ، ويكون ذلك بناء على ترخيص مسبق من المصالح المختصة في الوزارة المكلفة بالثقافة. في حين إذا تم ذلك التحويل للترميم أو الإصلاح أو تحديد الهوية أو التقوية أو العرض في الخارج، فإن ذلك يتطلب ترخيصا صريحا من الوزير المكلف بالثقافة مباشرة (المادة 60).

2) نقل الملكية: إذ يتعين على مالك أي مخطوط مصنف أن يعلم الوزير المكلف بالثقافة باعتزامه تحويل ملكية المخطوط داخل التراب الوطني، كما وجب عليه إخبار المشتري بقرار التصنيف أو التسجيل في قائمة الجرد الإضافي، ويمكن للوزير المكلف بالثقافة أن يمتلك المخطوط بالاقتناء بالتراضي.

3) التصدير: كمبدأ لا يمكن تصدير المخطوط خارج التراب الوطني، غير أنه يستثنى من ذلك أن يتم في إطار (م62):

- المبادلات الثقافية أو العلمية
- قصد المشاركة في البحث في نطاق عالمي

ويخضع كل ذلك لترخيص من الوزير المكلف بالثقافة.

الفرع الثاني: انتهاء المخطوط واندثاره (سقوط التصنيف)

انطلاقا من عبارة المادة 66، فإن أي مخطوط يمكن سحب التصنيف عنه في الحالات الآتية:

1- تعرضه للضياع نتيجة كارثة طبيعية (زلازل، فيضانات، ...)

2- تعرضه للضياع لسبب إنساني (سرقة، حريق...)

3- بسبب الحرب.

المبحث الثاني: هياكل أجهزة الحماية والجزاءات العقابية

سينصب الحديث في هذا المبحث عن جملة الآليات و الهياكل المرصودة لفائدة حماية الممتلكات الثقافية المنقولة ومنها المخطوط (المطلب الأول)، وبعدها للجزاءات العقابية التي وضعها المشرع ضد كل مخالف لأحكام القانون الخاص بحماية التراث الثقافي الوطني (المطلب الثاني).

المطلب الأول: هياكل وأجهزة حماية المخطوط

ويمكن حصر تلك الهياكل في: 1) اللجنتين الوطنية والولائية للممتلكات الثقافية، 2) لجنة اقتناء الممتلكات الثقافية الخاصة بإثراء المجموعات الوطنية 3) لجنة نزع الممتلكات الثقافية 4) الصندوق الوطني للتراث الثقافي 5) الجمعيات المنشأة لهذا الغرض.

الفرع الأول: اللجنتين الوطنية والولائية للممتلكات الثقافية

هاتين اللجنتين نصت على إنشائهما المادتين 79 و80 من القانون 98-04 وأحالت بخصوص تشكيلتيهما وتنظيمهما وعملهما على التنظيم الذي يصدر لاحقا، وهو ما تحقق بالمرسوم التنفيذي رقم 01-104 (6).

فبخصوص اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية فإن صلاحياتها تتمثل طبقا للمادة 79 من القانون 98-04 في:

- إبداء آراء في جميع المسائل المتعلقة بتطبيق القانون 98-04 والتي يخيلها إليها الوزير المكلف بالثقافة.
- التداول في مقترحات حماية الممتلكات الثقافية المنقولة والعقارية، وكذلك في موضوع إنشاء قطاعات محفوظة للمجموعات العقارية الحضرية أو الريفية المأهولة ذات الأهمية التاريخية أو الفنية.

أما عن اللجنة الولائية للممتلكات الثقافية فقد نصت على مهامها وعملها المادة 80 من القانون 98-04 والمتمثلة في:

- دراسة جميع طلبات التصنيف وإنشاء قطاعات محفوظة أو تسجيل ممتلكات ثقافية في قائمة الجرد الإضافي، واقتراحها على اللجنة الوطنية للممتلكات الثقافية.
- إبداء الآراء والتداول في طلبات تسجيل ممتلكات ثقافية لها قيمة محلية بالغة بالنسبة إلى الولاية المعنية في قائمة الجرد الثقافي.

الفرع الثاني: اللجنتين المكلفتين باقتناء ونزع الممتلكات الثقافية

فعن اللجنة الأولى والمكلفة باقتناء الممتلكات الثقافية، والتي أشارت إليها المادة 81 من القانون 98-04، وأحالت على نص التانظيم الذي يصدر لاحقا، وكان ذلك بموجب القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 05 مارس 2002 (7) والذي بين مهام هذه اللجنة من خلال المادة 02 والمتمثلة في:

- اقتناء وتقويم الممتلكات والأعمال الفنية المعروضة للبيع من الأشخاص الطبيعيين أو المعنويين من داخل الوطن أو خارجه، وذلك لغرض إثراء التراث الثقافي، والمجموعات الفنية والمتاحف.

أما اللجنة الثانية والخاصة بنزع الممتلكات الثقافية، فلم يصدر بخصوصها أي تنظيم إلى حد الساعة.

الفرع الثاني: الصندوق الوطني للتراث الثقافي

والذي نصت على إنشاءه المادة 87 من القانون 98-04، هذا الصندوق يقوم على وجه الخصوص بتمويل جميع عمليات:

- صيانة وحفظ وحماية وترميم وإعادة تأهيل واستصلاح الممتلكات الثقافية العقارية والمنقولة.
- صيانة وحفظ وحماية الممتلكات الثقافية غير المادية.

وبهذه المناسبة صدر المرسوم التنفيذي رقم 06-239 المحدد لكيفيات تسيير حساب التخصيص الخاص رقم 302-123 الذي عنوانه "الصندوق الوطني للتراث الثقافي"(8). وتصرف نفقات هذا الصندوق على:

- الدراسات وأشغال الترميم الضرورية للحفاظ على الأملاك الثقافية المحمية التي يمتلكها أصحاب الحقوق، وإعادة الاعتبار لها.
- تمويل الدراسات والخبرات التي تسبق عملية الحفاظ على الأملاك العقارية المحمية وإعادة الاعتبار لها.
- اقتناء الأملاك الثقافية المنقولة لإثراء المجموعات الوطنية
- المصاريف المدفوعة بعنوان ممارسة حق الشفعة للدولة على الأملاك الثقافية العقارية التي يتم التنازل عنها من طرف أصحابها.
- تمويل أنشطة الدعاية والتوعية وتلك التي من شأنها ترقية الحس المدني وثقافة حماية التراث الوطني والحفاظ عليه.

المطلب الثاني: الجزاءات العقابية لمخالفي أحكام القانون 98-04

وقبل سن العقوبات المقررة ضد مخالفي أحكام قانون حماية التراث الوطني، وضع المشرع بعض الآليات الرقابية المسهلة لعملية متابعة المخالفين وذلك من خلال المادتين 91 و92 من القانون 98-04 حيث أعطى المشرع لبعض الفئات صلاحيات التأسيس كطرف مدني أو العمليات البحث والمعاينة.

فأعطى للجمعيات المؤسسة قانونا والتي تنص في قانونها الأساسي على السعي إلى حماية الممتلكات الثقافية أن تنصب نفسها خصما مدعيا بالحق المدني فيما يخص مخالفات أحكام القانون 98-04 (المادة 91).

كما أهل المشرع بعض الأشخاص للبحث عن مخالفات أحكام القانون 98-04 ومعاينتها فضلا عن ضباط الشرطة القضائية وأعوانهم، هؤلاء الأشخاص هم:

- رجال الفن المؤهلون بصورة خاصة حسب الشروط المحددة في التنظيم المعمول به.
- المفتشون المكلفون بحماية التراث الثقافي.
- أعوان الحفظ والتثمين والمراقبة.

وفي هذه العجالة سنذكر أهم المخالفات المرتبطة بالتراث الثقافي، والعقوبات المقررة لها، وأهمها:

1) مخالفة بيع أو إخفاء المخطوطات المصنفة أو المسجلة وما يدخل في حكمها

هذه المخالفة عاقب عليها المشرع بالحبس من سنتين إلى خمس سنوات وبغرامة مالية من 100000 دج إلى 200000 دج أو بإحدى هاتين العقوبتين فقط، دون المساس بأي تعويضات عن الأضرار ومصادرات. (م95)

2) إتلاف أو تشويه المخطوط المصنف أو المقترح للتصنيف أو المسجل عمدا ويعاقب صاحبه بالحبس من سنتين على خمس سنوات وبغرامة مالية من 20000 دج إلى 200000 دج. (م96)

3) التصرف دون ترخيص مسبق في المخطوط المصنف أو المسجل، يعاقب بإلغاء عقد التصرف دون المساس بالتعويضات عن الأضرار. (م97)

4) عدم الإبلاغ خلال 24 ساعة عن اختفاء المخطوط المصنف أو المسجل، ويعاقب مخالفيه بالحبس من ستة أشهر إلى سنتين وبغرامة مالية من 100000دج إلى 200000 دج أو بإحدى العقوبتين فقط. (م101)

5) التصدير غير القانوني لمخطوط مصنف أو غير مصنف، مسجل أو غير مسجل، حيث يعاقب مرتكبيه بالحبس من ثلاث

سنوات إلى خمس سنوات، وتضاعف العقوبة في حالة العود. (م102 ف/1)

والاستيراد غير القانوني لمخطوط معترف بقيمته التاريخية أو الفنية أو الأثرية في بلده الأصلي. (م102 ف/2)

6) نشر أعمال ذات صبغة علمية موضوعها وثائق غير مطبوعة (كالمخطوط) محفوظة في الجزائر وتخص التراث الثقافي دون ترخيص من الوزير المكلف بالثقافة، ويعاقب مرتكبه بغرامة مالية من 50000 دج إلى 100000 دج فضلا عن إمكانية الجهة القضائية مصادرة العمل المنشور. (م103)

الخاتمة

ما يمكن قوله في الأخير أن المخطوطات وعلى الرغم من عدم إيلاء المشرع الأهمية المنتظرة منها، حيث لا نجد سوى مصطلحا واحدا يشير إليها ورد في المادة 50 من القانون 98-04، فضلا عن انعدام أي نص قانوني خاص ينظم هذا التراث الثقافي الوطني الهام، وبالتالي نقول أن هذا النقص التشريعي وجب ملؤهن بدعوة المشرع إلى ضرورة سن قانون خاص يحمي التراث المخطوط خصوصا وأن النية موجودة مع إنشاء المركز الوطني للمخطوطات على مستوى ولاية أدرار، لتبقى الحماية القانونية المركزة على المخطوطات التي تلعب دورا هاما في حفظ ذاكرة الأمة. وكما بدأنا بحثنا هذا برأي المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي (9) نختم به عبارة ذكرها في نهاية الرأي إذ يقول: "إن فقدان معالم الهوية وغياب الشعور بالانتماء إلى أمة يستحيل تعويضهما ويصعب تصورهما.. إننا مستهدفون باستمرار أو مهددون بالتحديات الأجنبية المتمثلة في السيطرة الثقافية لحراس العالم والتي هي في الشكل الجديد والحقيقي للاستعمار المعاصر. وأمام هذه الحصيلة فلا جدوى من ذرف الدموع على زوال أمة من الأمم إذا لم يتم التكفل بالقضية الأساسية المتمثلة في التراث الثقافي الوطني وإيجاد الحلول الشافية له. ومن الضرورة الملحة رد الاعتبار لتاريخ الجزائر منذ نشأته الأولى إلى يومنا هذا، ليس فقط في بعده الأكاديمي أو الحقيقي، بل أيضا في جانبه الوثائقي والمادي والمعنوي"

هوامش البحث

(1) وهو القانون الصادر بتاريخ 15 يونيو 1998 المنشور في ج.ر.ج.ج لسنة 1998، ع44، ص3 وما بعدها.

(2) الاتفاقية صدرت بتاريخ 14 مايو 1954، والتي أصبحت تسمى فيما بعد باتفاقية لاهاي، وهي الأولى من بين اتفاقيات حماية التراث الثقافي، ولقد وصل عدد الدول المتعاقدة بالاتفاقية حوالي 109 (إلى تاريخ 2004/03/28).

(3) وهو القانون الصادر بتاريخ 01 ديسمبر 1990 المنشور في ج.ر.ج.ج لسنة 1990، ع52، ص1661 وما بعدها.

(4) وهو القانون الصادر بتاريخ 27 أفريل 1991 المنشور في ج.ر.ج.ج لسنة 1991، ع21، ص690 وما بعدها. المعدل والمتمم بالقانون 01-07 المؤرخ في 2001/05/22 والقانون 02-10 المؤرخ في 2002/12/14

(5) الصادر بتاريخ 14 جويلية 2007 الذي يحدد كيفيات ممارسة رجال الفن حق تفقد الممتلكات الثقافية المنقولة المصنفة والتحري بشأنها

(6) الصادر بتاريخ 23 أفريل 2001 المتضمن تشكيل اللجنة الوطنية واللجنة الولائية للممتلكات الثقافية وتنظيمها وعملهما، المنشور في ج.ر.ج.ج لسنة 2001، ع25، ص15.

(7) المنشور في ج.ر.ج.ج لسنة 2002، ع24، ص34 وما بعدها.

(8) والمؤرخ في 04 يوليو 2006، المنشور في ج.ر.ج.ج لسنة 2006، ع45، ص16

(9) الرأي منشور في ج.ر.ج.ج لسنة 1419هـ، ع40، ص6

قائمة المراجع

1) القانون رقم 98-04 الصادر بتاريخ 15 يونيو 1998 المنشور في ج.ر.ج.ج لسنة 1998، ع44، ص3 وما بعدها.

2) اتفاقية الأمم المتحدة لحماية الممتلكات الثقافية في حالة نزاع مسلح صدرت بتاريخ 14 مايو 1954، والتي أصبحت تسمى فيما بعد باتفاقية لاهاي.

3) القانون 90-30 الصادر بتاريخ 01 ديسمبر 1990 المنشور في ج.ر.ج.ج لسنة 1990، ع52، ص1661 وما بعدها.

4) القانون 91-10 الصادر بتاريخ 27 أفريل 1991 المنشور في ج.ر.ج.ج لسنة 1991، ع21، ص690 وما بعدها. المعدل والمتمم بالقانون 01-07 المؤرخ في 2001/05/22 والقانون 02-10 المؤرخ في 2002/12/14

5) المرسوم التنفيذي رقم 07-222 الصادر بتاريخ 14 جويلية 2007 الذي يحدد كيفيات ممارسة رجال الفن حق تفقد الممتلكات الثقافية المنقولة المصنفة والتحري بشأنها، المنشور في ج.ر.ج.ج لسنة 2007، ع46، ص23.

6) المرسوم التنفيذي رقم 01-104 الصادر بتاريخ 23 أفريل 2001 المتضمن تشكيل اللجنة الوطنية واللجنة الولائية للممتلكات الثقافية وتنظيمها وعملهما، المنشور في ج.ر.ج.ج لسنة 2001، ع25، ص15.

7) القرار الوزاري المشترك المؤرخ في 05 مارس 2002 المنشور في ج.ر.ج.ج لسنة 2002، ع24، ص34 وما بعدها.

8) المرسوم التنفيذي رقم 06-239 المحدد لكيفيات تسيير حساب التخصيص الخاص رقم 302-123 الذي عنوانه "الصندوق الوطني للتراث الثقافي" والمؤرخ في 04 يوليو 2006، المنشور في ج.ر.ج.ج لسنة 2006، ع45، ص16.

9) رأي المجلس الوطني الاقتصادي والاجتماعي، منشور في ج.ر.ج.ج لسنة 1419هـ، ع40، ص6.

- الأستاذ: د. دفرور رابح
- المحور: منهج البحث في التراث المخطوط وسبل حمايته
- عنوان المداخلة: شروط اختيار المخطوط للرسائل الجامعية
- الجامعة: جامعة أدرار –قسم الشريعة-

وصحبه ومن والاه وبعد:

لقد ترك علماء المسلمين نتاجاً فكرياً علمياً جماً في شتى الفنون العلمية والمعرفة الإنسانية، وبالرغم من أن هذا الإنتاج كان يشمل علوم الطبيعة والحياة والفلسفة والرياضة وغيرها فإنه كان أوسع في المجالات الشرعية من فقه وأصول وحديث وتوحيد ... ، ذلك لأن عماد الحضارة الإسلامية ونظام الدولة قائم على هذه العلوم .

ولقد شهدت هذه المؤلفات ضياعاً كبيراً بسبب محن الزمان وعواديه ، من اجتياح الغزاة للعالم الإسلامي كما حدث في غزو المغول للعراق، وكما حدث للأندلس من حملة الأسبان، وحرق الآلاف من الكتب المخطوطة، ومن تلك المحن أيضاً الخلافات المذهبية والعصبيات العقدية ، وأيضاً الإهمال حيث تركت تلك المخطوطات عرضة للآفات الطبيعية .

وبالرغم من كل ذلك فإن ثمة جملة هائلة من المخطوطات كتب له السلامة من الضياع والاندثار، ووصل إلينا كاملاً أو ناقصاً .

ولا يزال إلى يومنا هذا تقصير واضح في المجال ، ومن ذلك مثلاً الاعتماد على تحقيق لمخطوط عربي بلغة غير عربية ، وذلك نحو : جمهرة أنساب العرب لابن الكلبي وهو أقدم كتاب في الأنساب العربية الذي قام الألمان بترجمته ونشره بالألمانية قبل أن يفكر العرب بتحقيقه، وأيضاً كتاب: أنساب الأشراف للبلاذري الذي نجد في صفحة الغلاف (طبع

في أورشليم) ، وتلك هي الطبيعة الوحيدة، وهي عالة عليها ، ولم نقدم على نشره في ديارنا سوى ما أخرجه محمد حميد الله مما يتعلق بالسيرة النبوية

وإدراكاً لقيمة المخطوط العلمية، والحضارية والتاريخية، وإدراكاً لما ينبغي تجاه انقاد ما بقي من هذا التراث العلمي عملت بعض المراكز العلمية على تجنيد الباحثين بها لأجل العناية بالمخطوطات : تصنيفا وتحقيقا ودراسة، وأسهمت بعض الجامعات في فتح مجال لذلك ، واعتبرت تحقيق المخطوط عملا علميا يستحق به صاحبه درجة الماجستير أو الدكتوراه.

- وإدراكاً لقيمة المخطوط العلمية، والحضارية والتاريخية، وإدراكاً لما ينبغي تجاه انقاد ما بقي من هذا التراث العلمي عملت بعض الجامعات العربية – حالياً – إلى تجميع المخطوطات العربية من مكتبات العالم عن طريق تصويرها ، ووضعها في مكتبات الجامعات ، وكان إرشاد طلبة الدراسات العليا إلى تحقيق المخطوطات واعتباره مشروعاً علمياً حافزاً قوياً على توفير وجمع المخطوطات ، وإيجاد الفرصة للقيام بعمل التحقيق .

ومن تلك المكتبات مثلاً معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، وقسم مركز السنة النبوية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ...

وكان لكل مكتبة ضمت جملة من المخطوطات فهارس ترشد إلى ما حوته منها ، وذلك تسهيلاً وتذليلاً لمعرفة الموجود من المخطوطات بها .

وبالإضافة إلى ذلك ظهرت مؤلفات جامعة في وصف المخطوطات المنتشرة في أرجاء المعمورة – من حيث كمالها أو نقصها ، جودتها أو رداءتها ، ونسبتها إلى مؤلفها ، وكيفية وجودها : أهي منفصلة أم في مجموع ...

ومن أهم الكتب في ذلك :

- تاريخ الأدب العربي: بروكلمان كارل -ألماني- ترجمت أكثر أجزائه إلى العربية، وبعضها لا يزال بالألمانية .

تاريخ التراث العربي – فؤاد سزكين – وهذا قد استدرك ما فات بروكلمان ولا شك أن هذا يسهل عملية التعريف بالمخطوط ، وتجميعها في مراكز تسهل عملية الوصول إليها .

والذي لا يزال قيد الأفكار والدراسة هو الشروع في تصنيف هذه المخطوطات ودراستها وتقديم الاقتراحات بصدد ما ينبغي تقديم تحقيقه ونشره ، وتعليم المحققين المنهج العلمي للتحقيق .

وأيضاً إيجاد كشاف يتضمن جملة المخطوطات التي رأت النور وحققت لئلا يتعب باحث آخر نفسه بتحقيقه مرة أخرى وهذا ما عبر عنه د.العمري بقوله : « ولا بد من الاهتمام بتقوية الصلة بين المحققين وتعريفهم بمجهودات بعضهم لئلا تضيع مجهوداتهم بتداخل أعمالهم العلمية ... ويتم ذلك بإصدار المجلات الدورية المعنية بأخبار المخطوطات وما ينشر أو بعد للنشر منها».

وتهدف هذه المداخلة إلى إيضاح ضوابط تحقيق المخطوط وشروط صلاحه لأن يكون رسالة علمية أكاديمية؛ إذ ليس كل مخطوط صالحا للدراسة والتحقيق، وقيمة ذلك تكمن في أهمية المخطوط، واعتماد المحقق المنهج السليم لقواعد التحقيق.

المطلب الأول: اختيار المخطوطات للرسائل الجامعية

أولا: المفهوم العلمي للمخطوط

المخطوط لغة من الخط وهو بمعنى السطر والأثر والرسم ، وخط بمعنى كتب على ورق بقلم أو بغيره[1]

المخطوط هو كل كتاب قديم، كتبه مؤلفه بخطه، أو كتب عنه، أو نقل أو نسخ عما كتبه المؤلف، ككتب تلاميذه [2].

ثانيا: شروط صلاحية المخطوط للرسائل الجامعية[3]

ليس كل مخطوط صالحاً لأن يكون مشرع رسالة ماجستير أو دكتوراه وإنما لصالحه لذلك يجب أن تتوفر فيه جملة من الشروط هي :

1- كونه ذا قيمة علمية : بحيث يكون ذلك المخطوط يحتوي على مادة علمية جديدة عدمت أو ندرت في الكتب الأخرى المحققة ، إذ ليس المراد من تحقيق المخطوط ذات المخطوط وإنما المراد به خدمة الفن الذي ألف فيه بما احتواه من مادة علمية جديدة .

والحقيقة أن كثيراً من المخطوطات ليست تضيف إلى فنها إفادات علمية جديدة وبالرغم من كثرتها وبالتالي فلا تكون مجالاً لمشروع بحث ماجستير أو دكتوراه ، ومن ذلك الكثير من خزائن توات نجدها تضم جملة من شروح وحواشي على بعض المختصرات ، وقلما نجد الإضافات العملية .

2- كونه مؤلفاً قديماً : بحيث لا يكون مؤلفاً لمعاصر ، فذلك لا يتكسب صفة المخطوط حتى وإن كان بخط مؤلفه .

3- الوثوق من ثقة المؤلف : إن المؤلف الشرعي – خصوصاً في مجال الأحكام والأحاديث والعقائد – يجب أن يكون مؤلفها ثقة عدلاً، يوثق بنقله، فلا يصح إخراج مصنف في الحديث مثلا لمؤلف مجهول العين أو مجهول الحال ؛ وذلك لأن الحديث لا يقبل إلا إذا رواه ثقة عن ثقة ، وهذا المؤلف هو أول الثقات في الإسناد .

وأيضاً لا يعقل اعتماد أقوال فقهية من قوم مبتدعة أو مفترية على الله ورسوله ؛ وذلك لأن الفقيه أمين على شرع الله وحكمه، فإن كان غير ثقة فلا يعول على اجتهاده أو ترجيحه بل نقله .

وهذا الشرط يؤكد عليه لأن المراد بالتحقيق ليس ذات المخطوط ولا ذات صاحب المخطوط وإنما ما أفاده صاحب المخطوط، ولا إفادة شرعية من غير ثقة .

وهذا الشرط يدعونا إلى التحقيق في نسبة المؤلف إلى مؤلفه .

4- توفر نسخ المخطوط

إن الغالب على المخطوطات القديمة النقص والرداءة وسوء الخط ... ولا مجال لتقويم ذلك إلا بالمقابلة ، ولذا كان على الباحث المحقق أن يوفر عدداً من نسخ المخطوط

وقد دأبت بعض الجامعات العربية إلى رفض أي تحقيق أعتمد على نسخة واحدة خاصة إذا وجدت غيرها من النسخ ، وأقل ما يكفي لذلك توفر نسختين مستقلتين، حيث تعتبر النسخ المستنسخة من بعضها نسخة واحدة .

وذهب الباحث د.أكرم إلى جواز الاعتماد على نسخة واحدة إذا عدمت غيرها، وذلك إنقاذاً لذلك المخطوط ، وقد يكون أصلاً نفيساً في فنه .

5- مناسبة حجم المخطوط المطلوب في رسالة الماجستير أو الدكتوراه

إنه من المطلوب أن يكون حجم المخطوط متناسباً مع الفترة القانونية في درجة الماجستير أو الدكتوراه ، وأيضاً كونه متناسباً مع الحجم الاعتباري لإحدى الدرجتين

- وأنسب تقدير لذلك أن يكون المخطوط يمثل من الحجم الكلي للرسالة ما بين النصف والثلث حيث يكون نصف الصفحة للمخطوط ونصفها الآخر للتخريج والتغليف ، ويضاف حوالي (30-50) صفحة للدراسة العلمية حول المخطوط .
- وأنسب ما يصلح لحالنا – ماجستير الجديدة – مخطوط في حدود الخمسين صفحة أي 25 ورقة – وللدكتوراه في حدود (100-150) ورقة .

6- كونه لم يحقق من قبل ، أو حقق لكن في تحقيقه خلل علمي ، وقصور منهجي ، وبه أخطاء كثيرة ، وذلك لئلا يصير العمل العلمي هذا تكرار لما سبق تحقيقه، وما هذا إلا إهدار للجهد العلمي الذي كان الواجب فيه أن يبذل في إنجاز علمي جديد .

المطلب الثاني: التحري عن المخطوط

إن أول ما يقوم به المحقق الذي سيعنى بتحقيق المخطوط هو التحري عن المخطوط ، ويتسنى ذلك وفق الخطوات التالية :

1- جرد الكتب والفهارس المعنية بالمخطوطات مثل كتاب (تاريخ الأدب العربي) لبروكلمان – المرتب على حسب الموضوعات والفنون ، والمهتم بسرد المؤلفين ومؤلفاتهم المخطوطة مراعيا التسلسل الزمني في تأليفها (مثال توضيحي) .

- ونحو ، كتاب (تاريخ التراث العربي) لفؤاد سزكين : وهو في الموضوع نفسه غير أنه استدرك على بروكلمان بعض .

وأيضاً نحو كتاب (كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون) لحاجي خليفة فهو يترجم للفن ويعرف به ويذكر ما ألف تحته مع ذكر أسماء المؤلفين.

كما يراجع أيضاً ملحقاه : هدية العارفين وإيضاح المكنون لإسماعيل البغدادي فهو يصنف الهدية بترتيب المؤلفين، والإيضاح بحسب الفنون .

- وأيضاً مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم لأحمد بن مصطفى الشهير بطاش كبرى زاده فهو أيضاً في هذا الفن .

2- ولا يكتفي المحقق للتحري عن المخطوط النظر في هذه الكتب فحسب بل عليه أيضاً أن يقوم بمراجعة فهارس المكتبات التي احتوت على مخطوطات فربما يجد مخطوطا في خزانة قريبة، ومن تلك مثلاً دليل مخطوطات مكتبة الأسد ، (يراجع النموذج)، وغيرها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ، دار الكتب الظاهرية بدمشق ، دار الكتب المصرية ، المكتبة الأزهرية. وأيضاً الفهرس الشامل للتراث العربي الإسلامي المخطوط، وفهرس الفهارس للكتاني وبعض المعاجم الخاصة التي ترجمت للبعض نحو أنباء العمر .

- والإطلاع على هذه الفهارس يحقق للباحث أمرين أساسين :

أ- التأكد من مكان وجود المخطوط .

ب- الإطلاع على مواصفات المخطوط من حيث عدد الأوراق ، والتمام والنقصان ، وجودة الخط، وتاريخ نسخها، ... وبهذا يكون الباحث قد تشكلت عنده فكرة واضحة وصورة بينة عن المخطوط المراد .

3- والمرحلة الثالثة تكمن في التأكد من أن هذا المخطوط ليس مطبوعاً ، وليس بصدد تحقيق من باحث آخر ، وليس مسجلاً لرسالة علمية ، ويتأتى ذلك بالإطلاع على فهارس المكتبات العامة ، وقراءة المجلات التي تعنى بنشر كل حديث من الكتب نحو : النشرات الدورية التي يصدرها معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

وأيضاً معجم المطبوعات العربية والمعربة لـ يوسف سركيس.

وأيضاً سؤال الأساتذة المختصين المتضلعين بالفن فهم عادة يتعقبون الجديد الذي يطبع في حقول تخصصهم .

وهناك بعض المعاجم تذكر بعضاً من ذلك نحو : معجم المؤلفين لمرضا كحالة والأعلام للزركلي ...

4- تحديد النسخ المرادة ، وحصر أماكنها ، وبسؤال المختصين يمكن العثور على نسخة عند أحدهم ، ويمكن أن يرشد إلى وجود المخطوط ضمن مجموع ولم يفهرس له وغير ذلك .

المطلب الثالث: مرحلة جمع النسخ[4]

لا يسع الباحث غالباً جمع كل المخطوطات ، ولذلك عليه أن يستفرغ جهده فيما جمع أهمها :

أولا: معرفة أوصاف النسخ

وذلك ما نجده منصوصاً في الفهارس وجملة الأوصاف المطلوبة تتمثل في :

أ- قدم النسخة :

إن أقدم نسخة هي التي تكون أقرب إلى الحقيقة العلمية في ذلك الكتاب.

ولا يمكن تقديم أخرى عليها .

-وأقدم النسخ هي التي تكون بخط المؤلف .

-وإذا كان المؤلف معروفاً بتنقيح كتبه فإنه ينبغي الاعتبار بآخر نسخة لا بأولها .

ثم يلي ذلك النسخة التي كتبت في زمن المؤلف وقرئت عليه ، ويليها النسخة التي عورضت على نسخة كتبت في عصر المؤلف .

ب- نوع الخط ومدى جودته

ينبغي على المحقق معرفة الخط الذي كتبت به المخطوطة ، وأن يعلم خصائص ذلك الخط، وإلا فإنه سيقع في تحريف نص المخطوط ومن ذلك مثلاً : قاف المغاربة وفاؤهم ليست كما هي عند المشارقة ، ووضوح الخط الفارسي أظهر من الخط الكوفي ، وبعض المؤلفين لهم حسن الخط كالخطيب البغدادي ، وبعضهم عرف بخط معقد كالحافظ ابن حجر .

والمبتدئ عليه أن يختار الخط الأوضح والنسخة الواضحة .

ج- وجود السماعات على النسخة

وهذا دلالته عناية العلماء بها.

والسماع لا شك أنه يضبط ألفاظ النص وما فيها من أعلام بلفظ من جمعها عنه : كما أن السماع من شأنه أن يصحح الأخطاء والأوهام التي يقع فيها النساخ والوراقون .

ثانيا: معرفة مدى الإتقان في المخطوط [5]

لا يتحقق ذلك إلا بالوقوف على المخطوط فعلاً وقراءته حيث يدرك مدى إتقانها من حيث خلوها من الأخطاء والتصحيفات ، خصوصاً ونحن نعلم أن وظيفة النسخ اشغل بها قوم بقصد الارتزاق ، وقد توكل لقوم ليسوا عرباً ولا هم لهم سوى تصوير الخروف دون فهم لمعناها.

ولذلك قد يقع في المخطوط ما لم يكن مراداً للمؤلف .

وهنا نجد الباحث عليه أن يختار تلك التي كانت وجدها متقنة في خطها، وفي شكلها وفي نحوها وإملائها .

ثالثا: الكمال والنقصان

وهو منصوص عليه في كتب الفهارس ، وعلى الباحث أن

يتحرى النسخ الكاملة ولا يعتمد على الناقصة إلا عند المقابلة .

رابعا: ترتيب النسخ

بعد الإطلاع التام على المخطوطات ومعرفة أوصافها ، يبدأ بجمع النسخ وفق الترتيب التالي :

1-يختار النسخة الأقدم على اعتبارها النسخة الأهم لاشتمالها على أكبر قدر من الأوصاف المطلوبة .

2- اختيار النسخ الأخرى للمقابلة، وهي التي تكون أوضح خطاً، أكثر إتقاناً، أو عليها سماعات..

- ويشترط في النسخ المقترحة ألا تكون منقولة عن بعضها ، وإلا عدت نسخة واحدة، ولا تصلح للمقابلة ، ويظهر النقل في تصريح الناسخ بذلك .

الهوامش:

1. لسان العرب، مادة حط و محيط المحيط مادة خط
2. منهج البحوث العلمي ، د. ثريا ملحس، ص:232 2-
3. راجع دراسات تاريخية ، د. أكرم ضياء العمري، ص:40-350
4. منفج البحث في الدراسات الإسلامية تأليفا وتحقيقا، د. فاروق حمادة، ص: 4107
5. المرجع السابق، ص: 5108

- الأستاذ: أ. سرقمة عاشور
- المحور: منهج البحث في التراث المخطوط وسبل حمايته
- عنوان المداخلة: المعالجة الآلية للمخطوط وطرق رقمنته
- الجامعة: م الجامعي غرداية

العيون وضياؤها وطب الأبدان وشفاؤها ، اللهم صل على سيدنا محمد وألبسني قميص نوره وإرشاده ، ونطقني بمناطق حبه ووداده ، واجعل نوره دليلي إلى صراطك المستقيم .

لم يعُد سرّاً على الباحثين المحدثين معرفة ما توفره التكنولوجيا الحديثة اليوم من وسائل وآلات خدمة للعلم والعلماء ، وتسهيل البحث العلمي حتى يُصبح البحث أكثر سهولة مع ربح للجهد والوقت علاوة على التوصل إلى نتائج أكثر دقةٍ ، مما كانت عليه قبل سنوات كثيرة . ولم يتأخر الذين يسعون إلى حفظ التراث المخطوط الذي يُعتبر كنزاً لكونه حاملاً لفكر الأمم وتاريخها وعصارة أفكار علمائها ودارسيها ، وذلك في الكثير من الدول العربية والغربية فمن الغربية نذكر فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وغيرها ومن الدول العربية الرائدة نذكر الإمارات العربية المتحدة حيث أنشأت فيها الكثير من المراكز الحديثة التي تسعى إلى حفظ المخطوط والعناية به ، ومنها مركز جمعة الماجد ، ومن الدول العربية نجد دولة مصر الشقيقة خاصة في دار الكتب القومية ، ومركز المخطوطات العربية والمغرب خاصة في الخزانة الملكية بالرباط ؛ وغيرها من الدول الأخرى بينما تأخر الأمر عندنا في الجزائر - في اعتقادي على الأقل - لأسباب قد نعلمها وبعضها لا نعلمها .

وسنحاول في هذه الورقة أن نقدم بعضاً من الطرق التي انتهجتها بعض الدول سابقة الذكر أو غيرها في حفظ المخطوط وذلك من خلال رقمنته .

وإذا عرفنا أن المخطوطات هي ذلك النوع من الكتب التي كتبت بخط اليد لعدم وجود الطباعة وقت تأليفها ، وتعتبر مصادر أولية لمعلومات موثقة في دراسة موضوعات متعددة ، إذا عرفنا هذا فإننا يجب أن نعرف ما تتعرض له هذه المخطوطات من تلف سواء أثناء استعمالها أو أثناء حفظها كما لاحظناه في بعض من المكتبات التي تضمها منطقة توات [6] ، لذلك نقترح أنه بعد أن تعالج أوراق المخطوطات التي تعاني مشاكل الفطريات ، كما تغلف بشمع خاص ، وتعلب في كرتون خال من الأسيد أو من مادة الألكالين ، ثم تكتب عليها معلومات رقمية على أقراص مدمجة ، ثم تصور وتعطى اسماً ورقماً ، أما microfiches والـ microfilms[7] ، إذا كانت هناك بعض المخطوطات المصورة عليها ، فتحول كذلك إلى مشغل التصوير الرقمي رفقة المخطوطات ، لأن كلتا الطريقتين السابقتين لها استعمال محدود حيث يجب أن يتوفر جهاز قراءتها وجهاز السحب كذلك ، إضافة إلى أن هناك الكثير منها التي أصبحت ممحوة من كثرة استعمالها من طرف الباحثين .

لما يُحول الكل إلى مشغل التصوير الرقمي كمرحلة ثانية ، حيث تصور وترقم وتحول المخطوطات الأصلية إلى المرحلة الأخيرة في حفظها في القاعة الخاصة بها ، ويتطلب حفظها شروطاً دقيقة لجهة الرطوبة والحرارة ؛ وتخضع لنظام تهوية خاصة ، كذلك فإن الرفوف التي تضم المخطوطات تغطى بنوع من البوذرة ؛ وتُدهن الجدران بمادة مضادة للفطريات ؛ فيما تجهز القاعة بنظام الحماية من الحرائق . وتوضع النسخ الإليكترونية تحت تصرف الباحثين والدارسين ، أما المخطوطات الأصلية فإنها تبقى محفوظة ، وبذلك تنشأ لدينا ما تعرف بالمكتبة الرقمية التي تحتوي على كل المخطوطات والوثائق محفوظة في أنواع الحفظ الرقمية المختلفة التي سنذكر البعض منها فيما بعد ،ويمكننا بعد ذلك نقلها مباشرة ووضعها في موقع المكتبة على الشبكة العنكبوتية ، ونحن عندما نُبعد المخطوطات الأصلية عن الباحثين نجنبها التلف والضياع من سوء استعمالها وكثرة استعمالها خاصة إذا كانت وثائقها بالية جداً ونجبها كذلك مشكل السرقة [8]، فالنسخ الرقمية شبيهة تماماً بالنسخ الأصلية مما يجعل الباحث تماماً وكأنه فيما يُعرف بـ " المتحف التفاعلي " .

والرقمنة هي " شكل من أشكال التوثيق الإليكتروني بحيث تتم عملية الرقمنة بنقل الوثيقة على وسيط إليكتروني وتتخذ شكلين أساسيين ، الرقمنة بشكل صور ؛ والرقمنة بشكل نص أين (حيث) يمكن إدخال بعض التحويلات والتعديلات عليها ، وذلك بعد معالجة النص بمساعدة برنامج خاص بالتعرف على الحروف " [9]

ودعماً لما سبق من القول يمكن أن نذكر بعض فوائد المكتبة الإليكترونية أو الرقمية :

- رقمنة مصادر المعلومات والمخطوطات والوثائق التي تمتلكها المكتبات والخزائن .
- خدمة المطلعين والزوار لموقع المكتبة بإتاحة مصادر المعلومات الإليكترونية من خلال شبكة الأنترنيت .
- حفظ ما تمتلكه المكتبات والخزائن من مخطوطات على وسائط إليكترونية يمكن استرجاعها ونقلها ، وإجراء المعالجة الإليكترونية عليها - خاصة أن هناك بعض المخطوطات التي كتبت بخط غير مقروء (صورة رقم 1) أو فيها محوٌ (صورة رقم 2) فالمعالجة الآلية تمكنك من تكبير صفحات المخطوط بل حتى الكلمات بقدر مساحة شاشة الكمبيوتر مثلاً ، سواء كانت مخطوطات أصلية أو مصورة ، وإفادة الباحثين من فهارس المخطوطات .

(صورة رقم 1) صورة من مخطوط " الشواهد الشعرية لمن أراد التفرس في العربية " لمحمد التَّواتي ، هذا المخطوط كُتب بخط تصعب قراءته ولكن عندما يُرقمن نستطيع تكبير الكلمات بحجم شاشة الكمبيوتر ، ومنه نستطيع قراءتها .

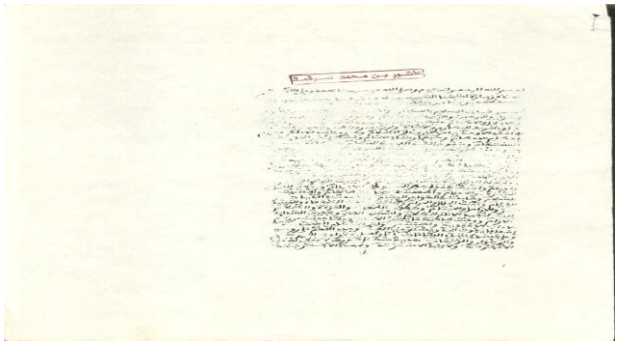

(صورة رقم 2) الصفحة الأولى من مخطوط قصيدة " الزيارة " لمحمد بن بادي بن باي الكبير . وظاهرٌ أنَّ فيه محواً يُمكن معالجته لما يُرقمن المخطوط .

ومن فوائد المكتبة الإليكترونية أو الرقمية :

ـإيصال المخطوط أو معلومات حوله إلى المُستفيد من أي مكان دون التنقل إلى المكتبات والخزائن.

ـ التوسع في بناء مجموعات رقمية جديدة حسب احتياج المكتبات وزوارها .

ويرى الدكتور وليد سالم محمد الحلفاوي أن المكتبات الإليكترونية electronic libraries تعتبر " أحد المكونات الأساسية للعالم الإليكتروني الذي نحياه الآن ... والتي تقوم على فكرة تسهيل الوصول إلى مصادر المعرفة أيّاً كان مكانها " [10] ، وذلك دون التنقل والسفر .

وتطلق على المكتبة الإليكترونية مسميات عديدة منها المكتبة الافتراضية و المكتبة الرقمية والمكتبة الذكية ولكن أكثرها انتشاراً وشيوعاً هو المكتبة الإليكترونية ، والتي يمكن تعريفها على أنها " المكتبة التي تركز في عملها على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات لتحويل بيانات المكتبة المختلفة وأسلوب العمل بينها وتداول الكتب والدرويات والمجلات إلى أسلوب تقني يعتمد على التقنيات الحديثة وفي مقدمتها شبكة الأنترنيت وخدماتها بغرض تطوير البحث العلمي وتيسير التجول بين المراجع أيّاً كانت أماكن تواجدها " [11] .

وتعرف أيضاً على أنها " الوجه الرقمي للمكتبات التقليدية حيث أنها تحتوي على جميع العمليات والخدمات والتي تمثل العمود الفقري للمكتبات التقليدية ولكن باستخدام النظام الرقمي ، وهي لذلك تتطلب مهارات كل المكتبيين وإخصائي الحاسبات " [12]

ويراها صالح الدلهومي أنها " مكتبة عادية أوشبكة مكتبات لها رصيد وثائقي مرقم معتبر يمكن معاينته consultation من بعيد أو قريب بواسطة الكمبيوتر وواجهة interface تمكن الاستعمال العمومي " [13] .

كما يشار إليها على أنها " تعكس مفهوم الإتاحة من بعيد لمحتويات وخدمات المكتبات وغيرها من مصادر المعلومات بحيث تجمع بين الأوعية على الموقع والمواد الجارية والمستخدمة بكثرة سواء كانت مطبوعة أو إليكترونية ، وتستعين في ذلك بشبكة إليكترونية تزودنا بإمكانات الوصول إلى المكتبة أو المصادر العالمية الخارجية واستلام الوثائق منها " [14] .

ومن الآراء السابقة يمكن تحديد المكتبات الإليكترونية على أنها : تلك المكتبات التي تخزن محتواها في شكل رقمي وتتيح لمستخدميها وسائل آلية للبحث والاسترجاع ، وذلك لتحقيق الاستخدام الممكن والفعلي لها وتسهيل الوصول لمحتواها .

ومنه يمكننا ربط هذه المكتبات الإلكترونية / الرقمية بخزائن المخطوطات ومكتباتها والاستفادة مما يمكن أن تقدمه هذه المكتبات الحديثة .

ولنا أن نميز المكتبات الرقمية عن المكتبات التقليدية بعديد المميزات والخصائص نذكر منها :

1- إدارة المصادر من خلال الحاسب .

2ـالقدرةعلى ربط مالك المعلومات بالباحث عنها من خلال قنوات اتصال إليكترونية .

3ـ وجود أفراد متخصصين لتقديم الخدمة عبر الوسائل الإليكترونية .

4- القدرة على تخزين وتنظيم ونقل البيانات والمعلومات إلى الباحث من خلال قنوات إليكترونية .

5ـ الحفاظ على البيئة ، فوجود المكتبات الإليكترونية التي تحتفظ بمعلوماتها في صورة إليكترونية رقمية سيوفر إلى حد كبير ذلك الكم الهائل من الورق والأحبار والكيمياويات التي تستخدم في الطباعة التقليدية وتداول المعلومات من خلال الكتب والمجلات والمطبوعات .

" بالإضافة إلى الخصائص السابقة فإنها تتميز ببعض الخصائص التي ترتبط بمستحدثات تكنولوجيا الاتصال والمعلومات والتي أصبحت تعتمد عليها في تحقيق وظائفها ومنها :

- التفاعلية interactivity .
- اللاجماهيرية domystification .
- قابلية التحويل convertibility .(تبادل الملفات)
- قابلية التوصيل connectivity .
- الكونية أو العالمية globalization . "[15] ، وتتحقق في هذه الأخير ة ما تسمى بالحدود المفتوحة unburdens .

ومن العرض السابق نستطيع أن نشير في إيجاز إلى أن مزايا المكتبة الإليكترونية والكتاب الإليكتروني تتمثل في النقاط التالية :

- نشر المخطوطات على الإنترنيت ليستفيد منها جميع الباحثين .
- توفر الاطلاع على المخطوطات يومياً وفي أي وقت ولمدة (24) ساعة يومياً .
- الاحتفاظ بمكتبة ضخمة في مكان صغير .
- التحميل الفوري للوثائق والمخطوطات .
- سهولة حمل أكثر من كتاب .
- التحرك بين الصفحات بلمسة واحدة من الماوس .

ـ القدرة على زيادة سمك ومقاس الحروف لسهولة القراءة في حالة ضعف النظر وإعادة استخدام خاصية الضوء خاصية القراءة والمعالجة في ضوء معتَّم .

وتتم المعالجة الآلية للمخطوط بعد أن يتم تصويره بما تعرف بـ : الصورة الرقمية **digital photo** ، وهي نتيجة للتطور الذي عرفها عالم التكنولوجيا الحديثة بعد أن أصبح الكمبيوتر يحتوي على مجموعة من الروابط التي تربطه مباشرة بآلات التصوير ، وأصبحت الكاميرا تلتقط الصور بشكل يفهمه الحاسب ، وأصبح للحاسب ذاكرة قوية تستوعب الصور بحجمها الكبير سواء تم التقاطها بكاميرا رقمية أو فوتوغرافية ، وما أنحدث هذا الربط حتى ظهر ما يسمى بالصورة الرقمية .

ويذهب وليد سالم محمد الحلفاوي إلى أن فكرة الصورة الرقمية تقوم " على أنها صورة مكونة من مئات الآلاف أو ملايين المربعات الصغيرة وتسمى عناصر الصورة أو بيكسلات ، وعندما يبدأ الحاسب بمعالجة الصورة فإنه يقوم بتقسيم الشاشة أو الصفحة المطبوعة إلى شبكة من البيكسلات ثم يقوم باستخدام القيم المخزنة للصورة الرقمية ليعطي لكل بيكسل لونه وسطوعه ، وتعتمد جودة الصورة الرقمية على عدد البيكسلات المكونة لها فكلما ازدادت عدد البيكسلات المكونة لها كلما تم الحصول على نوعية أفضل من الصورة الرقمية " [16]. ويجب أن تكون الطريقة التي تؤخذ بها صورة لصفحات للمخطوط طريقة صحيحة بحيث لا تظهر الأيدي أو تكون بعيدة بل يجب استخدام كل الأنظمة التي تتوفر عليها آلات التصوير خاصة الحديثة الرقمية من توضيح للصورة وتصغير وتكبير وغيرها .

ونوضح في الصورة (رقم 1) التالية إحدى الطرق الخاطئة في تصوير المخطوط حيث تظهر اليد أثناء التصوير :

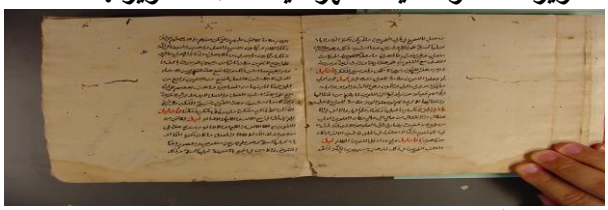

(صورة رقم 3)

كما يمكن أيضاً الحصول على الصور الرقمية بواسطة المسح الضوئي للوثائق وأوراق المخطوطات ويتم ذلك بمثل الجهاز الموضح في (الصورة رقم 4) ، وهو ماسح آلي (مفراس) لأوراق المخطوطات .

(صورة رقم 4)

ويتم إدخال الصورة إلى جهاز الحسب بأحد طريقتين :

1) ـ الماسحات الضوئية التي تستخدم لمسح الصور التقليدية : وتعتمد هذه الطريقة على مسح الصورة الفوتوغرافية العادية التي تم التقاطها بكاميرا فوتوغرافية عادية من خلال جهاز الماسح الضوئي **optical scanner** لتتم معالجتها بعد ذلك بأحد برامج معالجات الصور .
2) الكاميرات التي تلتقط الصور بطريقة رقمية : وتسمى تلك العملية التصوير الرقمي ويمكن تعريفه على أنه " تصوير فوتوغرافي يتم عن كاميرات رقمية تعتمد مكوناتها على الجمع ما بين خصائص الكاميرات الفتوغرافية ونظم البيانات والمعلومات بالحاسب حيث يتم من خلال تلك الكاميرات الرقمية تحويل الصور الضوئية المكونة من فوتونات وهي موجات تناظرية **analog** إلى صور إليكترونية رقمية **digital** حيث تتم معالجتها بشكل رقمي وذلك بتخزينها كصفوف لأرقام ثنائية بشكل نسبي وسريع من خلال التحليل الكمي والغير محدود " [17].

وبعد المراحل السابقة يمكننا معالجة صور المخطوطات بالبرامج الخاصة بمعالجة الصور مثل برنامج **photoshop** ، فيمكننا حينئذٍ أن نزيد من سطوع اللون أو ننقص منه ، وجعل الصور أصغر أو أكبر ولا يخفى على المحققين للمخطوطات ما يمكن أن تحدثه هذه الإجراءات من تسهيلات أثناء تحقيق النصوص المخطوطة . ويمكننا أيضاً تقليل عدد البيكسلات لجعل الصورة أصغر ، أو ضغطها مثلاً بنظام الـ **WinRar** ؛ مما يُسهل إرسالها عبر **E-mail** أو الشبكة العنكبوتية ، أو تخزينها في إحدى وسائط التخزين لاستخدامها لاحقاً (وسائط التخزين الرقمية مختلفة ومتنوعة وتختلف سعاتها الاستيعابية ومنها الأقراص المرنة والأقراص المدمجة ...) أو لحفظ نسخة منها .

ولا يفوتني أن أشير إلى أننا عندما نقوم بتصفح المخطوط المُرقمن على جهاز الكمبيوتر أو غيره من وسائل القراءة الحديثة فكأننا أمام نسخة المخطوط الورقية الحقيقية .

ذكرنا سابقاً أنه يمكن أن تنشر المخطوطات على شبكة الإنترنيت ، وذلك لما تقدمه من خدمات مهمة في مجال المعلوماتية عامة ، والتي هي ضالة الباحث النشط المتطلع للجديد دائماً . وفي مجال المخطوطات يمكننا نشر فهارس المكتبات والخزائن كخطوة أولية تتلوها نشر ملخصات عن المخطوطات ثم في الأخير نشر صور كاملة للمخطوطات عبر الأنظمة الحديثة القابلة للتحميل بسهولة كنظام الـ **pdf** أو نظام الـ **acrobat** أو **Adobe Reader** ، وهذه الخطوة من تحميل للأعمال العلمية على شبكة الإنترنيت قامت بها إحدى الجامعات البريطانية وهي جامعة **BATH** ، حيث وضعت قاعدة معلومات أسمتها **Bids** وهي اختصار لكلمات **Bath Information and date service** وتضم هذه القاعدة البيانية أسماء البحوث المنشورة في الفروع العلمية والإنسانية والاجتماعية والفنية منذ عام 1981م حتى الآن . وفي عام 1991 م شملت هذه القاعدة ملخصات **Abstract** للبحوث المنشورة ، وفي تطوير آخر لهذه القاعدة ، وفي العام 1996م أصبح من الممكن قراءة البحوث كاملة فيها [18] .

فبإمكاننا أيضاً تتبع نفس الخطوات في فهرسة وإدراج المخطوطات الموجودة في المكتبات التواتية ، حتى يستطيع أي باحث ، ايّاً كان موطنه من الاطلاع عليها والسعي لتحقيقها ونشرها والإفادة منها . ولكن لا شك أنَّ العملية السهلة للحصول على المخطوطات والوثائق النادرة بهذه السهولة

يدفعنا إلى طرح قضية جوهرية وأساسية وهي تتعلق بما يمكن أن تتعرض له تلك الكنوز العلمية من قرصنة واستخدامها لأغراض أخرى غير علمية لذلك فقد تنبه المشرفون على بعض المواقع " إلى وضع نظم لتأمين معلوماتهم من أعمال السرقة والقرصنة وكذلك من تدمير معلوماتهم من خلال الفيروسات التي يمكنها إتلاف الأنظمة والمعلومات أو تطفل أشخاص على معلوماتهم ، لذا كان لا بد أن يكون هناك أنظمة لوقف هذه الأعمال وحماية المعلومات ، لذلك قام المختصون بعمل الحماية والوقاية لتقليل الإصابات وكسر حاجز الأمان وهو ما يسمى Fire wall باستخدام وسائل لحماية نظم المعلومات وهو ما يُسمى التوثيق Authentication " [19].

ومن التجارب العربية الرائدة في رقمنة المخطوطات هو ما تبناه مركز المعلومات التابع لرئاسة مجلس الوزراء المصري الذي يهدف إلى توثيق التراث الحضاري ، ففي مارس من عام 1992 أصدر المركز مشروع إنشاء نظام معلومات المخطوطات العربية بدار الكتب المصرية ، ومن بين الأهداف العامة للمشروع الحفاظ على التراث الحضاري العربي ، ونشر هذا التراث ، وتوفير قواعد بيانات تساعد الباحثين على التعرف إلى هذا التراث ، وأخيراً نشر تكنولوجيات المعلومات الحديثة في المراكز الأخرى بالوطن العربي ، أما الأهداف التنفيذية التي كان المركز يطمح إلى تنفيذها خلال ستة أشهر في إنشاء مجموعة قواعد بيانات المخطوطات فيما يلي :

ـ قواعد البيانات الببليوغرافية للمخطوطات في دار الكتب المصرية .

ـ قواعد البيانات لمصطلحات المخطوطات العربية المنشورة .

ـ قواعد البيانات للمخطوطات المصورة " النسخ الكاملة لمجموعاتالمخطوطات ذات القيمة التاريخية والفنية " .

ـ إستخدام التكنولوجيا متعددة الأوساط في دعم قواعد بيانات المخطوطات .

وبعد أن تم تصميم نظام المعلومات ، تم تكوين فريق عمل من موظفي قسم المخطوطات بدار الكتب المصرية ، ليبدأ العمل الفعلي في إنشاء قاعدة البيانات الببليوغرافية في ماي 1992 ، واستمر العمل لمدة عام ثم توقف في أوت 1993[20].

وقبل هذا بسنوات كثيرة كان قد أنشأ مركز الصيانة والترميم والميكروفيلم ، الذي يرجع تاريخ تأسيسه إلى عام 1962 وذلك " عندما استقدمت الدار خبيرة روسية في أعمال ترميم وصيانة المخطوطات والوثائق تنفيذاً لمعاهدة الثقافية بين الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفياتي ... أما قسم الميكروفيلم فيرجع تاريخه إلى عام 1930 عندما أنشأت الدار قسماً للتصوير تابعاً لمطبعة دار الكتب لتصوير المخطوطات على ورق حَسَّاس بطريقة الفوتوستات . وفي عام 1951 زُود القسم بوحدة متنقلة لتصوير الميكروفلم زادت إلى ثلاثة آلات عام 1969 وأصبح قسماً مستقلاً يُعرف بـ " قسم التصوير " [21] وتم في ذلك الوقت تصوير ما يقارب 54000 ألف ميكروفلم من نسختين واحدة سالبة تُستخدم في الاستنساخ والأخرى موجبة تستخدم للقراءة على الآلات القارئة .

وفي عام 1997 اهتم معهد المخطوطات العربية بعرض تجارب عربية في فهرسة المخطوطات ودور الحاسوب في معالجتها ، وكذلك قضية الفهرسة الآلية للمخطوطات ، واتجه اهتمام المتخصصين إلى ضرورة الاستفادة من تكنولوجيا المعلومات وتوظيفها في خدمة قضايا المخطوطات وإنشاء قواعد بيانات تمهيداً لتكوين قاعدة بيانات موحدة للمخطوطات العربية [22].

وفي عام 1998 ظهر أول نظام معلومات آلي للمخطوطات العربية ومن أبرز ملامح هذا النظام أنه موجه لفئتين ، هما المكتبات والباحثون المهتمون

---

[1] - لسان العرب، مادة حط و محيط المحيط مادة خط

[2] منهج البحوث العلمي ، د. ثريا ملحس، ص:232 2-

[3] - راجع دراسات تاريخية ، د. أكرم ضياء العمري، ص:40-350

[4] - منفج البحث في الدراسات الإسلامية تأليفا وتحقيقا، د. فاروق حمادة، ص: 4107

[5] - المرجع السابق، ص: 5108

[6] / كمكتبة بودة ، وأقبلي ، ومكتبة المرحوم ابن الوليد الوليد بباعبد الله تيمي أدرار .

[7] / يذكر الدكتور عبد العزيز بن محمد المسفر أنَّ التصوير المايكروفيلمي أسبق استخداماً من الحاسوب في مجال الوثائق والمخطوطات ، وكذا في خدمة الباحثين ، وأحصى له أكثر من سبعة ميزات " (المخطوط العربي وشيء من قضاياه - دار المريخ للنشر - الرياض ، م.ع. السعودية - 1420هـ ، 1999مـ - ص : 128ومابعدها) إلا أننا نرى - وبكل تواضع - أن التقنيات الحديثة في رقمنة المخطوطات قد احتوت على كل تلك الميزات وزادت عليها . فمن مشاكل الميكروفيلم أنه لا يمكن قراءته وتصويره إلا باستعمال الأجهزة المخصصة لذلك وهي قليلة ، وأنا شخصياً حصلت على نسخة من مخطوط لا يمكن تصويره ورقياً من مركز المخطوطات العربية بالقاهرة ولم أجد حتى الساعة أين أحوله إلى ورق ....

[8] / شهدت جل المكتبات التواتية سرقة لبعض المخطوطات المهمة ، وضياع البعض منها أو فقد أجزاء منها كما هو الأمر مثلاً بالنسبة لمخطوط " نقل الرواة عمن أبدع قصور توات " لمحمد بن المبروك الأب .

[9] / حافظي زهير - دور تكنولوجيا المعلومات في حفظ المخطوطات العربية (مقال) - www.cybrarians.info/journal/no14/manuscripts.htm

[10] / مستحدثات تكنولوجيا التعليم في عصر المعلوماتية - دار الفكر للنشر والتوزيع - عمَّان ، الأردن - ط1 - 2006م ،1427 هـ - ص : 148 .

[11] / إبراهيم عبد الوكيل الفار - استخدام الحاسوب في التعليم - دار الفكر للطباعة والنشر - عمان ، الأردن - 2003 - ص : 220 .

[12] / Cleveland , gary : digital library : difinitions , issue and challenges1998 . availabl at : http //www. Ifla.org/ vi.5/op/vdtop8.htm3/22/2004.

[13] / إشكالية المكتبة الإليكترونية ومستفيديها - المؤتمر العاشر للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات : المكتبة الإليكترونية والنشر الإليكتروني وخدمات المعلومات ، نابل ، 8 - 12 أكتوبر 1999- ص : 75 .

[14] / أبوبكر الهوش - التحول من النشر التقليدي إلى النشر الإليكتروني - المؤتمر العاشر للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات : المكتبة الإليكترونية والنشر الإليكتروني وخدمات المعلومات - نابل ، 8 - 12 أكتوبر 1999- ص : 142 .

[15] / إيناس أحمد إبراهيم العفني - متطلبات إنشاء المكتبات الرقمية كمصدر تعلم بكليات التربية في مصر - مخطوط رسالة ماجستير - كلية التربية ، جامعة حلوان - 2002 - ص : 45،48 .
نقلاً عن : وليد سالم محمد الحلفاوي - مستحدثات تكنولوجيا التعليم في عصر المعلوماتية - م . س - ص : 150 .

[16] / مستحدثات تكنولوجيا التعليم في عصر المعلوماتية - م.س - ص : 220 .

[17] / نفسه - ص : 221 ، 222 .

[18] / أنظر : محمد صالح الخليفي - الأنترنيت للمكتبات ومراكز المعلومات - ط1 - دار عالم الكتب ، الرياض ، السعودية - ص : 38 .

[19] / أحمد يوسف عيادات - الحاسوب التعليمي وتطبيقاته التربوية - دار المسيرة ، عمَّان - ط1 - 2004مـ ،1425 - ص : 196 .

[20] / أيمن فؤاد سيد - التجربة المصرية في التجارب العربية في فهرسة المخطوطات - تحرير فيصل الحفيان - معهد المخطوطات العربية ، القاهرة - 1998 - ص : 59 .

[21] / الدكتور أيمن فؤاد سيد - دار الكتب المصرية تاريخها وتطورها - مكتبة الدار العربية للكتاب - 2005 - ص : 185 وما بعدها .

[22] / أنظر : أحمد شوقي بنبين ـ التجربة المغربية ، في : التجارب العربية في فهرسة المخطوطات ـ معهد المخطوطات العربية القاهرة ـ 1998 ـ ص: 141 .

- الأستاذ: أ .حمدادو سيد أحمد
- المحور: منهج البحث في التراث المخطوط وسبل حمايته
- عنوان المداخلة: منهج المؤرخين في تحقيق التراث –الواقع والرهانات-
- الجامعة: جامعة وهران

الخوض في ميدان تحقيق التراث العربي الإسلامي وعلاقته بالبحث العلمي، وارتأينا معشر الحضور في هذه العجالة أن نبيّن مسألة مهمة لطالما عانى منها الباحثون والمؤرخون والمحققون أنفسهم، ألا وهي مسألة منهج المحققين في تحقيق تراثنا العربي الإسلامي، الذي يعكس حضارتنا عبر الأزمة والسنون، ومن ثمّ إعطاء صورة جلية عن هويتنا وذاكرتنا من خلال محافظتنا على ذخائرنا وكنوزنا من تلك المخطوطات النفيسة، وفي مجالات عدة.

وقد كانت لي فرص ثمينة بالمخطوطات عبر خزائن أدرار في إطار المحافظة على المخطوطات ضمن شبكة المخابر المشتركة للمخطوطات، والتي من خلالها حولنا فهرسة بعض خزائن منطقة أولف وما جاورها، وأقصد بذلك خزائن أقبلي، خزانة تيط، خزانة زاوية حينون، خزانة مولاي التهامي، خزانة الشيخ بختي، خزانة أمبارك حاد الله وخزانة أولاد سيدي بية.

أمّا عن موضوع مداخلتنا فقد قسمناها إلى محاور ثلاث:

1. المحور الأول: نبذة موجزة تعريفية بعلم التحقيق
2. المحور الثاني: واقعنا في منهجية تحقيق التراث
3. المحور الثالث: الرهانات المعول عليها في هذه المنهجية

فأستعين بالله وأقول أنّ موضوع تحقيق التراث من المواضيع الهامة والخطيرة في الوقت نفسه، إذ هي أمانة علمية في رقاب المحققين والمؤرخين والباحثين، وأحاول أن أعتمد هذا التسلسل في ترتيب فنة المهتمين بهذا التراث العربي الإسلامي، فالمحققون هم أولى الفئات العاملة في هذا الحقل التراثي، ويأتون في المرتبة الأولى باعتبارهم أهل اختصاص ومعرفة بفن منهجية التحقيق، تليها فئة المؤرخين باعتبارهم منقبون عن الحقيقة التاريخية أينما كانت وعبر مختلف الحقب التاريخية المتعارف عليها، لتأتي في المرتبة الثالثة فئة الباحثين باعتبارهم مهتمين بجزء من هذا التراث العربي.

وعلى هذا الأساس جاء في تعريف علم التحقيق على أنّه " فن خفيُّ المسالك، عظيم المزالق، كثير المضائق"، فالتحقيق لغة: هو الإثبات والإحكام، وقد قيل: كلام محقق أي محكم الصنعة رصين، ثم أصطلح عليه فيما بعد على أنه ما يقوم به العالم من إخراج نص المخطوط في صورة صحيحة متقنة، ضبطاً وتشكيلاً، وشرحاً وتعليقاً، وفق أصول متبعة معروفة لدى أهل هذا الاختصاص(1).

وكسائر المصطلحات الجديدة فقد اختُلف في تعريفه، فقد عرّفه الدكتور عبد الهادي الفضلي بقوله: "هو إخراج الكتاب بصورة مطابقة لأصل المؤلف أو الأصل الصحيح الموثوق إذا فقدت نسخة المؤلف".(2) وعرّفه محمود شاكر بأنه: "بذل عناية خاصة بالمخطوط لتقديمه صحيحاً كما وضعه مؤلفه". أما محمد السيد علي البلاسي فقد عرّفه في مقاله " أصول تحقيق المخطوطات" بأنه: "إخراج الكتاب على أسس صحيحة محكمة من التحقيق العلمي في عنوانه واسم مؤلفه ونسبته إليه، وتحريره من التصحيف والتحريف والخطأ والنقص والزيادة".

ويقول الدكتور عبد الإله نبهان: "عن التحقيق أنه: إخراج نصّ معيّن في شكل أقرب ما يكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه اعتماداً على المقارنة بين كلّ النسخ التي بقيت من الكتاب، وهو مصطلح حديث". وحتى الآن لا نجد للتحقيق تعريفًا واضحًا وافيًا موجزًا إلا ما جاء به حديثًا الدكتور فخر الدين قباوة حين عرّف التحقيق اصطلاحًا بأنه: "علم بأصول لإخراج النص المخطوط على الصورة التي أرادها صاحبها من حيث اللفظ والمعنى، فإن تعذّر هذا كانت عبارات النص على أقرب ما يمكن من ذلك".(3)

غير أنّ علم التحقيق لم يظهر دفعة واحدة، بل مر بمراحل، بحيث كانت كلّ مرحلة عبارة عن تتمة لسابقتها، ومضافة إليها، من هنا قام أجدادنا العرب والمسلمون بجهود كبيرة في تحقيق النصوص وتوثيقها وفق قواعد مدروسة ومضبوطة تثبت صحة النص ومعرفة صاحبه وتاريخ نسخه وناسخه، ونوع الخط والورق والحبر إلى غير ذلك... ويؤكد بعضهم هذه الحقيقة بقوله: "لقد كانوا يعرفون كل القواعد العلمية التي نتبعها في إخراج كتاب لا من حيث رموز المخطوطات فحسب، بل أيضاً من حيث اختيار أوثق النسخ لاستخلاص أدق صورة للنص "(4).

وسار الأمر على هذه الوتيرة إلى أن جاء عصر المطبوعات مع أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث ذهب بعض رجال العلم والمعرفة إلى تحقيق التراث والإقبال على نشره، خصوصا بعد انتشار دور الطباعة والنشر، وهناك اهتم بعض العلماء بنشر التراث وتحقيقه في كامل الميادين: في الدين واللغة والأدب والعلوم والفنون والتاريخ والنسب عاكفين على نشره بشتى الوسائل المتاحة لهم آنذاك، منوهين بعلم التحقيق وخدمته بشكل علمي ودقيق، وهذا ما نراه من خلال مؤلفات بعض العلماء التي تناولت وأشادت به تعريفاً وشرحاً وتمثيلاً، ولا ننكر استفادة علماءنا ومؤرخينا من جهود المستشرقين ودورهم الريادي في هذا المجال(5)، بالرغم من نقلها لكثير من مؤلفات أجدادنا العلماء التي قد تناولت وبإسهاب هذا العلم، فقد تضمنت كتبهم بعضاً من قواعد التحقيق والتوثيق وطرائقهما، ومن جملة هذه الكتب نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- مقدمة ابن الصلاح لعثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري.
- تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم لابن جماعة.
- المعيد في أدب المفيد والمستفيد للعلموي.
- أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني.
- التعريف بآداب التأليف للسيوطي.

كما استمد مؤلّفو كتب علم تحقيق المخطوطات قواعدهم وتوثيقهم من تجارب العلماء الذين مارسوا فن التحقيق قبلهم، وعليه يمكننا أن نجزم وبثقة بأنّ علم التحقيق قد أصبح علمًا مستقلا قائمًا بذاته، له مناهجه وطرائقه وقواعده ومؤلفاته، مرتبط ارتباطا وثيقا بعلم المخطوطات أو ما يسميه البعض بالكوديكولوجيا وهو الآخر علم قائم بذاته.

ومن جملة هذه الكتب المهمة التي اعتنت بعلم التحقيق، وبالمخطوطات() ونشرها نذكر:

- أُسس تحقيق التراث العربي ومناهجه، لجنة مختصة في بغداد، معهد المخطوطات العربية في الكويت، 1400هـ.
- أصول كتابة البحث العلمي وتحقيق المخطوطات، د. يوسف المرعشلي، دار المعرفة، بيروت، 1424هـ-2004م.

- أضواء على البحث والمصادر، د.عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، 1426هـ- 2005م.
- تحقيق التراث العربي.. منهجه وتطوره، د.عبد المجيد دياب، منشورات المركز العربي للصحافة، القاهرة، 1983م.
- تحقيق التراث، د.عبد الهادي الفضلي، ط1، مكتبة العلم بجدة، 1402هـ.
- تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، د.عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1415هـ.
- تحقيق النصوص ونشرها، عبد السلام هارون، القاهرة، 1374هـ- 1954م. وهو أول كتاب عربي في هذا الفن يوضح مناهجه ويعالج مشكلاته، ثم تتابعت بعده الكتب التي تعالج هذا الموضوع.
- تحقيق مخطوطات العلوم الشرعية: يحيى هلال السرحان، بغداد، 1404هـ.
- تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، د.الصادق عبد الرحمن الغرياني، ليبيا، 1989م.
- تصحيح الكتب وصنع الفهارس المعجمة وكيفية ضبط الكتاب: أحمد شاكر، باعتناء عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1414-1993.
- علم التحقيق للمخطوطات العربية بحث تأسيسي للتأصيل: فخر الدين قباوة، دار الملتقى، حلب، 2005. وهو أحدث وأشمل كتاب تناول علم التحقيق أصولاً وتاريخاً وممارسةً.
- عناية المُحدّثين بتوثيق المرويات وأثر ذلك في تحقيق المخطوطات، أحمد نور سيف، دمشق، 1407.
- فهرسة المخطوط العربي، ميري عبودي فتوحي، من منشورات دار الرشيد بغداد، 1980م.
- في منهج تحقيق المخطوطات، مطاع الطرابيشي، دار الفكر بدمشق، 1403هـ.
- قواعد تحقيق المخطوطات: صلاح الدين المنجد، 1955، القاهرة.
- محاضرات في تحقيق النصوص: أحمد محمد الخراط، دمشق، 1404.
- المخطوط العربي، د.عبد الستار الحلوجي، ط2، مكتبة مصباح بجدة، 1409هـ.
- المخطوطات العربية - تحقيقها وقواعد فهرستها: فاضل عثمان توفيق النقيب، بغداد، 1395.
- مقدمة في المنهج: بنت الشاطئ.
- مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمُحدثين: رمضان عبد التواب، القاهرة، 1406.
- المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، د.محمد التونجي، دار الملاح للطباعة والنشر، ط1، 1406هـ-1986م.
- منهج البحث والتحقيق، الدكتور عبد الخالق داد ملك.
- منهج تحقيق النصوص ونشرها، د.فوزي حمودي القيسي ود. سامي مكي العاني، مطبعة المعارف ببغداد، 1975م

دور المستشرقين في خدمة التراث المخطوط:

ممّا لا شك فيه أنّ للمستشرقين فضل السبق في نشر تراثنا وتحقيقه وتصنيفه، حيث وضعوا منهجاً في تحقيق المخطوطات ساروا عليه. ومن ثمّ بدأ العرب بتحقيق النصوص، فبرزت كتب نفيسة، وقوي التنافس في هذا المجال، خصوصا بعد أن فتح البحث العلمي أبوابه؛ لتحقيق التراث متجسدة في إقامة بحوث يجتاز بها الباحث شهادات عليا، وكان للدكتور بن نعمية عبد المجيد الشرف في إشرافه على تحقيق بعض النصوص المخطوطة وتحقيقها، إلى جانب إشرافه على أبحاث تهتم بالتراث المخطوط خصوصا في رسائل الماجستير، وأطروحات الدكتوراه.

وهو ما جعله ينشئ مخبرا فتيا يضم مجموعة من فرق البحث كل على حسب اختصاصاتها تهتم بجمع التراث المخطوط وفهرسته ومن ثم تحقيقه ونشره إلى عامة الباحثين والمؤرخين والمهتمين بهذا الصرح الحضاري العتيد. كما أصبح يدرس في الدراسات العليا وأقصد بذلك حقل الماجستير كمقياس يسمى " مقياس منهجية تحقيق المخطوطات " يُدَّرسُ نظرياً وعملياً. وهنا يمكنني أن أميز بين مدرستين في تحقيق التراث المخطوط: المدرسة المشرقية والمدرسة المغربية.

- تستند بعض المدارس في تحقيق النصوص التراثية من أعلام وأماكن وأبيات إلى مصادر مطبوعة دون المخطوطة، وتكتفي بالتخريج من الدواوين الشعرية المطبوعة المحققة، أو المجموعة، والإشارة إلى الخلاف في الرواية، إن وجد، إذ لا حاجة لسرد المصادر التي جاء فيها هذا البيت أو ذاك، فهي كثيرة، ولا يمكن حصرها، فهذا مثلا رأي بعض إحدى المدارس الشرقية خصوصا المدرسة الشامية.
- الحد من إكثار عملية التخريج أيا كانت

غير أنه من خلال اطلاعنا المتواضع على بعض مناهج علمائنا الأقدمين ومناهج المُحدثين، تبّن لنا أنّ أعمالهم التحقيقية اتسمت بميزات خاصة ف من بلد لآخر، حيث أصبحت المدرسة المغاربية، متميزة بها، ورائدة في هذا المجال نذكر منهم على سبيل المثال الأستاذ محمد المنوني، الأستاذ شوقي بنبين، الأستاذ يحي بوعزيز، الأستاذ رابح بونار، الأستاذ عبد الكريم الجزائري، الأستاذ أبو القاسم سعد الله، الأستاذ بن أبي شنب والشيخ المهدي البوعبدلي، ومن المستشرقين أمثال جاك بيرك، ليفي بروفنصال، جورج دولفان، لوسيان ، الجنرال فور بيقي وغيرهم كثر. ومن هذه الميزات نذكر:

1- التسلسل الزمني في ذكر مصادر التخريج

2- الاكتفاء بالتخريج من الدواوين الشعرية المطبوعة المحققة، أو المجموعة، والإشارة إلى الخلاف في الرواية ، إن وجد.

3- الرجوع إلى المصادر القديمة المتخصصة في التراجم: فثمة من يكتفي بالإشارة إلى الأعلام لخير الدين الزركلي، المتوفى سنة 1976م، أو إلى معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة ، المتوفى سنة 1987م، وهو منهج لقسم من المحققين، الذين يطلبون الأسهل والممكن. في حين أنّ هناك من يشير إلى الأعلام مرة، وإلى كشف الظنون أخرى، وإلى خزانة الأدب.

ومنهجنا الذي نحسب أنه هو الأفضل والمتبع في سائر الدراسات التراثية التحقيقية هو الرجوع في تراجم الصحابة إلى الكتب ، التي أفردت لتراجمهم مثل: الاستيعاب، لابن عبد البر القرطبي، والاستبصار في نسب الصحابة من الأنصار ، لابن قدامة المقدسي ، وأسد الغابة ، لابن الأثير، والإصابة، لابن حجر العسقلاني، وبالرجوع في تراجم المفسرين إلى الكتب الخاصة بتراجمهم، ككتاب طبقات المفسرين، للسيوطي، وهكذا بالنسبة لتراجم المُحَدثين، وتراجم الضعفاء من المحدثين وتراجم أصحاب المذاهب الأربعة و تراجم القراء ، وتراجم النحاة واللغويين وغيرها ...(6)

أيّ الرجوع في تحقيق النصوص التراثية إلى طريقة الأستاذ عبد السلام هارون، لأنها تعطي النص المحقق ثوبا رائعا وحلّة جميلة تكسوها تلك التعليقات الكثيرة في الهامش من تعريف لتراجم بعض الأعلام أو الأماكن أو البلدان أو المدن...

واقعنا في منهجية تحقيق التراث المخطوط:

لقد عالج علماؤنا العرب كثيرا من المسائل، التي نعالجها اليوم في تحقيقنا للمخطوطات من المقابلة بين النسخ، وإصلاح الخطأ، وعلاج السقط، وعلاج الزيادة، وذكر التشابه بين قسم من الحروف، ووضع الحواشي، وعلامات الترقيم والرموز والاختصارات، وثبت المصادر. ومن بين النقاط الأساسية التي يجب إتباعها في تحقيق التراث المخطوط في يومنا المعاصر هو تلك الاجتهادات التي تركها لنا بعض من له فضل علينا ممن سبقونا في تحقيق تراثنا العربي الإسلامي من العلماء والمؤرخين والباحثين في هذا العصر، ومن بين تلك الخطوات التي على المحقق أن يسلكها ما يلي:

- إن تحقيق أي مخطوط أو كتاب تراثي عمل مضني وشاق، ولذا وجب قبل كل شيء على المحقق أن يقوم بدراسة المخطوط أولاً دراسة جادة متأنية ومن ثمّ الوقوف على ما فيها من الزيادة أو النقصان ومقارنتها بغيرها في الموضوع نفسه.

- الاحتفاظ بقدسية النص: لا يجوز فيه التغيير أو التبديل، وإن كانت هناك خلافات بين المخطوط الأصلي والنسخ الأخرى لا بد من الإشارة إليها في الهامش.

ولي هنا رأي آخر قد أكون محقاً فيه، وهو أنه لما كان الهدف من التحقيق إخراج النص بصورة جيدة خالية من العيوب، وأقرب ما تكون إلى ما أراده كاتب المخطوط، فإني أرى أنه من البديهي يجوز للمحقق إدخال بعض التعديلات وتصحيح التصحيف والأخطاء الإملائية والنحوية الواردة في النص، مع الإشارة إلى هذه الكلمات الجديدة التي أضافها إلى النص المحقق في الهامش مشيراً إلى النسخ التي أخذت منها، بمعنى: أن يترك المجال للمحقق بإجراء بعض التغييرات بهدف إخراج النص إخراجاً جيداً خالياً من العيوب، و أرى أنه لا مانع من أن يتدخل المحقق بالنسخة الأصلية من إضافة أو حذف أو تصحيح. (7)

- اختيار نسخ المخطوطة: يجب أن تكون هناك نسخ كثيرة للمخطوط الذي نريد تحقيقه، وفي حالة العثور على مخطوطة وحيدة، لا بد من الرجوع إلى الكتب والمصادر والمراجع التي تهتم بهذا الموضوع، وقد تكون هناك نسخ متعددة لهذا العنوان، وعلى المحقق الحصول على هذه المخطوطات، حتى يكون عمله ذو قيمة علمية، ولا شك أن قدم المخطوطة يكون سبباً من الأسباب التي تؤدي إلى اختيارها لتكون أصلاً يعتمد عليها في التحقيق، بشرط أن تكون النسخة تامة كاملة غير منقوصة. وإذا تمكن الباحث من العثور على نسخة قديمة تحمل توقيعات وتعليقات الشارحين والمطلعين عليها فتكون هذه النسخة المرشحة الأولى لاتخاذها أصلاً يعتمد عليها في التحقيق.

أما إذا حصل المحقق على نسخة واحدة فعليه البحث بجدية عن نسخ أخرى ليتمكن من القيام بالتحقيق، وهذا النوع يحتاج إلى جهد مضاعف جداً لتحقيقها، ودراية واسعة ويقظة ووعي في التقويم والتصحيح، وتشترط شروط خاصة بالمحقق الذي ينبري لتحقيق مثل هذه المخطوطة. وفي حالة امتلاك المحقق المخطوطة الأصلية بخط المؤلف أو راجعها المؤلف أو حالة امتلاك نسخ قديمة مقابلة على الأصل، يستغني المحقق عن النسخ الحديثة أو الأخرى، ويقتصر على ذكر هذه النسخ الحديثة في المقدمة.

- عنوان المخطوط وعلاقته بالمؤلف:

علاقة المؤلف بالمخطوط من الموضوعات المهمة التي يجب على المحقق أن يهتم بها ويقوم بتحقيقها، فهناك العديد من المخطوطات خلت من اسم المؤلف إما لتلف الورقة الأولى والتي غالباً ما تحمل اسم الكتاب واسم المؤلف، وإما ... وللتأكد من علاقة المؤلف بالمخطوط يمكن العودة إلى ترجمته في كتب التراجم والفهارس وإذا لم يصل المحقق إلى غايته تلك فعليه قراءة المخطوط قراءة واعية ثم يعود إلى الكتب والمراجع التي تبحث في الموضوع نفسه.

- التحقيق:

في البداية لا بد للمحقق أن يختار النسخ المناسبة التي سيتعامل معها بالتحقيق وأن يختار رمزاً لكل مخطوط من هذه المخطوطات، وأن يتم اختيار أقدم النسخ والأقرب إلى النسخة الأصلية التي كتبها المؤلف بخط يده. حتى يعتمد عليها في دراسته التحقيقية. وهنا تجدر بنا الإشارة إلى وجود بعض التقنيات المكملة في تحقيق النصوص التراثية.(8) وهي كالتالي:

- اختيار المخطوط
- جمع النسخ
- دراسة النسخ وترتيبها
- مؤلف المخطوط
- عنوان المخطوط
- وصف المخطوط
- وضع صورة من المخطوطة المعتمدة في التحقيق بعد وصفها
- وضع نماذج مصورة من المخطوطات التي اعتمدها المحقق في عمله بعد وصفها وصفاً دقيقاً
- التصحيف والتحريف:يحدث التصحيف من خلال تقديم نقطة وتأخير أخرى، وقد يكون بتغيير حرف من حروف الكلمة بتقديمه عن مكانه أو تأخيره أو حذفه.
- ترجمة الأعلام والمدن
- وضع فهارس علمية: تضم الآيات والأحاديث والأشعار، والأعلام والأماكن والمدن

الرهانات المعول عليها في منهجية تحقيق التراث:

إذا اتبعنا تلك الخطوات والمنهجية العلمية الخاصة بالتحقيق وصلنا إلى مبتغانا، وإلى هدفنا المنشود، ومن ثم منافسة المستشرقين والولوج في عالم تحقيق النصوص التراثية بأقلام أصحابها العرب، دون تصحيف أو تحريف، وإعطاء صورة واضحة عن عبقرية العالم والمؤرخ والباحث العربي، الذي استطاع بوسائل بسيطة أن يضاهي مستشرقي أوربا في العصور السالفة. ومن تلك الرهانات التي يعول عليها في مجال التحقيق وخدمة البحث العلمي يمكننا تجسيدها في النقاط:

- أهمية تحقيق التراث، مسألة لا تخفى على أيّ باحث جاد يبرز مدى أهميته للبحث العلمي ودوره في خدمة التراث وتسهيله لعامة الباحثين والمهتمين.
- تحقيق التراث يكشف بعض الحقائق التاريخية، الأدبية، العلمية،...التي كانت غامضة عن ثقافتنا العربية، إن لم نقل همشت في وقت ما، بفعل فاعل تارة و بحسن نية تارة أخرى، وهذا مرده لاعتبارات مختلفة أهمها: وجود ثلة أو نخبة من المثقفين والباحثين الأكاديميين الجادين يحاولون خدمة تراثهم عن طريق البحث العلمي. ومن ثمّ التغلغل في جذور هذا التراث.
- إتاحة الفرصة لكل باحث في مجال البحث العلمي أن يدلي بدلوه علميا وأكاديميا، حتىّ يصبح من حق كل فرد أو شعب أن يبحث عن ثقافته وتراثه الخاص به، وبالتالي فإن تحقيق التراث هو بمثابة تحد أساسي لثقافات الفضاءات المغاربية.
- إنّ ثورة الاتصال والتكنولوجيا أصبحت تساعد الباحث من أجل الحصول على مخطوط أو نسخ منه في ظرف قصير، من خلال شبكة «الانترنت».
- مساعدة المؤسسات الثقافية والهيئات العلمية الفاعلة لرواد البحث العلمي من أجل خدمة تراثهم العربي الإسلامي، وذلك بتوفير لهم كل متطلبات وشروط البحث العلمي المعروفة.

وفي الأخير لا يسعني إلا أن أجدد شكري إلى الهيئة المنظمة لهذا الملتقى الذي يعالج قضية تدخل ضمن صميم أحد أدوار البحث العلمي في بلادنا، وانعكاساته على مسايرة مدى تقدم الدول الشقيقة والمجاورة في

هذا الحقل العلمي التراثي، الذي كما أسلفنا آنفا يعكس هويتنا ويبرز مقوماتنا، بأقلامنا لا بأقلام غيرنا من المستشرقين، ولكن هذا لا يمنعنا من الاعتراف بجهودهم إلاّ أنها جهود يرونها من زاويتهم ومن وجهة نظرهم، لا كما يراها العالم والكاتب والخطاط العربي الإسلامي.

إنّ الاعتناء بالتراث انطلاقا من لبنة البحث العلمي يسهل على كثير من الباحثين والمؤرخين والمهتمين بهذا الفن، مؤونة التعب والبحث والتنقيب عن كنهه وقيمته الحضارية. ولذا فإنّ عددا لا يستهان به من الشباب الهاوي لخدمة تراث بلده أيا كان، وعلى اختلاف مشاربه، وفي فترات تاريخية مختلفة، يحاول التعبير عن اهتماماته بمسائل خدمة التراث وجمعه وتصنيفه وفهرسته وتحقيقه. ليسلم المشعل إلى عقبه، حتى يحذو حذوهم.

وتلكم هي يا معشر الحضور ومضات خاطفة ارتأيت أن تكون موضوع مداخلتي المتواضعة، من أجل تسليط الضوء على علاقة البحث العلمي بالتراث الإنساني والحضاري. وآمل أن يزود البحث العلمي بما في ذلك هيئاته ومؤسساته الفاعلة، ببنك للمعلومات مزود هو الآخر بمحرك للبحث بحقول مختلفة كي يتمكن الباحث من ولوج أبواب وخبايا التراث الذي تزخر به بلادنا وبلدان المعمورة.

وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش:

(1) المستشرق برجشتراسر، أصول نقد النصوص ونشر الكتب، تقديم د. محمد البكري، طبعة دار الكتب **1969**م.

يراجع: عبد الهادي الفضلي، البحث الأدبي، الطبعة الأولى، مكتبة العلم جدة **1402** هـ.

عبد الهادي الفضلي، تحقيق التراث، الطبعة الأولى مكتبة العلم جدة **1402** هـ.

عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي... منهجه وتطوره، منشورات المركز العربي للصحاف، القاهرة **1983** م.

عبد الله عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأصل، مكتبة الملك فهد **1415** لهـ.

صادق الغرياني، تحقيق نصوص التراث في القديم والحديث، ليبيا، **1989** م.

(2) عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانكي، ط**6**، القاهرة **1397**هـ.

(3) ميري عبود فتوحي، فهرس المخطوط العربي، دار الرشيد، بغداد **1980**م.

(4) مطاع الطرابيشي، في منهج تحقيق المخطوطات، طبعة دار الفكر، دمشق **1403**هـ.

(5) ريجيس بلاشير، قواعد تحقيق المخطوطات العربية وترجمتها، ترجمة محمود المقداد، دار الفكر ـ دمشق **1988**م.

(6) صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات: ط**3**، دار الكتب.

(7) علي جواد الطاهر، منهج البحث الأدبي، مطبعة الديوان، بغداد، ط**1986**،**7**م.

(8) رمضان عبد التواب، منهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مطبعة الخانجي، القاهرة **1406** هـ.

- الأستاذ: أ .حليلو نبيل
- المحور: منهج البحث في التراث المخطوط وسبل حمايته
- عنوان المداخلة: استراتيجية المحافظة على المخطوط
- الجامعة: جامعة أدرار –قسم ع الاجتماع-

مثل علوم القرآن ، الفلك ، الطب ، الأدب ، التاريخ ، وغيرها من العلوم الأخرى .

ويكشف المخطوط عن جانب كبيرا من المعلومات التي لا غنى عنها لأي علم كما لا يخلو المخطوط من أهمية بالغة بالنسبة للمجتمعات خاصة ما تعلق منها بالجانب التاريخي، والثقافي ، وهو بذلك يعد مصدرا معرفيا ، وذاكرة حية لحياة الأفراد والشعوب والأمم .

وإلى جانب ما قيل عن أهمية وموقع المخطوط بالنسبة للفرد وللمجتمع وللعلم نجد في الجانب الآخر الوضع المأسوي للمخطوط ، وذلك لما يتعرض له من التلف والضياع بفعل عوامل عدة متداخلة ، وهو ما تسبب في فقدان الكثير من التراث المخطوط ، والشيء الذي يجعلنا نؤكد بمأسوية الوضع وتشاؤمنا نموه هو أنه من الناحية العملية قد يستحيل استرداد هذا التراث من جديد.

وأمام ما قيل آنفا يتحتم على كل أمة تحترم نفسها وهويتها وماضيها أن تضع جملة من الاستراتيجيات والآليات التي من شأنها أن تحافظ على سلامة المخطوط ، وتنفذ ما يمكن إنقاذه.

ومما سبق سنحاول في هذه الورقة أن نشير إلى بعض الاستراتيجيات والسبل من أجل المحافظة وحماية المخطوط ، متمثلة في الجوانب التقنية كالترميم والصيانة والتصوير . وجوانب غير تقنية تتشكل أساسا في التجميع والتعريف والأعلام .

1- التعريف بالمخطوط :

المخطوط في اللغة هو كل ما كتب بخط اليد سواء كان كتاب أو وثيقة أو نقشا على حجر ، ولكنه في الاصطلاح يقتصر على الكتاب المكتوب بخط اليد, وبذلك تستبعد الوثائق والنقوش والكتابة على الجدران والعملات ، لان هذه الأشكال من الكتابة تدخل تحت علوم أخرى كعلم الوثائق ، وعلم الآثار ومعنى هذا أن علم المخطوط ينصب على الكتاب ، ولا يتجاوزه إلى غيره من الأشكال المخطوطة **(1)**

كما جاء في المعجم الوسيط بأن المخطوط هو ما كتب بالخط لا بالمطبعة *، والمخطوطة النسخة المكتوبة باليد, والمخطوط اصطلاحا كل مؤلف دون بخط إنسان ما سواء كان بخط المؤلف نفسه ، أو تلميذه أو صديقه أو غيرهم .

هذا بالنسبة لتعريف المخطوط, أما علم المخطوطات فهو الدراسة المختصة بتناول جميع جوانب المخطوطة ، ويوصف أيضا بأنه ذلك العلم الذي يركز كليا على الخصائص المادية للكتاب المخطوط باليد ، وعلم المخطوط يقوم على ستة دعائم ، أو بلغة أخرى يقوم على ستة موضوعات أو محاور أساسية وهي :

تاريخ المخطوط – المخطوط كوعاء من أوعية المعلومات – تقييم المخطوط – حفظ المخطوط وصيانته – الفهرسة والضبط البيليوغرافي – التحقيق والنشر

2- أهمية المخطوط :

لتوضيح أهمية المخطوط ومكانته بدون الإطالة والتفصيل في ذكر النقاط التي تصب في دائرة أهميته سنتخذ من المقولة الآتية مدخلا تساعدنا في تجلية واستنباط هذه الأهمية, ومضمون هذه المقولة هو «إذا ضاعت الأصول ضاع التاريخ » إن المتمعن والمتفحص لهذا القول سيتبين له أهمية الأصول المتمثلة في المخطوطات لكونها تمثل العنصر الأساسي لذاكرة الإفراد والشعوب والأمم, ولا تكمن أهميتها بالذاكرة التاريخية فحسب ، وإنما لارتباطها بالإبعاد الوطنية والقومية ، وتمثيلها لماضي الأمة وحاضرها ، فهي تربط حاضر الأمة بماضيها ليكون المستقبل مبنيا على الحاضر وموصول بماضي زاهر ، وهو ما يساهم في الأخير إلى تواصل الأجيال وترابطهم وازدهار الحضارة, ولا تزال المكتشفات العديدة تكتشف عن طريق المخطوطات ، إذ كان القدماء يسجلون مظاهر حضاراتهم من ثقافة وعادات وأخلاق وعقائد وغيرها من الأفكار التي تدخل نطاق العلم والمعرفة ، وبذلك تعتبر المخطوطات بكنوزها العلمية هي أساس وأصل العلوم الحديثة, وهي تشكل أيضا ثروة علمية عظيمة لا يستهان بها .

3- سبل المحافظة وحماية المخطوط :

لقد تداخلت عوامل عدة في إتلاف المخطوط وإفناءه ، ويعد عامل الزمن والطبيعة والإنسان من أبرز هذه العوامل ، فنظرا لطول عمر المخطوط من الناحية الزمنية وظروف الطبيعة المتنوعة والأحوال الجوية السائدة فيها من حرارة وجفاف ورطوبة ، وبفعل ما تعرض له المخطوط من إهمال وإتلاف من طرف الجاهلين لقيمته ، أومن طرف أعداء الإسلام طيلة حقب التاريخ للنيل من الإسلام والمسلمين بهدف القضاء على حضارة الإسلام وعقيدته (*)

وأمام هذه الظروف التي تضافرت فيها كما قلنا عوامل الزمان والطبيعة والإنسان نجد أنفسنا مجبرين بأن نسعى جاهدين بوضع جملة من السبل والطرق لحماية المخطوط وحمايته ، حتى لا نفقد أكثر مما افتقدناه .

وفي حديثنا عن هذه السبل سنحاول تقسيمها إلى جانبين أو شقين إثنين جانب تقني وآخر غير كذلك

1.3 – الجانب التقني في المحافظة على المخطوط وحمايته

1.3 الصيانة :

تنحصر مسببات إتلاف المخطوط في ثلاثة فئات وهي العوامل الطبيعية والعوامل الكيميائية ، والعوامل البيولوجية .

فالعوامل الطبيعية تتمثل أساسا في التغيرات المناخية بين الفصول وما يصاحبها من تفاوت واضح في درجات الحرارة والرطوبة ، والإضاءة المرئية وغير المرئية ، وما ينتج عنها من إشعاعات ضوئية .فارتفاع الحرارة يؤدي إلى فقد الأوراق لمحتواها المائي فتصاب بالجفاف والاصفرار ، وتصبح هشة قابلة للكسر عند ثنيها ، كما تساهم في نمو بعض الكائنات الدقيقة التي تعمل على تحليل المادة السليولوزية التي يتكون منها الورق .

وإلى جانب الحرارة نجد الضوء الذي يعد مصدرا حراريا ويحدث ما تحدثه الحرارة من آثار تلحق الأضرار للمخطوط ، فالأشعة البنفسجية والفوق البنفسجية الموجودة في الإضاءة تعمل على تحلل ألوان الأحبار والإصباغ, وما يزيد من درجة الإخطار التي تواجه المخطوط نتيجة تعرضه للضوء هو أن أعراض الإصابة لا يمكن علاجها خاصة إذا أصبحت أمرا واقعا على المخطوط .

وإلى جانب الحرارة والضوء نجد عامل آخر عامل آخر لا يقل خطرا عنها وهو الرطوبة التي تؤدي زيادة نسبتها إلى تشوه الأوراق وضعفها ، كما تساعد على زيادة الحموضة في الأوراق بسبب تحول ثاني أوكسيد الكبريت إلى حمض الكبريتيك ، ويضاف إلى ذلك أن ارتفاع نسبة الرطوبة يعد وسطا مناسبا لنمو جراثيم الكائنات الدقيقة من فطريات وبكتيريا ، والتي تفرز مواد لزجة في صورة تقع ملونة تنتشر في صفحات المخطوط . وقد تؤدي إلى التصاقها وتحجرها ، كما تؤدي إلى نمو الحشرات وتكاثر اليرقات والتي تشكل الثقوب بدرجة قد تصل إلى حد تأكل النص تآكلا كاملا . أما الجلود فإن ارتفاع نسبة الرطوبة يصيبها بالكرمشة والتقبض والالتواء.

هذا ما تعلق بالعوامل الطبيعية, أما إذا انتقلنا إلى العوامل الكيميائية والتي مصدرها الملوثات الغازية والحرارية الموجودة في الجو نتيجة استخدام الآلات والوقود بأنواعه وما ينتج عنه من مواد كبريتية ونيتروجينية ودخان وغبار وأتربة, فالأتربة والغبار مثلا تحمل معها أنواعا من الفطريات وبويضات الحشرات التي تجد في الأوراق المخطوط وجلوده بئة صالحة للنمو خاصة إذا ما توفرت ظروف الرطوبة و الحرارة اللازمة لنموها ، أما الأدخنة الناتجة عن الاحتراق الغير الكامل للمواد تنتشر في الجو ويصعب التحكم فيها فتنتقل إلى المخطوط ويرسب ما بها من مواد عالقة فوق الصفحات مكونا بقعا داكنة .

وإلى جانب ما تم ذكره نجد العوامل البيولوجية والتي تسببها مجموعة من الأسباب كالكائنات الحية الدقيقة كالفطريات والبكتيريا التي تحملها الأتربة فالفطريات مثلا تتلف المخطوط إذا توافرت لها الظروف المناسبة للنمو وهي درجة حرارة تتراوح بين 24° و 30° ، ونسبة رطوبة لا تقل عن 60% وكذلك الحشرات والقوارض التي تلتهم أوراق المخطوط وجلوده لاشتمالهما على العناصر الغذائية اللازمة.

بعد تعرضنا لجملة هذه العوامل والتي كان وضعها متعمدا لتوضيح مدى خطورة الوضع الذي يواجه المخطوط خاصة إذا توفرت شروط وجودها وتحقيقها ننتقل بدورنا إلى سبل المواجهة لتفادي هذه المخاطر كليا أو على الأقل التقليل من حدتها .

فمواجهة العوامل الطبيعية ينبغي أن نتجنب تعرض المخطوط لضوء الشمس المباشر ، وأن تثبت درجة الحرارة التي يحفظ فيه ما بين 18° ، 20°م ، ودرجة الرطوبة بين 55 ° ، 60°م ، وذلك باستخدام المكيفات وأجهزة قياس الحرارة والرطوبة أو باستخدام بعض المواد التي تمتص بخار الماء وتحد من نسبة الرطوبة مثل السيليكا جيل – وكلوريد الكالسيوم .

وأما العوامل الكيميائية فيمكن التغلب عليها باستخدام الآلات شفط الأتربة وما يعلق بها من مواد ضارة ، وبتمرير الهواء الداخل إلى مخازن المخطوط في مرشحات كربونية أو مائية تحتوى على محاليل للتخلص من ثاني أكسيد الكبريت .

وأما العوامل البيولوجية فيمكن تفاديها بالتعقيم الدوري للمخطوط ، والتبخير بالمواد المعقمة كالفورمالين ، أكسيد الإيثيلين ، التي تصدر عنها غازات سامة تؤدي إلى قتل كل الإحياء داخل المخطوط سواء كانت هذه الإحياء حشرات أم جراثيم أم بيوضها, وما يجب فعله بعد هذه العملية هو غلق المخزن مدة 24 ساعة على الأقل, وما يجب فعله أيضا هو ضرورة تعقيم أي مخطوط يدخل المخزن قبل ضمه إلى المخطوطات الأخرى لتفادي انتقال الآفات القادمة منه (2) .

وما يمكن التنويه إليه في هذا الصدد بأن تعقيم المخطوطات في مجتمعاتنا العربية لازال عاجزا على أن يحافظ على سلامة المخطوط رغم ما أحرزه العلم من تقدم في هذا المجال ، ورغم أن حاجتنا إلى الاستفادة من هذه المكتشفات أكثر من حاجة أي دولة في الشرق أو في الغرب, لأنه ما من دولة من تلك الدول تملك تراثا مخطوطا يتجاوز عمره المئات السنين كالذي نملكه نحن العرب .

2.1.3 – الترميم :

عملية الترميم في الحقيقة هي تقنية قديمة وأساليبه كانت تتناسب مع الفترة التي وجدت فيها, حيث تعتمد أساسا على ما تمزق من الأوراق والجلود دون النظر إلى ما يمكن أن تحدثه تلك العمليات من تشوهات جديدة للمخطوط .

أما إذا ما تحدثنا عن ترميم المخطوط في العصر الحديث فما يمكننا قوله هو أنه قد أصبح علماً يتمتع بقواعد وأصول خاصة بعد استفادته من التقدم التقني الكبير الذي أحرزه العلم في حاضرنا.

والخطوة الأولى في عملية الترميم هي تحديد المخطوط التي لحقه التلف وتحديد نوع التلف الذي أصاب كل مخطوط ودرجة هذا التلف ووضع أولويات لما يحتاج إلى الترميم قبل غيره .

والخطوة الثانية هي تصوير المخطوط قبل ترميمه خشية أن يفسده الترميم لأي سبب من الأسباب أو يتعرض النص لأي نوع من التزوير أثناء عملية الترميم ,والخطوة الثالثة هي عملية الترميم ذاتها ويمكن أن تتم يدويا أو آليا, والترميم اليدوي أبطأ من الآلي وأكثر منه تكلفه ولكنه أنسب عملياً للمخطوط بحكم لأن لكل ورقة حالتها وظروفها, وقد تكون لكل جزء من الورقة درجة من الإصابة تختلف عن الأجزاء الأخرى .

ومن بين صور الترميم شيوعاً هي فك الأوراق التي التحقت ببعضها إما بسبب تعرضها للرطوبة الزائدة وإما بسبب ما تفرزه الحشرات داخل المخطوط من مواد تساعد على الالتصاق, ويتم فك هذا الالتصاق بتعريض الأوراق الملتصقة لبخار الماء.

وأيضاً نجد طريقة تقوية الأوراق الضعيفة ببعض المحاليل الكيميائية وأفضلها مركب جيلاتيني إلى جانب ترميم التمزقات باستعمال أشرطة من الورق الشفاف المتعادل وتثبته في مواضع التمزق من الجهتين إلى جانب طريقة استكمال الأطراف المتآكلة من الورقة وذلك باختيار ورقة مناسبة من حيث الحجم والسمك واللون ووضعها فوق الورقة الأصلية ووضعهما معا على صندوق الإضاءة وتحديد الأجزاء الناقصة وقص ما يقابل الأجزاء السليمة من الورقة الأصلية وإلحاق الأجزاء التي ستضاف باستخدام اللاصق والمشرط .(3)

313- التصوير:

يهدف التصوير على المحافظة على أصول المخطوط بالدرجة الأولى وهو ما يسمح بتداول المصورات بين الباحثين بدلا من النسخ الأصلية ,وإلى جانب هذا الهدف الرئيسي هناك هدف آخر للتصوير وهو توفير الحيز في المكتبات التي تعاني من ضيق المساحة .

والتصوير إما أن يكون على ورق حساس أو على ورق عادي أو على أفلام أو على أقراص مضغوطة وطبقا لكل واحد من هذه الأساليب ميزات وعيوب.

فحينما بدأ تصوير المخطوطات كان يتم على ورق حساس وبالحجم الطبيعي للمخطوط وهو ما يعرف بالفوتوستات وكثيراً هي المكتبات التي لديها مجموعات من المخطوطات المصورة بهذه الطريقة سواء كانت عندها وتم تصويرها لاستخدام الجمهور أم كاتب الأصول لدى مكتبة أخرى وتم الحصول عليها بطريق التبادل أو الشراء.

والفوتوستات منه الموجب الذي يستخدمه الباحثون والذي تكون فيه الورقة بيضاء والكتابة عليها سوداء ومنه السالب الذي تكون فيه الورقة سوداء والكتابة بيضاء, والنسخة السالبة تحتفظ بها المكتبة صاحبة المخطوط لتستنسخها عند الحاجة.

وهذه الطريقة من طرق التصوير لم تكن تستخدم إلا في المخطوطات التي يكثر استخدامها أو المخطوطات التي تطلب من مكتبة أخرى وهي لا توفر للمكتبة حيزاً بل على العكس من ذلك تلقي على المكتبة مسؤولية توفير حيز إضافي لتلك المصورات بشكلها الموجب والسالب ولكنها تؤدي وظيفة أساسية هي منع الأصول المخطوطة من التداول حفاظا عليها .

أما الأسلوب الثاني من أساليب التصوير هو التصوير على الورقة العادي المألوف في الوقت الحاضر، وهو ينتج نسخة ورقية نستطيع التحكم في حجمها تكبيراً وتصغيراً كما أنه أقل تكلفة من الطريقة الأولى ولها ميزة مهمة لكونها تجنبنا تعريض صفحات المخطوط الأصلي للإضاءة العالية.

والأسلوب الثالث من أساليب التصوير هو التصوير الميكروفيلمي, ويرجع سبب استخدامه هو اختزال مكان حفظ المعلومات وخزنها في أقل مساحة ممكنة, وهذا الأسلوب من أساليب التصوير يوفر 98% من المساحة المطلوبة للتخزين.

إن حديثنا عن عملية التصوير ودورها في حماية المخطوط يقودنا إلى الحديث عن تجربة معهد المخطوطات التابع لجامعة الدولة العربية فقد دأب المعهد منذ نشأته على تصوير مختارات من المخطوطات العربية المبعثرة في مختلف أنحاء العالم (4)حيث زود المندوبين بأجهزة تصوير ماكرو فيلم لتصوير المخطوطات وحفظ كل فيلم لمخطوطه في علبة خاصة يكتب عليها اسم المخطوط المؤلف عصره تاريخيه (5).

2.3 – الجوانب الغير التقنية في المحافظة على المخطوط وحمايته:

لا أحد منا يستطيع أن ينكر الأوضاع المزرية الراهنة لتراثنا المخطوط سواء كان ذلك على مستوى الهيئات كالمكتبات والجامعات أو على مستوى الجهات الغير رسمية ، وهو ما يتعلق بالمخطوط الذي يمتلكه الإفراد ويحتفظون به, وعلاوة على هذه المشكلة المتمثلة في عدم الاهتمام اللائق بالمخطوط من حيث الصيانة والترميم والزهد في التعامل معه من طرف القائمين على شؤون المكتبات إلى درجة لا يمكن تصورها نجد في الجانب الأخر الوضع الأكثر مأسوية وتحسرا والذي يتمثل في تشتت مخطوطاتنا العربية بين مختلف أنواع المكتبات في الدول الأجنبية الغير إسلامية .

وأمام هذه الأوضاع نجد أنفسنا مجبرين على طرح تساؤل فحواه ما يلي : ما هي سبل علاج هذه الأوضاع؟ وما هي خطة العمل التي نتبناها لكي تبعدنا وتخلصنا من هذا المأزق ؟

أعتقد أن الإجابة على هذه الأسئلة لا تتوقف على إرادة الإفراد فقط وإنما تتوقف على جهود الدولة في حد ذاتها خاصة ما تعلق بتجميع مخطوطاتنا وثراتنا المتشتت في أنحاء

العالم ، وتعتبر هذه العملية من أولى الخطوات التي يجب أن تتبع للخروج من دائرة الأزمة التي يتخبط فيها المخطوط, وإذا تحققت هذه الخطوة يجب إحصاء هذه المخطوطات وإداراجها في فهرس مطبوع وعلى مستوى عالي من الدقة في بياناته, وذكرنا لهذه الخطوة جاء انعكاسا لغياب فهرس كامل لمخطوطاتنا في بعض مجتمعاتنا -حتى لا نقول في غالبيتها- وإذا وجد هذا الفهرس فهو يتسم عادة بنقص معلوماته وغير دقيق, وبعد عملتي الجمع والفهرسة يجب الحرص كل الحرص المحافظة على هذه المخطوطات وصيانتها, ولعل ما قدمناه من سبل في العناصر السابقة لكفيل بأن يحقق ذلك.

حقا أن خطوة تجميع المخطوطات وفهرستها شيء مهم وأكثر من ضرورة, إلا أنها وحدها لا تكفي إذ لابد من إضافة إليها جهود وخطوات لاحقة تدعمها وتثمنها ، ولعل إستراتيجية التعريف بالمخطوط وإبراز مكانته بالنسبة للفرد والمجتمع يدعم ذلك ويتأتى ذلك من خلال أيام تحسيسية وبرامج تلفزيونية ومقالات على صحف الجرائد اليومية والسعي دوما إلى توعية الإفراد خاصة أولئك الذين يمتلكون مخطوطات ويحتفظون بها في بيوتهم ومكاتبهم بتسليم هذه المخطوطات للمكتبات والمراكز الرسمية لتخصصها وحرصها المتواصل على حماية المخطوط والمحافظة عليه بالسبل العلمية المتاحة . وتأكيدنا على هذه النقطة جاءت نتيجة خبرتنا اليومية ببعض الأفراد الذين يمتلكون مخطوطا يرجع إلى مئات السنين, ولكنه للأسف لا يعلمون موضوعه ولا حتى قيمته, وهو الشيء الذي يجعل هذا المخطوط في طريقة إلى الاندثار والانقراض, لجهل هؤلاء الأفراد في حمايته وصياته, وجاءت قناعتنا بفكرة التوعية والحث على تسليم الأفراد لمخطوطاتهم للجهات الرسمية لكون أن هذه المخطوطات هي تراث الأمة بأكملها قبل أن تكون ملكا وميراثا لهؤلاء الأفراد أنفسهم .

والإستراتيجية التي نريد أن نختم بها حديثنا عن سبل حماية المخطوط هو أن إنشاء مكتبات أو مراكز خاصة للمخطوطات يعتبر في الحقيقة تقدما نحو الأمام وفرصة مواتية للتفاؤل نحو وضع لائق للمخطوط . ولكن هذه العملية وحدها لا تكفي إذ لابد من مرافقتها بأشياء أكثر أهمية من هذا الإنشاء في حد ذاته ، فجعل هذه الهياكل منغلقة على ذاتها وعديمة النشاط ليس أمرا يخدم المخطوط, و إنما الذي يخدمه و يحقق الهدف الذي أقيم من اجله هو الانفتاح على المحيط الخارجي بإلقاء المحاضرات و اللقاءات المستمرة و التي لها علاقة مباشرة بمحاور المخطوط كالفهرسة و التحقيق و سبل المحافظة عليه, والى جانب ما قيل يجب التفكير في إدراج برامج تدريبية بهده المراكز لفئة الشباب على الخصوص في كل ما يتعلق بالمخطوط, وطبعا تكون هده العملية تدريبية تحت رعاية مختصين في علم المخطوط حتى يتحقق الهدف المنشود له .

بعد التعرض إلى جملة من الاستراتيجيات التي من شأنها أن تساهم في الحفاظ عن المخطوط وحمايته لا يسعنا إلا أن نعرج على شيء أهم بكثير عما قيل أنفا و هو ترجمة هده الاستراتيجيات إلى واقع معمول به إمبريقيا حتى لا نبقى سجناء أفكارنا و نراوح مكاننا بدون تقدم خطوت إلى الأمام, فالكلام عن المخطوط قد يطول و يكثر, ولكن هذا لا يقدم شيئا لأمتنا العربية لأن الشيء الذي ينقصنا هو غياب برنامج عمل تطبيقي يخرجنا من أزمتناو مأزقنا اتجاه المخطوط .

المـــراجـــع:

1- أعمال الملتقى الافتتاحي لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ديسمبر 1991 – 1413

* - لفظ المخطوط يقابل المطبوع ، ومعنى هذا أن عصر المخطوطات نمو عصر ما قبل الطباعة.

* __ إن صفحات التاريخ تخبرنا قصص ما فعله المغول عند احتلالهم مدينة بغداد بإتلافهم المؤلفات والكتب العربية والإسلامية التي تعد بالآلاف ، حتى قيل أن مياه نهري الدجلة والفرات أصطبغت باللونين الأزرق والأسود . لكثرة ما ألقي فيها من كنوز المؤلفات ، وفي هذا الصدد قيل أن القسيس خمنيس جمع الآلاف من الكتب الإسلامية عند احتلال غرناطة بالأندلس بساحة الكنيسة الأسكوريال واشعل النيران فيها .

2) - محمود حامد عثمان المرشد إلى تحقيق المخطوطات العربية – الطبعة الأولى ، الرياض 2003 ، ص 109 – 111

3) - صناعة المخطوط العربي الإسلامي من الترميم إلى الجليد الدورة التدريبية الدولية الأولى بدبي ماي 1997 مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث جامعة الإمارات العربية المتحدة .

4) - عبد الستار الحلوجي المخطوطات والتراث العربي، الطبعة الأولى، الدار المصرية اللبنانية ، 2002، ص52.

5) - غازي حسين عناية إعداب البحث العلمي، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 2000، ص105

المحور الثالث

واقع التراث المخطوط في الخزائن التواتية

• الأستاذ: د. جعفري أحمد
• المحور: واقع التراث المخطوط في الخزائن التواتية
• عنوان المداخلة: مخطوطات إقليم توات بين الفهرسة والإهمال – دراسة وصفية تحليلية لخزائن نموذجية-
• الجامعة: جامعة أدرار –قسم اللغة العربية-

خلق الله أجمعين وبعد :

تعتبر منطقة توات التاريخية (ولاية أدرار حديثاً) بأقاليمها الثلاث (توات ،قورارة وتيديكلت) منطقة ضاربة في أعماق التاريخ ،ويرجع تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام بقرون بعيدة . ولا أدل على ذالك من كثرة الحديث عنها في كتب المؤرخين والرحالة العرب والأعاجم ،كابن حوقل والكرخي واليعقوبي و البكري والإدريسي وابن بطوطة وابن خلدون والحسن الوزان وعبد الرحمان السعدي وأبي سالم العياشي والحاج بن الدين الأغواطي والشيخ أبو راس الناصري و سعيد قدورة الجزائري ، بالإضافة إلى الرحالة الألماني جير هارد رولف والمؤرخ الأسباني مار مول والكاتب الأمريكي جون هنيك والمؤرخان الفرنسيان : مارثان وبرنارد سافرو و غيرهم .

ولقد اختلف المؤرخون في أصل التسمية (توات) ، وتاريخ اختطاطها ، بل وحتى في رسم حدودها ، فهناك من اعتبر أن "السبب في تسمية هذا الإقليم بتوات على ما يُحكى أنه لما استفتح عقبة(*/01) بن نافع الفهري بلاد المغرب ، ووصل ساحله ، ثم عاد لواد نون ودرعة وسجلماسة(*/02) ، وصل خيله توات ، ودخل بتاريخ 62هـ، فسألهم عن هذه البلاد يعنى توات ، وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف ، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب ، ينزله بها أو يجلّيه بها ، فأجابوه بأنها تواتي ، فأنطلق اللسان بذلك أنها تواتي ، فتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف".(*/03)وهو رأي انفرد به العالم محمد بن عومر (ت.ق13هـ)،في حين

نراه يورد إلى هذا رأياً آخر أكثر تداولاً، وهو الرأي الذي أسهب في تفسيره وشرحه الشيخ سيد البكري (ت.ق14هـ) حيث يقول:" في سنة 518 هـ حيث غلب المهدي(*/04) الشيعي سلطان الموحدين على المغرب . بعث قائدَيه علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأتوات ، فعُرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات ، لأن السلطان قبله منه في المغرم"(*/05). ونرى البكري (ت.ق14 هـ) يعلق على هذه الرواية ويقول:" وهذه الرواية أصحّ ولهذا اللفظ مسند في العربية. قال في المصباح(*/06): "التوت هو الفاكهه والجمع أتوات" ، فعرف أهل هذه البلاد بأهل الأتوات ، فحذف المضاف ، وأُقيم المضاف إليه مقامه... فصار توات بعد حذف التعريف والمضاف... وصار هذا الاسم على هذا القطر الصحراوي من تبلكوزه إلى عين صالح(*/07)" .وهذا التفسير اعتمده كثير من المؤرخين(*/08) واعتُبر الرأي الأرجح في المسألة على ما يذكر الرواة . في حين راح البعض(*/09) الآخر ينحى بالكلمة نحواً بعيداً عن كل هذا وذاك تبعا لمدلولها. وفي كل يبقى الاختلاف الأساسي في أصل اشتقاق الكلمة نفسها هل هو من الفعل واتى يواتى ، أو هو اسم للمغارم ، أي الأتوات ، أو هو غير هذا وذاك، وإنما هو اسم أعجمي يحمل دلالات خاصة تبعاً للغته الأم ، البربرية (*/10)،أو التكرورية(*/11) أو التارقية (*/12) أو العربية .

عُرفت منطقة توات على مر التاريخ بأنها أرض أمان واطمئنان ، "غالب أهلها ضعفاء متضعفون ولقلة ضعف أهلها ، وهضم قوة النفوس ، كثر فيها الصالحون والزهاد وأرباب القلوب"(*/13) . وهي كلها عوامل شكلت الشروط الأساسية والمواتية لقدوم العلماء ، والزهاد من كافة الأقطار العربية والإسلامية ، واستقرارهم بالمنطقة . هذا دون أن ننسى موقعها الإستراتيجي الذي تقف فيه شامخة متوسطة كبريات العواصم الثقافية آنذاك ، إضافة إلى نشاطها الاقتصادي الداخلي المميز الذي جعل الحجيج في المغرب وغيره قديما يؤخرون صرف الذهب وسعر القوت من الزرع والتمر إليها بعدما غلا في بلاد المغرب .

كل هذا وغيره "جعل الجماعات التواتية عبر تاريخها الطويل من أنشط الجماعات التي سكنت الصحراء... أوصلوا أسواق شمال المغرب العربي بأسواق الجنوب السوداني عن طريق القوافل الذاهبة والآيبة ، ومع هذه القوافل اطلع التواتيون عن كثب على التيارات الثقافية والفكرية التي كانت شائعة عند عرب المشرق والمغرب .وفي نفس الوقت قام فقهاء وعلماء توات بنقل ما عندهم من علوم ومعارف . "(*/14) كما ذكر صاحب القاضي الفع محمود كعت (*/15) أن كل جامعات الغرب الإفريقي ومساجده كانت خلال القرن الخامس عشر وحتى القرن السابع عشر الميلادي حافلة بالطلبة والعلماء من منطقة توات. ويضيف السعدي(*/16) أن قائمة العلماء المشهورين في مساجد وجوامع مدن الغرب الإفريقي ومراكزه الحضارية يشكل التواتيون من بينهم نسبة تقارب النصف . ولهؤلاء جميعا مئات المخطوطات المتواجدة حاليا في خزائن ومكتبات مصر وموريتانيا ومالي والنيجر وغانا ونيجيريا .وهذه بعض الإحصاءات الأولية لعدد، وأماكن تواجد مخطوطات المنطقة هناك (*/17) :

* مكتبة أحمد بابا بتنبكتو (مالي) : 127مخطوط * مكتبة ماما حيدرة (مالي) : 84 مخطوط .

* مكتبات غانا : 31 مخطوط * مكتبَة شنقيط وودان (موريتانيا) : 08 مخطوطات . * مكتبة دار الكتب والوثائق القومية (مصر) 08مخطوطات* مكتبَة كادونا وأبادان (نيجريا) : 06 مخطوطات

شكلت منطقة على توات مر العصور خيط تواصل وعطاء بين مختلف الشعوب القاطنة خصوصاً في شمال إفريقيا وفي جنوبها . ومن ثم انعكس الأمر إيجابا على واقع المنطقة ، فعرف إنسانها كيف يستغل الظرف ويستثمر هذه العناصر ، ليشارك بها القطبين ، الشمالي وشمال الجزائر والمغرب وتونس ومصر وليبيا ، والجنوبي بعواصمه التاريخية الكبرى كتمبكتو وكانو وشنقيط و أروان وغير ذلك .

ومع مرور الأيام ازداد التواصل وتوسع ، وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري ومن ثم انكبت النفوس على الطروس ، وراحت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر وتعبر في دهشة وإعجاب عن واقع هذا التفاعل ، ومن ثم كان لنا هذا العمر الزاخر بالمؤلفين والمؤلفات ، وفي شتى المعارف ، والعلوم من فقه وتفسير ولغة وتاريخ وجغرافيا وطب وفلك وغير ذالك،واستودع كل ذالك في دور وخزائن خاصة منتشرة في كل ربوع الإقليم وقد تجاوز عددها في آخر الإحصاءات الخمسين(50) خزانة ومكتبة خاصة ، وهذه أهمها (*/18) في أقاليم المنطقة الثلاثة ، وهي مرتبة بحسب تاريخ تأسيسها وأماكن تواجدها وكذا المشرفين عليها حاليا :

الرقم	اسم الخزانة	مكان التواجد	اسم البلدية	اسم المؤسس	تاريخ التأسيس	اسم المشرف الحالي
01	خزانة ع /عقباوي	قصر الزاوية	بلدية أقبلي	سيدي بونعامة	652 هـ	عائلة عقباوي
02	خزانة أركشاش	قصر أركشاش	بلدية أقبلي	محمد التهامي	ق. 07 هـ	؟
03	خزانة الشيخ محمد بن مالك	قصر ساهل القديم	بلدية أقبلي	محمد بن مالك	ق. 08 هـ	بن مالك عبد الكريم
04	خزانة لمطارفة	قصر لمطارفة	بلدية لمطارفة	الحاج محمد بن أحمد الراشيدي	ق. 09 هـ	عائلة بن ع الكبير
05	خزانة سيد الحاج بلقاسم	قصر زاوية سيد الحاج بلقاسم	بلدية تيميمون	سيدي الحاج بلقاسم	ق. 10 هـ	أحفاد الشيخ سيد الحاج بلقاسم
06	خزانة الشيخ المغيلي	قصر زاوية الشيخ	بلدية زاوية كنته	الشيخ المغيلي	ق. 10 هـ	أحفاد الشيخ المغيلي
07	خزانة تبلكوزه	قصر تبلكوزه	بلدية تينركوك	سيد الحاج أبو أمحمد	ق. 10 هـ	بولغيتي باحمود
08	خزانة زاوية الدباغ	قصر زاوية الدباغ	بلدية تينركوك	سيدي محمد الدباغ	ق. 10 هـ	الدباغي أحمد بن محمد
09	خزانة فاتيس	قصر فاتيس	بلدية تينركوك	سيدي محمد بن	ق. 10 هـ	باسيدي أحمد بن

						العربي
10	خزانة بادريان	قصر بادريان	بلدية تيميمون	سيد الحاج الصوفي	ق. 11 هـ	الصوفي محمد السالم
11	خزانة سيدي عومر	قصر زاوية سيدي عومر	بلدية أوقروت	الشيخ سيدي عومر بن أحمد	ق. 11 هـ	الحاج أقرابو
12	خزانة الشيخ الرقاني	قصر زاوية الرقاني	بلدية رقان	مولاي عبد الله الرقاني	ق. 11 هـ	السي محمد الرقاني
13	خزانة أنزقمير	قصر أنزقمير	بلدية أنزقمير	؟	ق. 11 هـ	عبد الرحمان بن عبد الكريم
14	خزانة زاوية سيدي حيدة	قصر زاوية سيدي حيدة	بلدية بودة	سيدي حيدة	ق11هـ	أبا سيدي جعفري
15	خزانة زاوية كنته	قصر زاوية كنته	بلدية زاوية كنته	الكنتاويون	ق. 11 هـ	كنتاوي الحاج أمحمد
16	خزانة تنيلان	قصر تنيلان	بلدية أدرار	سيدي أحمد بن يوسف	ق. 11 هـ	بن حسان أحمد
17	خزانة زاقلو	قصر زاقلو	بلدية زاوية كنته	؟	ق. 13 هـ	محمد العالمي
18	خزانة الشيخ سيدي أحمد ديدي	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	سيدي أحمد ديدي	ق. 14 هـ	البكري الحاج أحمد
19	خزانة كوسام	قصر كوسام	بلدية أولاد أحمد	محمد بالعالم	ق 14هـ	شاري الطيب
20	خزانة تيلولين	قصر تيلولين	بلدية أنزقمير	الحاج محمد بن سيدي جعفر	ق14هـ	الحاج عبد الرحمان جعفري
21	خزانة سالي	قصر سالي	بلدية سالي	مولاي أحمد الطاهري	ق. 14 هـ	مولاي عبد الله طاهري
22	خزانة باعبد الله	قصر باعبد الله	بلدية أدرار	بن الوليد	ق. 14 هـ	بن الوليد وليد
23	خزانة الحاج عبد القادر المغيلي	الحي الغربي ادرار	بلدية ادرار	الحاج عبد القادر المغيلي	ق 14 هـ	محمد السالم بن ع الكريم
24	خزانة الشيخ محمد باي بلعالم	قصر الركينة	بلدية أولف	محمد باي بلعالم	ق. 14هـ	الشيخ باي بلعالم
25	خزانة أولاد إبراهيم	قصر أولاد إبراهيم	بلدية أولاد أحمد	؟	ق. 14 هـ	مولاي قريشي
26	خزانة باحو	قصر باحو	بلدية سالي	؟	ق14هـ	بلحبيب عبد الرحمان
27	خزانة سيدي محمد الصدوق	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	سيدي محمد الصدوق	ق. 14 هـ	؟
28	خزانة فاعون	قصر الحاج قلمان	لدية أولاد سعيد	محمد الطاهر	؟	أباحيا الطيب
29	خزانة الشيخ إبراهيم	قصر أولاد سعيد	بلدية أولاد سعيد	؟	؟	إبراهيم بن عبد القادر
30	خزانة أولاد سعيد	قصر أولاد سعيد	بلدية أولاد سعيد	؟	؟	الجوزي عبد الرحمان
31	خزانة الشيخ بختي	قصر زاوية حينون	بلدية أولف	؟	؟	الشيخ أبختي امبارك
32	خزانة الشرفاء	قصر زاوية كنته	بلدية زاوية كنته	الشرفاء	؟	عائلة اسماعيلي
33	خزانة بني مهلال	قصر بني مهلال	بلدية تيميمون	؟	؟	بزكار بلقاسم
34	خزانة بن مهلال	قصر بني مهلال	بلدية تيميمون	؟	؟	أبا الصالح
35	خزانة وجلان	قصر وجلان	بلدية تسابيت	؟	؟	؟
36	خزانة برينكان	قصر برينكان	بلدية تسابيت	؟	؟	باعربي عبد القادر

37	خزانة ملوكة	قصر ملوكة	بلدية أولاد أحمد	البلباليون	؟	بلبالي عبد الرحمان
38	خزانة كوسام	قصر كوسام	بلدية أولاد أحمد	؟	؟	شاري محمد بن محمد
39	خزانة بني تامر	قصر بني تامر	بلدية أولاد أحمد	؟	؟	مبدو بي أمحمد
40	خزانة زاوية سيدي البكري	قصر زاوية سيدي البكري	بلدية أولاد أحمد	؟	؟	بكراوي محمد بن سالم
41	خزانة البلباليين	قصر أولاد ونقال	بلدية أدرار	عائلة البلباليين	؟	بلبالي الطاهر
42	خزانة آدغا	قصر آدغا	بلدية أدرار	؟	؟	سليماني علي
43	خزانةأ. علي بن موسى	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	محجوبي عبد العزيز
44	خزانة سيدي سالم	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	البكري الجازولي
45	خزانة أولاد سيدي وعلي	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	بكراوي الحاج أحمد
46	خزانة تمنطيط	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط			صديقي بومدين
47	خزانة عباني	قصر عباني	بلدية فنوغيل	؟	؟	سالم سالم
48	خزانة تيلولين	قصر تيلولين	بلدية أنزقمير	محمد بن سيدي جعفر	؟	عبد الرحمان جعفري

والجدير بالذكر أن هذه الخزائن جميعها تختلف في ما بينها أهميةً وتواجداً للمخطوط وإن كانت أقل واحدة منها تحوي بين سقوفها حاليا ما يزيد عن مائتي مخطوط تقريبا ، بينما وصل العدد في البعض الآخر منها الألفي مخطوط. كما تختلف عن بعضها البعض أيضا في قيمتها التاريخية وأهمية محتوياتها كخزانات ملوكة وتمنطيط و المطارفة وهو ما جعل هذه الثلاثية قبلة لزيارة المفكرين والباحثين العرب والأعاجم كالمؤرخ والرحالة أبي سالم العياشي والمفكر الجزائري مالك بن نبي ،والمؤرخ الألماني جيرهارد رولف وغيرهم كثير .

ولما "كانت العربية محور كل هذه الدراسات ، ومحركها الأساسي في فهم الكثير من المسائل الدينية ، والدنيوية ، فقد أخذت علوم العربية قسطها الأوفر من العناية والدراسة ، وتخصص فيها جملة من العلماء ألفوا في ذلك كتباً نحويةً وصرفيةً وبلاغيةً وعروضيةً وما إلى ذلك . ويعتبر القرن الثاني عشر الهجري ، الثامن عشر الميلادي العصر الذهبي في تاريخ المنطقة بالنظر إلى العدد الهائل من العلماء الذين نبغوا فيه" (*/20) من جهة وإلى وفرة مخزونه المخطوط الذي وصل في أقل التقديرات إلى أكثر من خمسة وعشرين ألف مخطوط من جهة أخرى هذا أن "ذلك أن الإقليم لم يخضع للدولة العثمانية كما خضعت لها معظم البلدان العربية وسَلِمت اللغة العربية من مزاحمة اللغة التركية"(*/21) .

كل هذا ما كان ليوجد أو ينتج لولا وقوف جملة من نخبة الفكر ورجال الإصلاح في المنطقة ومنذ قرون بعيدة ، رجال حملوا لواء الفكر والأدب وراحوا يتصفحون لنا ذاكرتهم ومعارفهم ليعصروا لنا تجاربهم ، رجال هانت في أعينهم المشقات حين قاسوها بالغايات ، رجال ظلوا ولسنوات طويلة تحت وطأة الإهمال والنسيان على الرغم من غزارة إنتاجهم وأهميته لما يحمله من بوادر الاجتهاد والتجديد ، وقد ضاع منه ما ضاع وما أكثره ،ووصل إلينا القليل القليل والحمد لله على كل حال .

وفي كلّ فإن هذا الجزء القليل من المخطوطات التي فلتت من قبضة الإهمال والنسيان ما كان لها أن تصارع الزمن لتصمد طويلا أمام خصوصيات المنطقة في كثرة رمالها وزوابعها خريفا ، وفرط حرارتها اللافحة صيفا، و قساوة برودتها شتاء. وهي عوامل لم تكن وحدها عوامل ضياع وتلف للمخطوط على مر التاريخ في غياب أبسط وسائل الحفظ الحديثة ، بل زادها الإنسان نفسه بصمته السلبية بقصد أو بغير قصد كما فعل المحتل الفرنسي في نهبه وتهريبه لآلاف المخطوطات معه خارج الوطن وبمباركة بعض سماسرة التراث من أبناء جلدتنا أحيانا .هذامن جهة ،و من جهة أخرى ما يفعله بعض الخاصة وكثير من العامة وإلى الآن و الذين لا يزالون يعايشون احتضارها في صمت وسمت .

ووسط هذه الأجواء (الكارثية) التي تعقبت أكبر ثروة تاريخية للمخطوط في الوطن الجزائر قاطبة ، انطلقت سفارات الإنذار وصرخات الاستغاثة المختلفة لنجدة ما أمكن من ذالك ، فكان أن شُكلت مع بداية الثمانينات أُولى خيوط العناية بهذا الإرث في شكل جمعية خاصة للعناية بالبحث والدراسات التاريخية في الولاية ، ومعها عرفت المنطقة تدريجيا حركة وعي واهتمام أنبأت في مجملها عن حجم ثقل المسؤولية الملقاة على عاتق الجميع . وما حملات التوعية المختلفة لأرباب الخزائن من جهة ، ومدهم ببعض المساعدات – على قلتها – من جهة أخرى إلا خير شاهد في هذا المقام. هذا دون أن ننسى تلك التجمعات والملتقيات المحلية والوطنية وحتى الدولية ، والمبادرات الهادفة إلى تكوين فرق متخصصة ومؤهلة للتعامل مع المخطوط ووضع فهارس(*22) عامة لهذه الخزائن. والتي قادها في الغالب أساتذة جامعيون مختصون ، ومراكز بحث وطنية ودولية، وتكفل بتبعاتها المادية والمعنوية بعض المحسنين من القطاع الخاص الذين أخذوا على عاتقهم تكاليف العملية عن آخرها على أمل خلق جو طبيعي من الثقة بين أرباب الخزائن والمالكين للمخطوط ، وبين الباحثين والمهتمين في هذا المجال. وهذا و وحده هو الضامن الأساسي لكل استثمار علمي وعملي جاد في هذا الميدان مستقبلا بعيدا عن لغة السين وسوف وبقية الضمائر البلهاء.

وخوفا من تلف وضياع المزيد من المخطوطات داخل هذه الخزائن عمد بعض القيمين على شؤون المخطوط حديثا إلى إعادة نسخ وترتيب بعض المخطوطات من جديد ،كما عمد البعض الآخر إلى شرحها وتحقيقها مثلما الأمر مع خزانات تمنطيط و المطارفة وكوسام وأولف وبودة وأدرار وغيرهم . وهي محاولة صادقة وطريقة جادة وظفها المالكون لهذا الإرث وبمجهودهم الشخصي بهدف الحفاظ على ما أمكن من هذا الزخم التاريخي من جهة ، و تقريبه إلى أعين وأقلام الباحثين والمفكرين من جهة أخرى . والعملية بما تقتضيه من صبر وإتقان وجدت في أنامل هؤلاء أمانة ودقة علمية باهرة حفاظا على المخطوط الأصل كما وجد ، وليضيفوا بذالك إلى عمل من سبقوهم بصمتهم الذهبية الخاصة في نهاية المخطوط وذالك بذكر اسم الناسخ وتاريخ ومكان نسخه . وهي مبادرة جريئة ومميزة اقتطع المشتغلون عليها وقتها ووسائلها من عمر شبابهم وصحة جسدهم ، وقوت عيالهم ليوفروها لقمة سائغة وغذاء ناضجا لكل عقل بشري .

هي مبادرة إذن وأية مبادرة !! لكنها قليلة بين عشرات الخزائن وآلاف المخطوطات، ومع هذا تظل بعيدة عن أي استثمار حقيقي. ولولا حرص هؤلاء وإدراكهم بحجم المسؤولية التاريخية الملقاة على عاتقهم من جهة ، وتقديرهم لجهد بعض الخيرين من جهة أخرى ، لوجد الجميع في تصرفات بعض الخواص وكثير من العوام في تعاملهم مع التراث عامة والمخطوط خاصة أيسر السبل للفرار من هذا الواقع .

<u>الهوامش:</u>

(*/01) : هو عقبة بن نافع الفهري ولد في السنة الأولى قبل الهجرة ، ولاه يزيد بن معاوية على إفريقيا سنة 62هـ وتوفي بمدينة بسكرة بالجزائر . (معجم مشاهير المغاربة . بوعمران الشيخ وآخرون . جامعة الجزائر 1995م ، ص365-366).

(*/02)) : واد نون ودرعة وسجلماسة مدن تقع في المغرب الأقصى وتعتبر سجلماسة من أكبر العواصم التاريخية وأقدمها ارتباطاً بمنطقة توات. تأسست سنة 140 هـ 757 م. (الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية . ص 62 .عبد العزيز بن عبد الله .المغرب 1976م .).

(*/03) : مخطوط نقل الرواة عن من أبدع قصور توات : محمد بن عمر بن محمد بن المبروك الجعفري . ص04.(مخطوط) .

(*/04) : هو محمد بن عبد الله بن تومرت المعروف بالمهدي بدأت مبايعته على الخلافة سنة 515 هـ وتوفي سنة 524 هـ (الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى:أحمد بن خالد الناصري . الدار البيضاء المغرب 1997م).

(*/05) : مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: محمد بن عبد الكريم البكري . ص 06 (مخطوط).

(*/06) : المصباح المنير . أحمد بن محمد الفيومي . ج 1 . ص 108 . ط 4 . المطبعة الأميرية القاهرة 1921 .

(*/07) : مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام . محمد بن عبد الكريم البكري . ص06.(مخطوط)

(*/08) : مثل المؤرخ محمد بن عمر في مخطوطه نقل الرواة ، ومولاي أحمد الإدريسي في مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات والشيخ محمد باي بلعالم في محاضرته حول المنطقة.

(*/09) : ذكر السعدي أن أصل الكلمة تكرورية " لأن الإنسان الأول الذي تخلف هناك توجع في رجله، وتوطن هناك فسمي الموضع باسم تلك العلة." تاريخ السودان ، عبد الرحمان السعدي . تحقيق هوداس، ص07 ، مطبعة بردين باريس ، 1964م . أما العالم مولاي أحمد الإدريسي في مخطوطه نسيم النفحات وإضافة إلى رأيه السابق يرى بأنها سميت توات لأنها تواتي للعبادة . ينظر ص 12.

(*/10) : لغة القبائل الأصلية التي سكنت المنطقة .

(*/11) : التكرورية لغة مدن تمبكتو وأدغاغ وزناقية وبيط وما بينهم من الحواضر .فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور للبرتلي .ص 26. تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حاجي .دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1401هـ 1981م .

(*/12) : التارقية لغة الطوارق من سكان الصحراء .

(*/13) : درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام . محمد بن عبد الكريم البكري . ص08.

(*/14) : إقليم توات خلال القرنين 18 - 19 م .ص 113. فرج محمود فرج .ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر 1977م .

(*/15) : ينظر : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .ص.15 .تحقيق هوداس و دلافوس.مطبعة بردين .باريس1964 .

(*/16) : ينظر : تاريخ السودان .تحقيق هوداس .مطبعة بردين .1898م .

(*/17) : أسعى جاهدا إلى إعداد إحصائية ودراسة عامة و دقيقة لمجمل مخطوطات المنطقة المتواجدة في الخزائن والمكتبات الإفريقية وغيرها و هذا بالإطلاع على بعض الفهارس الخاصة والاستعانة ببعض الزملاء في نيامي بالنيجر وفي مدينة تمبكتو بمالي

(*/18) : اعتمدنا في إحصائها وضبطها أولا على ما وقفنا عليه شخصياً من خلال جولاتنا الميدانية لمختلف مناطق الولاية (توات ، قورارة ، تيدكلت) خلال عشر سنوات على التوالي (2005/1995)، وثانياً على ما اطلعنا عليه من خلال لقائنتا المختلفة مع بعض المهتمين في هذا المجال من جهة ، أو ما جاء مسجلا في بعض سجلات جمعية الأبحاث والدراسات بأدرار. و للمزيد ينظر : رسالتنا المقدمة لنيل شهادة الماجستير . (شرح روضة النسرين في مسائل التمرين لمحمد بن أُب المزمري .تحقيق ودراسة .(ص 215 إلى 220) .إشراف الدكتور مختار بوعناني . قسم اللغة العربية وآدابها .جامعة وهران 2002م

(*/19) : الدراسة قام بها الأستاذان : بوجمعة دليمي ومبارك جعفري في إطار مذكرة التخرج لنيل شهادة التكوين المتخصص في المخطوطات .جامعة الجزائر .2005

(*/20) : محمد بن أب المزمري (1160هـ) حياته وآثاره .أحمد أبا الصافي جعفري .ص 32/31 .دار الكتاب العربي الجزائر .ط/01 . 1425هـ 2004م .

(*/21) : إقليم توات خلال القرنين 18 - 19 م . فرج محمود فرج .

(*22) مثل فهرس مخطوطات ولاية أدرار .للدكتورين بشار قويدر ومختار حساني . وهو من أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ . 1999م .مطبعة عمار قرفي .باتنة الجزائر .

المصادر والمراجع :

01/ الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى:أحمد بن خالد الناصري . الدار البيضاء المغرب 1997م).
02/ إقليم توات خلال القرنين 18 - 19 م . فرج محمود فرج .ديوان المطبوعات الجامعية .الجزائر 1977م .
03/ بحث حول خزانة الشيخ الحاج عبد القادر بن سالم المغيلي . في إطار مذكرة التخرج لنيل شهادة التكوين المتخصص في المخطوطات .جامعة الجزائر .2005. الأستاذان : بوجمعة دليمي ومبارك جعفري
04/ تاريخ السودان ، عبد الرحمان السعدي . تحقيق هوداس، مطبعة بردين باريس ، 1964م
05/ تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس .تحقيق هوداس و دلافوس.مطبعة بردين .باريس1964 .
06/ التعريف ببعض الجوانب الحضارية لإقليم توات . محاضرة للشيخ محمد باي أدرار.الجزائر .
07/ فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور للبرتلي. تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ومحمد حاجي .دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان 1401هـ 1981م .
08/ فهرس مخطوطات ولاية أدرار .للدكتورين بشار قويدر ومختار حساني . وهو من أعمال المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ . 1999م .مطبعة عمار قرفي .باتنة الجزائر .
09/ شرح روضة النسرين في مسائل التمرين لمحمد بن أب المزمري .تحقيق ودراسة .أحمد جعفري .رسالة ماجستير .إشراف الدكتور مختار بوعناني . قسم اللغة العربية وآدابها .جامعة وهران 2002م
10/ محمد بن أب المزمري (1160هـ) حياته وآثاره .أحمد أبا الصافي جعفري .ط/01 . 1425هـ 2004م دار الكتاب العربي الجزائر
11/ مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام: محمد بن عبد الكريم البكري .
12/ مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات
13/ مخطوط نقل الرواة عن من أبدع قصور توات : محمد بن عمر بن محمد بن المبروك الجعفري .
14/ المصباح المنير . أحمد بن محمد الفيومي . ط 4 . المطبعة الأميرية القاهرة 1921 .
15/ معجم مشاهير المغاربة . بوعمران الشيخ وآخرون . جامعة الجزائر 1995م .
16/ الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية .عبد العزيز بن عبد الله .المغرب 1976م .

• الأستاذ: جرادي محمد
• المحور: واقع التراث المخطوط في الخزائن التواتية
• عنوان المداخلة: دراسة وصفية لخزائن التراث – خزانة كوسام نموذجاً
• الجامعة: جامعة أدرار –قسم الشريعة-

زاخر ، تحوية خزانتها التي يزيد عدد المشهور منها عن خمسة عشر خزانة ، و كلها خزائن خاصة تعود ملكيتها إلى أسر توارثتها عن الأسلاف ، إلى جانب العديد من الخزائن الشخصية ، غير المشتهرة ، لقلة ما فيها من عناوين أو لتكتم أصحابها عنها .

و لم يسبق أن أغفل كاتب أو باحث في التراث المخطوط في توات ذكر خزانة كوسام ، فقد تجاوزت شهرتها الحدود الوطنية ، و أصبحت محج الباحثين ، بالنظر لوفرة عناوينها ، و موقعها القريب من عاصمة الولاية ، و الأهم من ذلك ما يبديه صاحبها السيد الطيب شاري من تجاوب و حسن تعاون مع طلاب العلم و رواد البحث .

و قد وقع اختياري لما سبق من عوامل ، على خزانة كوسام لتكون أنموذجاً ، عن دراسة وصفية لحال الخزائن التواتية ، و حال المخطوط فيها ، متوخياً بهذا العرض :

- تعريف المهتمين بالبحث في التراث بخريطة الطريق إلى المخطوط ،
- الكشف عن مصادر المخطوطات التواتية ، و موضوعاتها ،
- الوقوف على حالة المخطوط داخل هذه الخزائن ،
- التعريف بجهود أرباب الخزائن في حفظ المخطوط ، و إسهامهم في إخراجه ،
- التعريف بالمخاطر التي تهدد المخطوط ، و ما صيغ التعاون التي يقترحها أربابه على الباحثين ؟

1 – مفهوم الخزانة :

الخزانة ؛ هو المصطلح الأكثر شيوعياً للتعبير عن المكتبة عندما يكون المخطوط هو المحتوى و النظر في مدلولها اللغوي يعود بنا إلى المادة المعجمية (خ ز ن) ، حيث يقال : خزن المال ؛ أي جعله في الخزانة ، و خزن السر كتمه[1] ، و المخزن و الخزانة بمعنى ما يستودع فيه الشيء و يحفظ ، و منه قول الله تعالى : (و إن من شيء إلا عندنا خزائنه)[2] .

فالخزن يفيد معنى الحفظ و الصيانة و التكتم ، قال تعالى : (فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه و ما أنتم له بخازنين)[3] ، أي لستم بقادرين على خزنه بل نحن بقدرتنا نحفظه لكم في العيون و الآبار و الأنهار[4] .

لقد اعتادت الأسرة التواتية أن تحفظ مؤنتها في المخزن ، التي يستبد أحد أفرادها – و غالباً ما يكون هو رب العائلة – بالتصرف فيها و امتلاك مفتاحها .

فالمصطلح من جهة و العادة من جهة أخرى ألقيا بظلالهما على أرباب الخزائن العلمية ، فبلغوا بالحفظ درجة التكتم . و إذا كان هذا السلوك قد ضمن للمخطوط البقاء في مرحلة ما ، فإنه حال بينه و بين أن يرى النور و يجد طريقه إلى الإخراج و التحقيق ، عندما حَجز الباحثين عنه

أما الخزانة في الاصطلاح : فهي الدور أو المكتبات أو الأقبية التي بها تراث مخطوط ، قل عدده أو كبر .

و هذا التساهل في إطلاق اسم الخزانة ، هو مرد الاضطراب الذي يحصل بين الباحثين في تعداد خزائن توات

2 - خزانة كوسام أو مكتبة الشيخ سيدي عبد الله البلبالي

إن المتتبع لتاريخ الخزائن لن يطول به البحث ليقف على أن الغالب الأعم ، و الذي يصح أن يمثل قاعدة ، هو أن أصل كل خزانة هو مدرسة علمية ، و على القاعدة جاءت خزانة كوسام.

فكوسام بلدة صغيرة ، أو قصر حسب التعبير المحلي ، يبعد عن مدينة أدرار بنحو 12 كلم إلى الجنوب الغربي ، انتقل لها السيد أحمد الحبيب بن سيد امَحمد بن عبد الله بن إبراهيم البلبالي من قصر ملوكة المجاور ، و اشترى بها أرضاً في ربيع الثاني عام ثمانية و سبعين و مئتين و ألف[5] (1278هـ) .

و بها أسس ابنه عبد الله مدرسة تلقن روادها علوم الفقه و التوحيد و اللغة العربية و الفلك و غيرها ، و كانت المدرسة نواة للخزانة العلمية ، إذ عمل الشيخ على تزويد المدرسة بنسخ لأمهات العلوم المدرسة .

لكن بطول الزمن تناقصت محتويات الخزانة ، بالاستلاف تارة و السرقة تارة أخرى ، إلى جانب ما أصاب المخطوطات من بلى و تآكل .

3 – الجهود الشخصية لقيم الخزانة في حفظ مخطوطاتها :

لقد شهدت خزانة كوسام إعادة بعث ، إذ تمكن السيد الطيب شاري بدافع العلم و حب الكتاب، و حرصاً على إرث الآباء و الأجداد من إعادة تجميع المكتبة و إنقاذها من الهلاك ، حيث أسفرت جهوده الحثيثة عن ما يمكن اعتباره إعادة تأسيس للخزانة سنة 1973 .

فاسترد مخطوطات من أيدي معيريها ، و أخرج البعض الآخر من تحت الأنقاض ، فتوصل إلى عدد معتبر من العناوين ، و قد بالغ الدكتور عبد الكريم عوفي في قوله عن خزانة كوسام : (تضم في رفوفها ما يزيد عن 250 مخطوطة)[6] تحويه الخزانة اليوم بين جنباتها ، مقداره 160مخطوطاً . و هذا العدد ينقسم حسب حال المخطوط إلى فئتين :

الفئة الأولى : تتكون من 118 مخطوطاً ، في حالة جيدة ، و هي التي رتبت في قائمة علقت في بهو الخزانة .

الفئة الثانية : تتألف من 42 مخطوطاً في حالة سيئة ، بفعل ما وقع عليها من هدم ، أو ما تعرضت له من تآكل .

و إذا نظرنا إلى حال أرباب الخزائن ، من حيث جهلهم أصول فن التحقيق و مناهجه ، و عدم اهتمامهم حتى بإخراج المخطوط و طباعته ، إلا في القليل النادر ، و هذه خصلة تحسب لفضيلة الشيخ محمد باي بلعالم دون سواه من أرباب المخطوط ، إذ بادر إلى إخراج البعض و شرح الآخر ، على نحو صنيعه في : الغصن الداني في ترجمة و حياة الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني[7] ، أو في : ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم [8] ، و غيرهما ، فإن أعظم فضل يذكر للقائمين على الخزائن ، هو حفظهم لهذا الإرث و حمايته من العدم ، أما ما سوى ذلك فإن جهودهم لا تعدو أن تكون بدائية ، دون ما يتطلبه المخطوط شكلاً أو مضموناً ، و هو ما يلحظه الزائر لكل الخزائن .

و توزعت جهود السيد الطيب شاري في خدمة المخطوط ، على ما يلي :

---

[1] الرازي ، مختار الصحاح ، دار الهدى ، الجزائر ، ط4 ، 1990 ، ص 119 .
[2] سورة الحجر ، الآية 21 .
[3] سورة الحجر ، الآية 22 .
[4] محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير، دار الفكر ،بيروت ، 2001 ، جـ2/ص100 .

[5] وثيقة شراء الأرض من مالكها السيد محمد ولد السيد محمد عبد الله بن سيد محمد ولد سيد سالم الوشاني ، خزانة كوسام .
[6] مقال : مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري إقليم توات نموذجاً ، مجلة آفاق الثقافة و التراث ، ع34 ، يوليو2001 ، ص113
[7] طبع بدار هومة ، 2004 .
[8] مطبعة عمار قرفي ، د ت .

1. تخصيص خزائن حديدية أو جدارية ، تجمع فيها المخطوطات ، و في معظم الحالات تكدس المخطوطات بطرق غير صحية ، فوق الرفوف (أنظرالصورة المقابلة) .

2 . استعمال مبيدات الحشرات لمنع الأرض من أكل المخطوط .

3 . إثراء الخزانة بنسخ من مخطوطات لا تملكها ، أو صور لها .

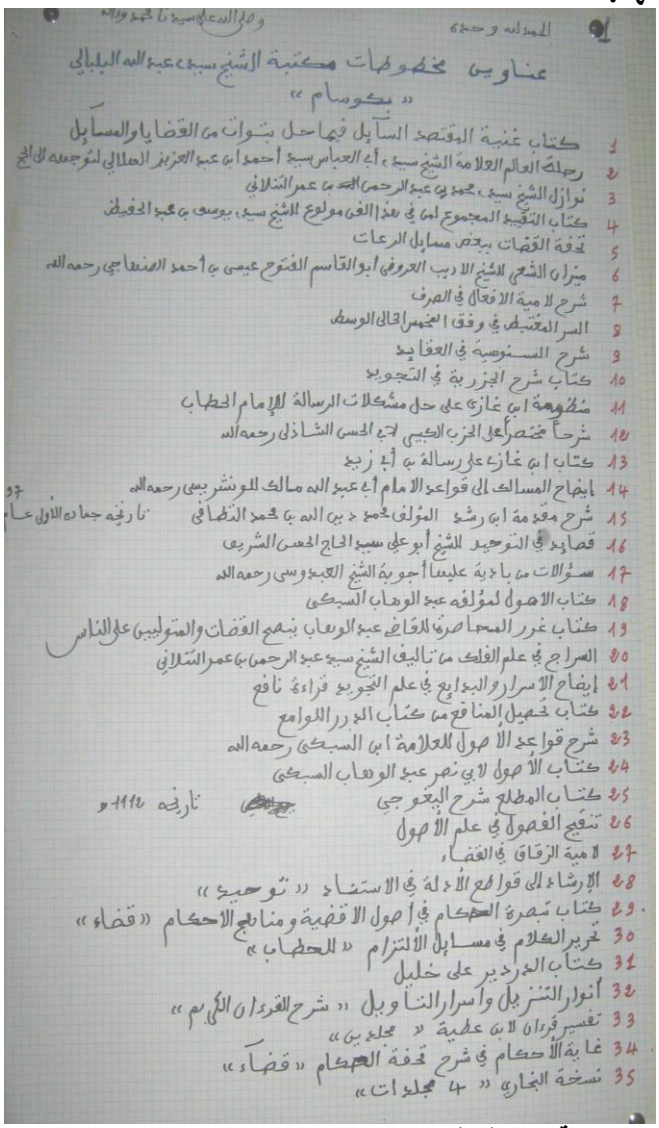

4 . تكملة المخطوطات التي بها نقص بعد مقابلتها بنسخ من خزائن أخرى .

5 . و في خطوة تنم عن حرص شديد على المخطوط ، من جهة ، و رغبة في تمكين الباحث من مقصوده من جهة أخرى ، قام السيد شاري الطيب بإعادة نسخ ما يزيد عن مائة مخطوط بيده .

6 . إعداد قائمة مرقمة (الصورة أعلاه) لمحتويات الخزانة ، و هو العمل الذي لا تتوافر فيه المواصفات العلمية للفهرس ، إذ اقتصر على رقم وعنوان ، في أكثر الأحوال يكون عنواناً مبهماً مثال ذلك :

- 53 كتاب في التوحيد ،
- 66 كتاب في القضاء ،
- 87 شرح الرسالة ،
- 91 شرح على خليل ،
- 98 كتاب في البيوع .

أما باقي البيانات (المؤلف ، الناسخ ، تاريخ النسخ ، نوع الخط ، المقاس ، بداية المخطوط و نهايته) فقد أغفلت ، عدا 44 مخطوطاً ذكر مؤلفوها .

4 - محتويات الخزانة :

لاحظنا أن قيم الخزانة اكتفى بإيراد قائمة المخطوطات السليمة ، و القائمة التي تضم 118 عنواناً لا تخضع لأي ترتيب ، و إنما وردت اعتباطاً ، و هي تظم مؤلفات في تسعة فنون ، تتوزع على النحو الآتي :

أ . الفقه و أصوله و النوازل : و مجموع العناوين فيه 53، و هو ما يعادل نسبة 44.9 % من المجموع ، و هذه النسبة تعكس حجم اهتمام أعلام توات عموماً و كوسام خصوصاً بفقه الفروع ، و من أبرز العناوين :

- 1 الموسوعة التواتية الموسومة بـ غنية المقتصد السائل فيما حل بتوات من القضايا و المسائل للبلبالي .
- 3 نوازل محمد بن عبد الرحمن بن عمر التنلاني ،
- 76 الإعلام بنوازل الأحكام للبرزلي ،
- 56 شرح بستان فكر المهج في تكميل المنهج لميارة ،
- كثير من شروح المختصر و الرسالة ، انظر 87 ، 88 ، 90 ، 91 112 ، 113 .

ب . التوحيد و التصوف : يأتي في ثاني مرتبة بـ 20 عنواناً، 16.9 % ، منها :

- 8 السر المغتبط في وفق المخمس خالي الوسط ، للزجلوي ،
- 9 شرح السنوسية ،
- 75 معارج القلوب و الأرواح إلى مناجاة الفتاح .

ج . القضاء : بـ 18 عنواناً 15.25% ، و مرد هذا الاهتمام بالقضاء و علم الوثائق ، أن القضاء بتوات انتقل من تمنطيط إلى ملوكة المجاورة لكوسام سنة 1210هـ عندما وليه القاضي محمد بن عبد الرحمن البلبالي ، ثم أن مؤسس المدرسة بكوسام سيدي عبد الله بن سيد احمد الحبيب ولي القضاء سنة 1328 ، 1329 هـ بعد أن أباه أخوه سيدي امحمد ، (و هو أول قاض قضى في العهد الاستعماري)[1] . و من أهم العناوين :

- 27 لامية الزقاق ،
- 83 معين الحكام لابن عبد الرفيع ،
- شروح على العاصمية 34 ، 105 ، 106 .

د . علوم القرآن : بـ 9 مخطوطات في فن التجويد أو تفسير القرآن الكريم ، منها :

- 10 شرح الجزرية في التجويد ،

[1] عبد الحميد بكري ، النبذة في تاريخ توات و أعلامها ، دار الهدى ، عين مليلة ، 2005 ، ص71 .

- 33 تفسير ابن عطية في مجلدين ،

هـ . علوم اللغة العربية : من نحو و صرف و شعر ، و بها 9 مخطوطات ، منها :
- 6 ميزان الشعر لعيسى ابن أحمد الصنهاجي ،
- 7 شرح لامية الأفعال .
- 96 شرح على ألفية ابن مالك .

و . الحديث : لم يحظ علم الحديث باهتمام علماء توات ، و هذا ما يتجلى في ندرة ما كتبوا فيه ، أو نسخوا منه داخل الخزائن ، بل إن كتب النوازل التي صنفوها[1] لتشهد على تقللهم من هذه البضاعة ، و أكثر ما يمكن العثور عليه من مخطوطات نسخ من الصحاح ، و قد حوت خزانة كوسام ثلاث نسخ للجامع الصحيح للبخاري ، نسخة كاملة 35 ، و نسختان 82 و 97 لأجزاء منه .

ز . الفلك : جاء اهتمام علماء توات بعلم الفلك من اهتمامهم بعلم الفقه ، لضبط المواقيت ، و قد كان لهم فيه إسهام ، حفظت خزانة كوسام ثلاث عناوين فيه :
- 20 السراج في علم الفلك ، للشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني ،
- 46 إكمال فتح المقيت في شرح اليواقيت ،
- 68 شرح ابن سعيد ، و هو المسمى المقنع في علم أبي مقرع .

ح . المنطق : يوجد منه بالخزانة مخطوطتان :
- 69 المنطق للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ،
- 71 السلم لعبد الرحمن الأخضري .

ط . الرحلات : حفظت الخزانة مخطوطاً واحداً في الرحلات ، هو رحلة الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي للحج برقم 2 .

5 - الباحث و حيرة الوصول إلى المخطوط :

لقد أحدقت بالمخطوط على مر الزمن مخاطر جمة ، و قد هيأ له القدر أسباب البقاء ، تلك المخاطر التي لم تكن سوى طبيعية ، من سيول ، أو انهدامات ، أو حشرات ، غير أن أعظم ما يهدد المخطوط اليوم لم يعد طبيعياً .

إن وصول الباحث إلى المخطوط ليس هيناً ، و دون ذلك عقبات جمة ، تلك المعوقات هي التي أبقت الجزم بتعداد المخطوطات بخزان ادرار غير ممكن ، و هي التي حالت دون صدور فهارس علمية وافية لما تحويه الخزائن التواتية ، و فوق ذلك حكمت على المخطوط بالموت المحقق عندما منعت عنه يد المحقق .

إن مغامرات الباحثين المهتمين بالمخطوط تكشف انسداد قنوات التواصل ، مما دفع إلى اللجوء للوساطات تارة ، و إلى سلوك الحيلة أو السرقة[2] تارة أخرى ، و لم يعد مستغرباً أن نسمع من مختصين أن المخطوط بيع في السوق السوداء ، أو هرب إلى ما وراء الحدود ، و هي مؤشرات تدعو كل ذي لب قبل كل مسؤول إلى المسارعة ، إنقاذاً لهذا الإرث المجيد .

لقد كان لجيراننا في المغرب تجربة رائدة جمعت بين الحق الشخصي لأرباب الخزائن الخاصة ، و بين الحق الوطني باعتبار المخطوط إرثاً وطنياً ، حيث أشرفت وزارة الأوقاف سنة 1959 على جلب نفائس المخطوطات من الخزائن الخاصة إلى الخزانة العامة بالرباط[3]، منها ماحفظ بها و منها ما صور على أشرطة و أعيد لأصحابه .

6 . توصيات و مقترحات :

- ضرورة أن تتجه الجهود الجامعية بولاية أدرار إلى العناية اللائقة بهذا التراث ، من خلال تشكيل وحدات بحث ، و إنشاء مخبر يعنى بالمخطوط ، و كذا توجيه طلبة الدراسات العليا نحو مشاريع خدمة التراث ، و لم لا فتح أقسام للدراسات العليا في فن التحقيق .
- قيام أفواج من الخبراء و الفنيين بمعاينة الخزائن ، من أجل صيانة المخطوطات المهددة بالزوال ، و تقديم الخبرات و المساعدات لأصحابها .
- ضرورة أن تبادر مؤسسات علمية أو ثقافية بفتح فضاءات للحوار و التشاور ، بين أرباب الخزائن و المهتمين بالمخطوط ، تكلل بتيسير العمل البحثي ، و حفظ حقوق أصحاب المخطوط .
- يجب أن يتحول حفظ المخطوط إلى الأشكال التي أتاحتها التقنيات الحديثة ، و ذلك بتصويرها على الأقراص أو الميكوفيلم .

مصادر البحث و مراجعه

1- نوازل الزجلوي –مخطوط-
2- وثيقة شراء الأرض من مالكها السيد محمد ولد السيد محمد عبد الله بن سيد محمد ولد سيد سالم الوشاني - مخطوط- خزانة كوسام .
3- بكري عبد الحميد ، النبذة في تاريخ توات و أعلامها ، دار الهدى ، عين مليلة ، 2005.
4- الرازي ، مختار الصحاح ، دار الهدى ، الجزائر ، ط4 ، 1990.
5- الصابوني محمد علي ، صفوة التفاسير، دار الفكر ،بيروت ، 2001.
6- المرابطي سعيد ، فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط ، منشورات الخزانة العامة ، 2002.
7- مجلة آفاق الثقافة و التراث ، ع34 ، يوليو2001 مجلة آفاق الثقافة و التراث ، ع34 ، يوليو2001.
8- مقابلة شخصية مع القيم على خزانة كوسام السيد الطيب شاري ، بتاريخ 2008/03/20

[1] انظر مثلاً نوازل الزجلوي - و هو لا يزال مخطوطاً و توجد نسخ منه في أكثر من خزانة - ففي قرابة 500 مسألة التي حواها ، لم يزد عد الأحاديث فيه عن خمسة .

[2] كثيراً ما يتحجج أصحاب المخطوط لمنعه بالسرقات التي طالتهم .

[3] انظر : فهرس المخطوطات العربية المحفوظة في الخزانة العامة بالرباط ، سعيد المرابطي ، منشورات الخزانة العامة ، 2002 ، المجلد 7 ، ص 9 و 10

مقدمة :

يعتبر القرنان الثاني عشر الهجري ،و الثالث عشر الهجري ،الثامن عشر الميلادي ، و التاسع عشر الميلادي، أخصب عهود منطقة توات ، لما ظهر بها من علماء ومؤلفات علمية وقد تجسدت الظاهرة العلمية بوضوح بإقليم تينجورارين في القرن الحادي عشر الهجري ، السابع عشر الميلادي ،على يد قلة من العلماء منهم الشيخ أبو محمد دفين تبلكوزة (ت 1035 هـ/1625 م) و الشيخ عبد الله الجوزي (ت 1035هـ /1625) ،ثم بعدها ورث إقليم توات تلك النهضة الفكرية التي فاضت بعدد من العلماء في مختلف الفنون خاصة الدراسات الشرعية منها و التي تشهد على ذلك النوازل العديدة .كنوازل الغنية و الزجلاوي ثم بعدها انتقلت الظاهرة العلمية إلى إقليم تيدكلت تحديداً قصر أقبلي ،فظهرت عائلات علمية كعائلة بن مالك و عائلة كنته [1] .

و لعل تطورها هذا النشاط الثقافي و الفكري يعود أساساً إلى :

1- **بعد المنطقة عن مراكز الصراع السياسي ،و تميزها بالهدوء ،مما أتاح المجال للنشاط العلمي ،و جعل الإقليم مركز جذب للعلماء الفارين من مناطق الصراع السياسي .**
2- **انتشار الزوايا العديدة في سائر المناطق الصحراوية و التي جمع شيوخها بين العلم و العمل فساهموا في تبسيط المعارف العلمية ، و تنافست الزوايا في استقطاب الطلبة مما كان له أكبر الأكثر في نشر العلم النافع و الجاد .**
3- **مساهمة سكان المنطقة خاصة الميسوري الحال منهم بدعم الطلبة و المدرسين بالأوقاف والهبات وبسط النفقات .**

و مما يلاحظ على الحركة الفكرية بالمنطقة ظهور التنوع الفكري ،و إن غلبت عليها العلوم الشرعية خاصة الفقه و التفسير و النحو و التصوف و الأصول و التنجيم و هو ما ينم عن تنوع فكري بالإقليم .ومن أبرز العلماء خلال هذه الفترة الزمنية تذكر بعض نماذج منهم :

- **<u>الشيخ سليمان بن علي بن عمر :</u>**

ينتهي نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ولد بفاس بالمغرب ،و كان سبب مجيئه إلى توات أن سكانها طلبوا من شيخه المجيء ،فأمر تلميذه سيدي سليمان بن علي بالتوجيه إلى توات[2]

و ذلك سنة 581هـ ،و استقر بأولاد أعمور بأولاد عيسى فتزوج بها و حفر بئراً و رزق بإبن سماه مولاي عيسى و قد ذاع صيته في القصور المجاورة قصر الحدب ،و السبخة و بوزان و الغربة و زاوية عيسى و ميمون و زاوية الغريب و توريرت و سعد الله و الشيخ و أقبور و أولاد بوحفص و أولاد الشيخ أمحمد و أولاد مهدي و أولاد باحو .

و بعد عجزه انتقل إلى قصر أولاد وشن فتردد عليه أهل تمنطيط ،أما ابنه عبد الله فلازم قصر أمدر الذي توفى فيه ،أما علي فقطن أولاد مطاع إضافة إلى إبنه عبد الحق أما عبد الصمد فتوجه إلى بلاد التكرور .و بقدومه إلى أولاد وشن أصبحت له الكلمة و استطاع سنة 610هـ/1213م .

أن يقنع أهل المخزن أن يسددوا بالتقسيط ،و ذلك بفضل علمه و تقواه و حججه التي أقنع بها هؤلاء من أن سكان توات أناس فقراء ،وقد ذاع صيته نتيجة لكرامات ،فأصبح محطة زوار إقليم توات ،وقد وافته المنية سنة 670هـ/1271م [3].

- **<u>الشيخ البكري بن عبد الكريم :</u>**

باختصار شديد ،ولد هذا الشيخ سنة 42هـ/1632م ،أخذ علم النحو عن الشيخ محمد بن علي الوجروتي ، و أخذ عن

---

[1] الطاهري (أحمد): الدر المنظوم شرح مقدمة أبن اجروم – غرادية : مطبعة الواحات د.ت . ص :61 .

[2] نفسه.

[3] محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي ،" مخطوط درق الأقلام في اخبار المغرب بعد الاسلام " . خزانة بن عبد الكريم لمطارفة ، ص :20.

الشيخ سعيد قدورة الجزائري ،و عن الشيخ الحاج محمد القاضي التواتي ، و له إجازة في الديار المصرية عن الخرشي .تولى مهنة التدريس ،و استفاد من علمه ابناؤه الأربعة (محمد الصالح – عبد القادر – محمد عبد الكريم ،و طلاب كثيرون).

و تميز بكثرة اجتهاده في سائر العلوم الشرعية ، و تولى القضاء بالديار التواتية ثم كافة الصحراء [1]

- **الطالب أحمد التواتي :**

بن محمد بن عمر من بني علي بن عبد الله ثم بني عيسى بن محمد ثم اشتهر بالتواتي كان صالحاً متعبداً مواظباً على العبادات معمراً للأوقاف مداوماً على الأوراد يخرج إلى خلوته في الضحى ثم بعد ذلك يرجع إلى بيته ليطالع كتبه و يتحدث مع أهله ثم ينام ، أخذ طريقة التصوف الناصرية والغازية و الورد عن شيخه سيدي أحمد بن عبد القادر عن الشيخ سيدي محمد بن ناصر الدرعي ، توفى رحمه الله عام 1138هـ/1725م [2]

و فيما يخص بعض الخزائن التي قمت بزياتها ، حيث أجريت جرداً لأهم المخطوطات ،و أماكن تواجدها :

1- خزائن منطقة قورارة :

الخـــزانة	أصحـــابها
- خزانة أولاد سعيد	- السيد الجوزي عبد الرحمان
- خزانة زواية الدباغ	- السيد الدباغ أحمد بن محمد
- خزانة لمطارفة	- أبناء عبد الكريم بن عبد الكبير
- خزانة قصر الشيخ (أولاد سعيد)	- السيد الشيخ ابراهيم عبد القادر
- خزانة تابلكوزة	- السيد بولغيتي عبد الكريم بن باحمو
- خزانة بادريان	- السيد الصوفي محمد سالم
- خزانة فاتيس	- السيد باسيدي احمد بن العربي

2- خزانة منطقة توات الوسطى :

الخـــزانة	أصحـــابها
- خزانة الشيخ سيدي أحمد بن ديدي (تمنطيط)	- السيد البكري أحمد
- خزانة أولاد علي بن موسى (تمنطيط)	- السيد محجوبي عبد العزيز
- خزانة سيدي سالم (تمنطيط)	- السيد البكري الجازولي
- خزانة زواية سيدي البكري	- السيد بكراوي محمد بن سالم بن صافي
- خزانة تمنطيط (اولاد سيدي وعلي)	- السيد بكراوي الحاج أحمد بلقاضي
- خزانة كوسام	- السيد شاري الطيب
- خزانة ملوكة	- السيد بلبالي عبد الرحمان بن عبد العزيز
- خزانة آدغا	- السيد سليماني علي
- خزانة بني تامر	- السيد مبدوني امحمد
- خزانة سيدي حيدة (بودة)	- السيد محمد جعفري

وما زالت القائمة طويلة .

2- خزائن تيدكلت :

الخـــزانة	أصحـــابها
- خزانة أقبلي	- السيد عقباوي عزوز
- خزانة أولف	- السيد بالعالم محمد باي
- خزانة سأهل أقبلي	- السيد بن مالك عبد الكريم

- **التراث العلمي لمنطقة توات :**

تتمثل خاصة في المخطوطات المتنوعة التي ظلت تحتفظ بها أسر تتوارث العلم أبا عن جد كعائلة بن مالك بقصر الساهل ، و العائلة الكنتية في زاوية بونعامة أو ترجع إلى شيوخ زوايا ورثوها أو جمعوها بواسطة الإقتناء ،و هذه المخطوطات متفاوتة في عددها و مختلفة في عناوينها .

بيد أن مخطوطات تيدكلت تشترك مع عناوين توات ،نظراً لأن إقليم تيدكلت هو نهاية إقليم توات ،ناهيك عن علماء تيدكلت الذين تميزوا بالترحال مثل أبي الأنوار عبد الكريم التينلاني ،هذا ما أدى إلى بروز عائلات علمية بقيت محتفظة بالعلم في أسرها ، و كان من وراء هذا الزخم العلمي الخليط السكاني الذي إستقر بهذا الإقليم من مختلف الجهات كليبيا و تونس وورجلان و متليلي و الهقار ، و كل هذه العوامل تركت بصماتها على الحركة الفكرية بالمنطقة ، و أشتهر خزائن المخطوطات بتدكلت هي :

- خزانة عائلة أبا الشيخ بتقراف .
- خزانة الشيخ عبد الرحمان بن محمد البرمكي بأولف .
- خزانة عائلة عقباوي بزاوية بونعامة .
- خزانة عرق شاش بأقبلي .
- خزانة الشيخ بن مالك بالساهل .
- خزانة المنصور بأقبلي .
- خزانة الطالب دادة بأولف [3].

أما عن مضمون هذه المخطوطات فإنها تكاد تنحصر في التأليف و الشروح و الدراسات العلمية كالتصوف الذي كثرت شروحه و حواشيه خلال هذه الفترة ، فأصبح ظاهرة في حد ذاته فكثر إنتاج العلماء نتيجة لسيطرة روح التصوف على الحياة العلمية و الإجتماعية ، و تميزها بالزهد و الموعظة و الإلتزام بمبادئ المتصوفين و الزهاد فنجد كثيراً من الكتب و الرسائل و التقاليد و المنظومات ،تتناول الأذكار ، و الشروح الخاصة بقصائد الصوفية و من أمثلة ذلك :

- مخطوط التشوف إلى رجال التصوف للشيخ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم التادلي يقول في إحدى صفحاته "

[1] ابو عبد الله الطالب محمد بن ابي بكر الصديق البرتلي : فتح الشكور ، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني ، محمد حجي ، د.م :د.ن ، د.ت ، ص : 42

[2] محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق : نفسه ، ص 23.

[3] أحمد الطاهري ، المصدر السابق ، ص : 153.

من أراد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله في قلبه لأن الله ينزل العبد عنده حيث ما أنزله العبد من نفسه " أنتهى من كتابته يوم الخميس 03 شعبان 1273هـ على يد كاتبه محمد بن الطاهر الحسني [1].

- مخطوط الجرعة الصافية و النفحة الكافية للشيخ المختار الكنتي يتناول العقيدة و التصوف كتبه علي بن محمد بن عبد القادر [2].
- مخطوط في ذكر الصلاة على النبي و فضائله للشيخ الفقيه أبي عبد الله محمد بن سليمان الجزولي نسخة عمر بن عيسى بن حمد بن عبد الله بن خليف الطيار ، و ذلك يوم الجمعة 12 من شهر رمضان 1257هـ [3].

أما اللغة العربية فهناك العديد من المخطوطات :

- مخطوط منحة الإعراب المسمى تحفة الأخبار و طرفة الأصحاب لمحمد بن محمد عمر الحضرمي مخطوط من طرف عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن الحاج محمد بن عبد الصمد سنة 1353 [4].
- شرح الألفاظ الأجرومية في أصول علم العربية لخالد بن عبد الله بن أبي بكر الأزهري يقول المؤلف " ينتفع بها المبتدئ إن شاء الله " .
- مخطوط في اللغة العربية و قواعدها خطه علي بن العربي بن محروس بتاريخ 16 من رمضان 1242 هـ .
- مخطوط في مصطلح الحديث بعنوان شرف الطالب في أسمى المطالب لإبن الخطيب القسنطيني خطه الشافعي بن عمار البلغيثي سنة 1303هـ [5].

تعد المخطوطات المدروسة بإقليم توات ، عبارة عن مخطوطات مفردة (غير متعددة الأجزاء) إن بيانات النسخ من إسم الناسخ و مكان النسخ و تاريخه سمة ظاهرة في مخطوطات توات ، وهي عادة ما تكون في الصفحة (الغاشية) الأخيرة في النصف مكتوبة على شكل هرم مقلوب

إن إسم الناسخ يذكر عادة بعد إنتهاء كلام المؤلف و يكون مسبوقاً بعبارات نحو:

" انتهى على يد العبد الفقير الحقير الذليل المذنب الراجي عفو ربه فلان بن فلان "

إن تاريخ النسخ يذكرفي كثير من الأحيان بالوقت و اليوم و الشهر و السنة الهجرية و ربما ذكرت السنة فقط ، مثلاً : مخطوط البرد الموشى في قطع المطاعم و الرشا للشيخ المختار الكبير ، فرع من تأليفه يوم الجمعة 1112 هـ .

إن لتاريخ النسخ أهمية كبرى تتزايد بمرور الزمن فهو المعيار الذي يتحدد من خلاله قدم المخطوط و أهميته و مدى الوثوق به من ناحية قربه من عصر المؤلف لذلك نجد معظم النساخ إهتموا بإثبات تاريخ الفراغ من نسخ المخطوط .

إن التعرف على أول صفحة من المخطوط هو ما يضمن معرفة بدايته و سيسمح بالتأكد من صحته إذا قورن بنسخة أخرى ، و الشيء نفسه مع نهاية المخطوط حيث يمكن التعرف على خاتمة النص و على إسم الناسخ و مكان النسخ و تاريخه ، فهي تلقي ضوءاً كاشفاً على تاريخ المخطوط و قيمته و مدى الثقة به و بمؤلفه [6].

إن الخط الذي كتبت به هذه المخطوطات هو خط مغربي يتميز بإستقامته و كتابة القاف بنقطة من الأعلى و الفاء بنقطة من الأسفل ، إن معرفة نوع الخط يمكن أن توظف في تقريب زمن كتابته عندما يفقد تاريخه ذلك أن لكل عصر نوع من أنواع الخطوط التي شاع أكثر من غيره [7].

و من المشاكل التي تعاني منها مخطوطات الإقليم ، إن بعض أصحاب الخزائن يعتقدون أن المخطوطات محل بركة بحيث يتركونها سنوات عديدة دون تصفحها بالإضافة إلى النكبات الطبيعية و خاصة الأمطار ، فهناك مخطوطات إنمحت بكاملها و البعض الآخر إنمحى جزئيا فكانت ضحية لعوامل التعرية و الإهمال ، بالإضافة إلى أن هناك من أفراد العائلة أو الباحثين من يأخذون مخطوطا أو أكثر بهدف الإستفادة منه فلا يرجعونه لأصحابه ، كما حدث في خزانة سيدي أحمد العالم بآولف التي يلاحظ الباحث أن الذين أخذوا المخطوطات قاموا بعملية انتقائها و أخذوا المخطوطات الهامة ، و هذا ما أدى إلى عدم الثقة بين الباحثين و أصحاب الخزائن .

و إن من يقف على تلك الثروة العلمية من المخطوطات العديدة التي تركها علماء توات رغم الصعوبات وعدم وجود الوسائل في تلك الفترة يتضح جلياً أنهم كانوا في جهاد إنتصروا فيه على كل الصعوبات و المشاق ، و أنهم نشروا العلم في كل ناحية من نواحي إفريقيا – مما كان له الأثر البالغ – في إثراء الثقافة العربية و الإسلامية .في الكثير من مناطق غرب إفريقيا الآهلة بالعلماء و الأدباء حتى جمعت أسماء مشهورين منهم في رسالة الشيخ محمد الحسن القبلاوي ،و في تاريخ الشيخ الحاج محمد بن عبد الكريم البكري فوجدو 97 عالماً منهم المدرس و القاضي و الأديب و المؤلف و الطبيب و المجاهد و بفضلهم إنتشر العلماء في توات و ما حولها من الأصقاع و قد تخرج من مدارسهم و كتاتيبهم الكثير من الفقهاء و حفظه القرآن الذين قاموا بدورهم في نشر الإسلام و تعليمه و تحفيظهم كتاب الله في البوادي و الأرياف .

فقد كان معلموا القرآن من بلدة أقبلي آولف و تيمي و تنجورارين يتوجهون إلى ورقلة و متليلي و ناحية سعيدة و تيارت و غيرها من الجهات كالهقار التي كان بها الشيخ أحمد بن محمد بن الحاج عبد القادر بن محمد بن مالك القلاني فقد علم فيها و استفاد منه الكثير من أهل الهقار حتى أنه كان يعلمهم العقائد الدينية باللغة البربرية ،و كان يجيد حفظ القرآن بكثير من الروايات و له معرفة جيدة لفن التجويد و الأداء [8] و كان بمالي و النيجر و إفريقيا السوداء .

- يعتبر المخطوط وثيقة تاريخية موثوقة شاهدة على مؤلفها ، وزمن تألفيها ،و العصر الذي وجدت فيه .
- يعد المخطوط مصدرا للتاريخ لعصر معين و مبينا لجهود العلماء في ذلك العصر .

---

[1] خزانة سيد احمد العالم، أولف .
[2] نفس المصدر .
[3] خزانة أبا الشيخ أولف .
[4] خزانة سيدي احمد العالم .
[5] خزانة عائلة بالشيخ بتقراف .

[6] عبد الستار آكلو : المخطوط العربي ، جدة ، مكتبة مصباح ، 1989، ص : 287 .
[7] نفس المرجع ، ص : 11 .
[8] محاضرة : لمحات من خلال المخطوطات التي لم تطبع عن علماء و أدباء توات ، للشيخ : الإمام محمد باي بالعالم التي ألقاها في الأسبوع الثاني المنعقد بادرار (13-20 مارس) 1980، ص : 3. 5 .

- يمثل المخطوط إرثا حضارياً يعكس ثراء حضارة أمة في زمن معين و يعبر عن مدى رسوخ قدم علمائها في مختلف الفنون و العلوم .
- تعتبر المخطوطات أحد العوامل التي تسهم في الحفاظ على الهوية الثقافية و الحضارية للأمة ،ولذلك حاول الاستعمار قطع الصلة بين الشعب الجزائري و تراثه عن طريق حرق المخطوطات التي لها صلة بالعربية و الفكر الإسلامي .
- يعتبر الاعتناء بالمخطوطات و تجمعيها في مراكز خاصة يسهل مهمة الباحثين و المؤرخين و يساعد على كتابة التاريخ من مصادره الموثوقة بسهولة و أمانة [1]

تعتبر المخطوطات رصيداً علمياً هاماً ، يظهر مراحل التطور في المجتمع الصحراوي خلال مراحل نشأته من خلال التفكير في تجميع مفكره تربط المجتمع بماضيه و بأسه الحضارية و إذا علمنا أن داخل الخزائن العديدة مجموعات من المخطوطات في مختلف الفنون التي كتبها أسلافنا ، وخاصة بعد قدوم بعض العلماء الذين اشتغلوا بالعلم .

كما أن هجرة بعضهم إلى جهات مختلفة لطلب العلم و أداء فريضة الحج فتحت المجتمع على ثقافات متعددة أدت به إلى تكوين رصيد ثقافي و حضاري تجسد أساساً في مكنونات الخزائن اللغوية و الأدبية و الاجتماعية و العلمية .

- لقد لعبت القوافل التجارية و الرحالة من أبناء المنطقة إلى جهات مختلفة دوراً أساسياً في جلب أعداد كثيرة من المخطوطات ابتداء من القرن العاشر إلى منتصف القرن الثالث عشر ميلادي ، و تتميز مخطوطات هذه المرحلة بقدمها ، و كثرة هوامشها ، و استعمالها للحبر الأسود و الأحمر و الأخضر ،و كتابتها على الورق الصيني ، و تدوينها بالخط الرقعي و النسخي و الكوفي .

جاءت مرحلة النسخ في هذه المرحلة، حيث لم تتوقف عملية جلب المخطوطات من طرف المصادر المشار إليها، بل تخصصت بعض المراكز في عملية النسخ و استعمال الصمغ [2] المحلي الذي يحضر برماد قرن الغزال و الوذحُ و زبل الغزل و عسل و النقير (لب شجر معروف بالمنطقة)، فتحرق الذي تكون عادة الصمغ المحلي الذي يشبه الصمغ الصيني من حيث اللون و الأداء .

وقد امتدت هذه المرحلة من القرن الثالث عشر إلى منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، ثم بعدها ظهرت مرحلة التأليف، و تبدأ في منتصف القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع عشر، حيث اتسعت المخطوطات و ظهرت في مختلف المناطق و خاصة المخطوطات المحلية التي تمتاز بالشمولية لمختلف العلوم و خاصة في علوم القرآن و تفاسيره و شرح خليل و علم النوازل و الفتيا في توات ، و العلوم الأدبية و الشعرية ، كما ظهرت المناظرات و محاورات العلماء التي هي مدونة إلى اليوم .

و تبين قوة و ذكاء المناظرين و درجة التحكم المعرفي التي كانوا عليها في مختلف الفنون و كثرتها .

هذه المراحل أفررت ظاهرة وجود المخطوطات في القصور بتوات تابعة للمدارس القرآنية و المساجد أو تابعة للأشخاص ، حيث نقلت لهم إما عن طريق الإرث و إما عن طريق الشراء .

أما العلم الثالث الذي تطرق إليه المشايخ فهو فن التاريخ والتراجم و الانساب والرحلة ،ومن الذين كتبوا في التاريخ الشيخ محمد الطيب بن عبد الرحيم المشهور بإسم (بن بابا – حيدة) و هو صاحب كتاب (القول البسيط في أخبار تمنطيط)و قد افرده لقصر تمنطيط بصفة خاصة و توات بصفة عامة .

إضافة إلى صنف من المعارف لدى شيوخ المنطقة من أهمها :

- مخطوط غنية المقتصد السائل لجماعة من العلماء منهم الشيخ الحاج البلبالي .
- البرد الموشى في قطع المطاعم و الرشا للشيخ المختار الكنتي .
- كفاية المحتاج بمعرفة ما ليس في الديباج للشيخ أحمد بابا التمبكتي و هو يعرف بالرّمال و به تراجم لعلماء .

و في الأخير، يتضح لنا مما سبق أن:

- أغلب الإسهامات العلمية كانت في العلوم الشرعية و الصوفية من تفسير و قراءات وفقه و نوازل ولاشك أن ذلك يعود بالدرجة الأولى إلى كون القرآن و الحديث يستمد منه السكان كل ألوان تفكيرهم و أنماط حياتهم.

إن العلوم الشرعية ظلت تتميز في هذا العهد بالتقليد و التكرار و الحفظ،فالفقهاء قلماً اجتهدوا و استقلوا بآرائهم بل كانوا يقلدون سابقيهم تقليداً يكاد يكون أعمى بالإضافة إلى الأساس هو العلوم الشرعية منطقة في تدريس المذهب المالكي .

إذ يبدأ دراسته بالمتون المختصرة كابن عاشر و الأخضري و تنتهي بالمختصر الخليلي مما جعل الأفق الفكري أضيق عن استيعاب الخلاف و التعدد في الأفكار و هو ما ساهم بدوره في حاله الجهود الفكري

رغم كل ذلك ساهم هؤلاء الأعلام في الحفاظ على الهوية الثقافية للأمة الإسلامية و يتجلى ذلك في العناصر التالية:

- الحفاظ على خطة القضاء و ما يتبعها من ارتباطات اجتماعية حيث ساهم القضاة في حل كثير من الخلافات الاجتماعية و الأسرية.
- إزكاء المكتبة العلمية بمجموعة من المخطوطات و التأليف المفيدة في مجالات شتى .
- ظهور أسر علمية حملت لواء الثقافية و الدفاع عن الواقع العلمي و محاولة تطويره و الحفاظ عليه.
- بقاء فقه النوازل على اتصال بحياة الناس و مشاكلهم مما يعتبر جانباً حيوياً في الإسهام العلمي لعلماء المنطقة.
- إضافة إلى المساهمة الشرعية للمؤلفات الفقهية فإن لها فائدة في الدراسة التاريخية و الاجتماعية خاصة فقه النوازل لما تضمنته من وصف للحياة السياسة و الاجتماعية و لو درست دراسة متخّصصة و نقدية لخرجنا منها بتصور كامل عن الحياة السياسية و الاجتماعية للمنطقة .

قائمة المصادر و المراجع:

المخطوطات :

---

[1] عبد الكريم عوفي : تراثنا بين الأمس و اليوم ، محاضرة ملقاة بملتقى التراث المنعقد بأدرار ، في نوفمبر 1998 م .

[2] الصمغ المحلي يحضر من الوسائل التالية : قرن الغزال – الوذحُ – زبل الغزل – عسل – النقير .

- التنمطيطي ، سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق – مخطوط درق الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام – خزانة بن عبد الكريم لمطارفة .
- الطاهري احمد – نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن منها من الأولياء الصالحين و العلماء العاملين التقات – مخطوط بخزانة المدرسة الطاهرية بسالي – ادرار .
- الشيخ محمد بن الشيخ المختار الكبير – الطرائف و التلائد (مخطوط).

المصـــادر :

- البرتلي – أبي عبد الله الطالب محمد بن أبي بكر الصديق – فتح الشكور ، تحقيق محمد إبراهيم الكتائي ،محمد حجي ،د.م:د . ن ،د.ت .
- العياشي (ابو سالم محمد) – رحلة العياشي – طبعة فاس الحجرية ،د.ت .
- الوزان (الحسن بن محمد ،ليون الأفريقي)- وصف إفريقيا ،ترجمة عبد الرحمان حميدة – الرياض :د.ن،1399هـ.

المراجـــع :

- إبراهيم محمد عبد الفتاح – حياة الحضارات على أهم أنهار إفريقيا – القاهرة :الشؤون العامة للقوات المسلحة 1967.
- جلال محمد – دراسات في التصوف الإسلامي، شخصيات و مذاهب دار النهضة العربية الطباعة و النشر.د.ت .
- الجلول محمد بن الحسن – الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ج 1 ، المدينة المنورة – المكتبة العلمية 1977.
- عبد الستار آكلو :المخطوط العربي ، جدة ،مكتبة مصباح ، 1989.
- محاضرة :لمحات من خلال المخطوطات التي لم تطبع من علماء و أدباء توات .للشيخ الإمام محمد باي بالعالم 1980.
- عبد الكريم عوفي :تراثنا بين الأمس و اليوم ، محاضرة ، بملتقى التراث ادرار 1998.

مقدمـــة :

لقد كانت منطقة توات في عصور مضت إقليما حضاريا ينجذب إليه كثير من العلماء وطلبة العلم، بحيث شاع فيها التدريس على نطاق واسع وكثر فيها التأليف في شتى صنوف العلم من فقه وتفسير وحديث وفلك وعربية وما إلى ذلك .

وبقيت هذه المصنفات على شكل مخطوطات احتُفظت في كثير من الخزائن المنتشرة عبر كامل هذا القطر، حيث حقق بعضها وأخرج إلى النور وبقي الكثير منها على أصله الأول أو أعيد نسخه دون تحقيق من قبل بعض ملاك هاته المخطوطات، وقد تعرض كثير منها أيضا إلى الإتلاف والضياع.

ونحن نريد من خلال هاته المداخلة استبيان حالة تلك المخطوطات في خزانتي كوسام وملوكة على سبيل المثال وجرد أهم العناوين الموجودة بها مشيرين أيضا إلى بعض جهود أولئك القائمين عليها معرجين على ذكر نبذة موجزة عن حياة المؤسسين الأوائل للخزانتين، وقد اتبعنا في هذا كله خطة وهي:

I- بين يدي التاريخ.
II - خزانتا كوسام وملوكة .
1- كوسام ،
أ - نبذة عن حياة مؤسس الخزانة.
ب- جهود الإمام شاري الطيب.
ج- بين يدي الخزانة.
2- ملوكـــــــة
أ- نبذة عن حياة المؤسس.
ب- بين يدي الخزانة .

I- بين يدي التاريخ :

لم يكن المغرب العربي – وبخاصة المغرب الأوسط- بمنآي عن ما كان يحدث في الأقطار العالمية الأخرى , فقد واكب هو أيضا ركب الحضارة , وكانت أرضه خصبة وكافية لأن يترعرع عليها أشخاص صاروا من بعد علماء , حملوا مشعل العلم وراحوا يبثونه في أرجاء المعمورة وقد كان زمن المرابطين والموحدين والعصور التي أتت من بعد من أزهر العصور وأرقاها , بحيث بدأت تتفتق البذور الثقافية لهذا القطر وبدأت الحضارة على جميع المستويات (الثقافي والسياسي والاجتماعي ...) تؤتي أكلها وتستوي على سوقها وذلك لمجاورتها بلاد الأندلس التي كانت في أوج التقدم والقي ولتوافد الكثير من العلماء من بلاد المشرق إلى المغرب وأيضا للهجرات التي كان يقوم بها المغاربة إلى الأندلس والمشرق بحيث راحوا يكرعون من ذلك العلم الأندلسي والمشرقي وينشرونه في بلاد المغرب

ولم يكن إقليم توات هو أيضا بمعزل عن ما كان يجري في أقاليم المغرب الأوسط , بل كان هناك تواصل مستمر ومد وعطاء

وكما هو معروف فإن إقليم توات لم يتعرض إسلامي وإنما دخله الإسلام عن طريق القوافل التجارية والعلاقات بين الشمال الإفريقي وجنوب الصحراء , وعن طريق أيضا هجرات القبائل المسلمة من شتى الأماكن إلى المنطقة , يقول الدكتور مصطفى أبو ضيف أحمد عمر مبرزا دور القبائل العربية في هذا الإقليم:" ... وسيطرة مختلف القبائل العربية بالمغرب على الطريق الثاني الخاص بواحات الصحراء ففي

الجزء الأول منه سيطر الزواودة على مجالات الزاب ... وما وراءاها من القفارة أشترك معهم بنو عامر لقطعهم الطريق الرملي ونزولهم قليعة أما بالنسبة للجزء الثاني منه فقد ورث عرب المعقل قصور زناتة(1) بالصحراء بعد أن طردوها وفرضوا عليها الإتاوات" (2)

وكانت توات في إطارها الجغرافي تمثل همزة وصل تربط إفريقيا بجنوبها الغربي وكانت الأحداث والحركات تعبر منها إلى ما جاورها

1- زناتة هي قبيلة استوطنت إقليم قورراة

2- مصطفى أبو ضيف:القبائل العربية في المغرب ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 ص 281.

وقد ساعد توات في هذه المهمة عاملان إثنان :

- رسوخها في الإسلام ووحدتها المذهبية (مذهب الإمام مالك)

- ومن جهة أخرى فقد لعبت دورا هاما في المجال التجاري الذي تنتعش به الحياة , كواسطة بين شمال إفريقيا وما وراء الصحراء إذ من خلالها كانت تعبر القوافل التجارية , واحتفظت البيوتات التجارية بشبكة من المراسلين والوسطاء والذين يتاجرون في الذهب مع قبائل السودان.(1)

وإقليم توات كما هو معروف لدى سكان المنطقة يقع بين إقليمين:

-إقليم قورارة في شمال ولاية أدرار

-إقليم تيديكلت في جنوب الولاية

إذن منطقة توات ليست تجمعا سكنيا واحدا وإنما هي عبارة عن قصور عديدة متناثرة و مجتمعة في بعض الأحيان تشكل أرخبيلا صحراويا ممتدا من الشمال إلى الجنوب وهناك بعض القصور التي لاتقع في ذلك الأرخبيل الذي يشكل خطا متصلا .

إن هذا الإقليم الكبير يحتوي على خزائن كثيرة عامة وخاصة بها مخطوطات هامة وقيمة على الغم من أن الكثير منها قد ضاعت لعدة عوامل معروفة لدى الجميع , ومن بين هاته الخزائن على سبيل المثال للحصر : خزانة بني تامر وتمنطيط ووجلان بتسلبيت ومكتبة سيدي حيدة ومكتبة جمعية الأبحاث التاريخية للبلدية أدرار وخزانة بودة وتنيلان وأخرى بمنطقة كوسام وملوكة وهما قصرن اللذان جعلتهما نموذجين للدراسة لإحتوائهما على خزانتين هامتين للمخطوطات ويبلغ عدد المكتبات المتواجدة في إقليم توات حسب إحصاء الأستاذ مبروك مقدم 12 مكتبة على مستوى بلدية أدرار(2)

II - خزانتا كوسام وملوكة :

قبل الحديث عن هاتين الخزانتين لابد من التأكيد على أن ملوكة وكوسام كانتا منطقتين متصلتين ثقافيا واجتماعيا بحيث تشتركان في أغلب العادات والتقاليد وتمتزج فيها العائلات عن طريق المصاهرة ورحلة بعض العائلات من وإلى كوسام وملوكة للإقامة والعيش هناك

1- موريس لومبار : الإسلام في مجده الأول ترجمة إسماعيل العربي ديوان المطبوعات الجامعية 1982 ص 336.

2- مبروك مقدم : المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 بتوات وقورارة وتيديكلت , مخطوط الصفحة 15 .

1- كوسام:

روى لي السيد شاري الطيب الإمام القائم على هذه الخزانة أن كوسام كانت من قبل منطقة تعج بالحركة التجارية والثقافية وكان الناس من مختلف أصنافهم (علماء , طلبة , تجار) يأتون إليها كثيرا ويكفي لتدليل عل تلك الأهمية أنه كان للمنطقة 18 طريقا يوصل إليها

يوجد بكوسام سبعة علماء معروفون ترجع أصولهم لمنطقة ملوكة ومن عائلة واحدة وهم :

- الشيخ سيدي عبد الله البلبالي
- أخوه سيدي أمحمد
- السي محمد عبد الرحمان
- سيدي سالم
- سيدي محمد بن الطالب
- سيدي علي سيدي محمد – مختص في علم الفلك
- السي محمد القاضي

وكلهم درسوا ولقنوا العلم في هذه المنطقة وتوفوا ودفنوا بها وكان هناك أيضا ثلاثة خزائن للمخطوطات لم تبقى منه غلا واحدة وهي التي زرناها

إن هذه الخزانة موجودة في منزل السيد شاري الذي يحاذي المسجد العتيق الخاص بالصلاة والآخر المخصص لتعليم القرءان

ومؤسس هذه الخزانة هو الشيخ سيدي عبد الله البلبالي الذي كان شغوفا بجمع نفائس الكتب والمخطوطات القديمة . وقبل الحديث عما تحتويه هذه الخزانة لابد من وقفة موجزة عن حياة هذا الشيخ المؤسس ، فمن هو سيدي عبد الله البلبالي ؟

I- نبذة عن حياة مؤسس الخزانة :(1)

هو الشيخ سيدي عبد الله بن أحمد الحبيب بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم البلبالي ولد بقرية ملوكة سنة 1250هـ أخذ العلم عن والده سيدي أحمد الحبيب حيث برع رحمه الله في جل العلوم الدينية من فقه وأصول وحديث وقضاء وكان متبحرا في علم القراءات , بل كان متحدثا يشار إليه بالبنان وتضرب إليه آباط الإبل إذ كان يستشيره ويستفسره علماء الصحراء التواتية في حل بعض المسائل الدينية الصعبة

1- مأخوذة من ملصق جداري بالبيت الذي يحتوي على الخزانة – بتصرف.

مارس التدريس مدة طويلة, حيث كان مجلسه مجلس إفادة, يواصل الدرس في سائر فصول السنة

وتولى القضاء منى سنة 1328هـ إلى 1329 هـ وهو أول قاضي في عهد الاستعمار الفرنسي

توفي رحمه الله وبيده سبحة يذكر الله بعد صلاة العصر من يوم الثلاثاء ذو القعدة سنة 1329هـ

ترك خزانة ملآى بالمخطوطات النفيسة المتنوعة التي كان يجمعها من أقاصي الأماكن المختلفة ولكن لم يبق منها إلا عدد قليل سنقف عند بعضه

أ - جهود الإمام شاري الطيب

شاري الحاج الطيب هو إمام من قصر ملوكة يصلي بالناس الصلوات الخمس بالمسجد العتيق ويعلم الصبيان القرءان الكريم بالمسجد المجاور له وهو في أوقات الفراغ أو بين الصلوات يدأب جادا ومتعبا نفسه في دار الخزانة يستقبل الضيوف بنفسه ويقوم بحسن رعايتهم بطيب نفس فلا ترى منه ضجرا ولا تأفف فما أن تجالسه حتى يعطيك من بشر وجهه أكثر مما تجود به يداه فهو بحق قيم على ضيوفه من الباحثين وأساتذة وطلبة يمدهم بالمعلومات الكافية حول الخزانة وبعض من تاريخ المنطقة ويتجول بهم في أرجاء

الدار حيث يريهم المخطوطات الموجودة في الخزانة الباقية على أصلها ةاوالتي أعاد أصلها لقد رأيتها كلها .
إذن مما يذكر لهذا الإمام من الجهود التي يبذلها تجاه الخزانة هو نسخه لمجموعة كبيرة وهامة من
المخطوطات الأصلية لقد رأيتها موضوعة في خزانة خاصة ومرصوفة رصفا محكما , وقد استغرق منه دلك – كما حدثني- وقتا طويلا حتى صار لايجالس الناس إلا قليلا إذ غدا نسخ المخطوطات أنيسه وشغله الشاغل بل إن اللحظات التي كنت أتحدث معه فيها كان بصدد نسخ مخطوط هام واللافت للانتباه أن عملية النسخ تلك حاول السيد شاري أن يجعلها مطابقة للنسخة الأم إذ كان يكتب بالخط المغربي بمداد أسود يتخلله اللون الأحمر لبعض الكلمات والأحرف إلا أن الورق الذي كان يكتب عليه من نوع الورق المقوى المخطط ذي اللون الأصفر وفي بعض الأحيان باللون الأبيض , ونحن نعلم أن هذا النوع من الورق يفرغ المخطوط المنسوخ من جماليته وروعته إذ إن اختيار الورق والمداد وقلم الكتابة من بين الأمور الهامة في عملية النسخ بالإضافة إلى معرفة الناسخ لبعض العلوم وبخاصة العربية التي تعصمه من الوقوع في بعض أخطاء الكتابة وهو مالاحظته عند السيد شاري الطيب في بعض المخطوطات التي نسخها , ولكن هذا لاينقص من قيمة العمل والجهد الذي يبذله إذلاحظت أن النسخ التي كتبها متنوعة وفي شتى العلوم من فقه وفلك وطب ... ثم وضعت تلك الأوراق في حافظات من بلاستيك أبيض حتى تبقى الكتابة في مأمن عن لمسها من قبل القارئ ثم رصفت تلك الحافظات بين دفتين من البلاستيك السميك زيادة في الحفظ والأمان
وبالإضافة إلى هذا كله فإن الإمام القيم على هذه الخزانة يقوم إلى جانب عملية النسخ بإعادة تغليف المخطوطات بالورق السميك وقطع القماش الجيد فتغدو المخطوطة محافظة على شكلها الأول , وهي في الحقيقة عملية متعبة يقوم بها إلا من له نفس طويل وأن يكون أيضا فنانا وله ذوق رفيع وصاحب تقنية عالية في عملية التغليف . وسنذكر قائمة المخطوطات التي أعاد الإمام شاري الطيب نسخها وهي:

-شرح المقنع في علم أبي مقرع
-عمدة الطالبين لفهم ألفاظ المرشد المعين
-الذرة الفاخرة في ذكر ما بتوات من علماء الأشراف والإدرسين والعلويين
-الشيخ العجمي رضي الله عنه ودعاء البخاري
-النقس الغالي والنسق العالي شرح نصيحة أبي العباس الهلالي
-الميراث للشيخ عبد الكريم المغيلي
-تاريخ أنساب مرين (البكريون)
-مختصرة في أنساب أهل تيمي وأعلام المرابطين
-قصيدة الياقوتة لسيدي عبد القادر بن سماحة
-شجرة العائلة البكرية
-إجازة سيدي محمد العالم بن سيد الحاج أبو الأنوار
-نفح الطيب لسيدي المختار الكنتي
-تاريخ علماء المنطقة التواتية وبعض الزوايا
-الرموز للشيخ سيدي محمد بن موسى الكرزازي
-النصيحة الزروقية للعباس سيدي أحمد الزروق
-الجزء الثاني من المقصد المجرد في معرفة الاسم المفرد لابن عطاء الله
-نوازل الجنتوري
-خطبة العيدين الأولى والثانية
-علم الفلك لأبي محمد عمر ابن هارون الصقلي
-السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في أنساب أهل البيت للإمام ابن محمد العشماوي
-التعريف بسيادة أقطاب وزان على سبيل الأقصار وتقيد الشرفاء العلويين
-المجموع لمن هو مولوع وترجمة الإمام مالك لسيدي عبد الحفيظ التنلاني
-الأسماء الإدريسية ومنافعها ومقدمة في التوحيد للشيخ السنوسي والاجوبة المحققة لسيدي محمد بن عبد الرحمان بن عومرالتنلاني
-الجزء الأول من نوادر الجنتوري
-نبذة عن حياة الشيخ محمد بن عبد الكريم وأعماله الدينية والدنيوية
-دعوات قرآنية تقرأ بعد الأحزاب
-نزلة الحلوم لسيدي البكري بن عبد الرحمان
-الطريقة الكرزازية مناقب العزية للشيخ سيدي أحمد بن موسى دفين الزاوية الكرزازية

ب- بين يدي الخزانة :

الخزانة من النوع الحائطي القديم وهي عبارة عن نافذة مصنوعة من خشب ركبت في فوهة الحائط المقعر السميك وبها رفان واحد من خشب والأخر من الطين المصنوع منه الحائط
وقد رتبت المخطوطات فوق الرفوف بشكل عامودي حتى لاتتمزق وتبقى محافظة على أوراقها الرقيقة إذ الترتيب الأفقي ربما يحدث في الأوراق فتق أو كسر وعدد هذه النوافذ الحائطية أربعة تقابل الداخل إلى الدار في القاعة الأولى قبل أن يلج إلى وسطها .
إن عدد المخطوطات الموجودة في تلك الخزانة يبلغ 160 مخطوطا منها 118 في حالة جيدة وفي مختلف العلوم و قد أطلعت على بعضها وتصفحتها برفق حيث لازالت محافظة على شكلها الأول الرائع إذ كتبت بخط جيد ومداد رائع ومنها 42 مخطوطا في حالة متدهورة لم أطلع عليها لكن السيد شاري أخبرني بأن وضعها مقلق للغاية بحيث تآكلت حواشي بعضها وتمزق البعض الأخر وبترت أطراف أخرى , ويعود هذا كله إلى عدة أسباب منها عدم توفر الصيانة العلمية عن طريق المخابر الكيميائية لحفظ المخطوطات وإبقائها على شكلها الأول , والعوامل الطبيعية التي من بينها الأمطار الغزيرة , ثم العوامل البشرية التي تعمل على تمزيقها من قبل المطلعين وهذه بعض العناوين الموجودة في تلك الخزانة :

- كتاب غنية المقتصد السائل فيما حل في توات من القضايا والمسائل للشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان البلبالي – متنوع-
-المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب لأحمد بن عالي بن عبد الرحمن المنجور / يوجد في أخر الإتقان والأحكام شرح تحفة الأحكام.
-كتاب إيضاح المسالك إلى قواعد الإمام أبي عبد الله مالك لأبي العباس أحمد بن يحي بن محمد بن عبد الواحد بن علي الوانشريسي
- كتاب ابن غازي عن الرسالة لأبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحطاب –فقه

- كتاب تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام لإبراهيم بن علي بن فرحون – قضاء-
- كتاب المطلع شرح الياغوجي للشيخ زكرياء الأنصاري الشافعي
- كتاب السنوسية لمحمد بن عمر بن إبراهيم الملالي التلمساني – التوحيد-
- كتاب السنوسية للشيخ الفقيه الوالي الصالح أبي محمد بن يوسف السنوسي
- كتاب القواعد الإسلامية والإيمانية لمحمد بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الملك بن أبي المحلى
- حديث ابن القاسم مع مالك رحمه الله تعالى
- كتاب أربعين حديثا ويليه متن المنبهة في البدع ويليه ابن رشد منشور ويليه دليل ستين عقيدة في التوحيد من القرءان
- مقالة لطلحة بن الزبير
- كتاب شرح بستان فكر المهج في تكميل المنهج للشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد ميارة.
- كتاب الأنوار السنية في الألفاظ السنية لأبن الجوزي الكلبي – العبادات –
- كتاب قطر الندى وبل الصدى لابن هشام الأنصاري –نحو-
- كتاب العقد المنظم للحكام فيما يجري بينهم من العقود والأحكام لأبي القاسم بن سلمون بن عالي بن سلمون الكناني – فقه –
- مسائل لأبي علي حسن بن رحال حاشيته في باب الطلاق تابعا لإبن سلمون- فقه –
- نوازل الإمام البرزالي.
- نوازل السيد إبراهيم بن هلال الفيلالي فدس الله روحه
- رحلة العالم العلامة الشيخ أبي العباس سيد أحمد بن عبد العزيز الهلالي لتوجهه إلى بيت الله الحرام وزيارة قبره عليه الصلاة والسلام ويليه كتاب الأحكام عنوانه المقرب لابن أبي زمين
- مسائل لمحمد الحسن بن سعيد بن عبد الكريم بن محمد بن البكري بن محمد عبد الكريم بن محمد المريني الحسني ثم التواتي على خليل وبعض الأبيات في الوعظ والإرشاد
- الجزء الأول من التصريح بمضمون التوضيح للشيخ خالد الأزهري رضي الله عنه.
- الجزء الثاني من حاشية الإمام الحطاب
- الجزء الخامس والسادس من المعيار المعرب للشيخ الونشريسي
- المصباح في اللغة ويليه السر المغتبط في وقف المخمس الخالي الوسط
- السر المغتبط في وقف المخمس الخالي الوسط لمحمد بن أبي بكر الزجلوي
- كتاب معين الحكام لإبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع الربعي التونسي
- نوازل الإيلاء والظهار واللعان
- كتاب البيوع على خليل, نسخه : محمد بن محمد بن الحاج محمد بن الحسان التواتي
- كتاب فتح المنان المروي بمورد الظمآن لعبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري الأندلسي
- كتاب الأعلام بنوازل الأحكام للقاضي أبي الأصبغ عيسى ابن سهل
- كتاب الجامع الصحيح – حديث –
- كتاب القاموس ورياضة الشموس
- كتاب أبو عثمان ابن الحاجب المالكي في أقسام المياه – فقه –
- مسائل فقهية –فقه –
- شرح على ألفية ابن مالك – نحو –
- كتاب في البيوع – فقه –
- شرح البردة والهمزية ويليه أحكام قضائية
- شرح شواهد الألفية وعلم البلاغة ونوازل أخرى
- كتاب القراءات السبع المتواترة – قراءات –
- شرح الدرديري على خليل – فقه –
- كتاب علم أحكام القضاء للشيخ ميارة – قضاء –
- كتاب العقد المنظم في مايجري على أيديهم من الوثائق والأحكام – قضاء –
- تحفة الحكام على العاصمية للصولي
- وسم المعاصم في شرح تحفة ابن عاصم – قضاء –
- كتاب الرضاع على خليل – فقه –
- الشيخ بهرام على خليل – فقه –
- الدر المصون في إعراب القرءان
- شرح الرسالة للشيخ شمس الذين التتائي – فقه –
- شرح ابن سعيد – فلك –
- ميزان الشعر للشيخ الأديب العروضي أبو القاسم الفتوح عيسى ابن أحمد الصنهاجي – عروض-
- نوازل الحكام للقاضي أبي الوليد هشام بن عبد الله بن هشام الأزدي
- كتاب أبو العباس أحمد بن زيد
- عرائس الأفكار في مدائح المختار صلى الله عليه وسلم
- شرح الزرقاني على خليل – فقه -
- كتاب نظم الفرائد ومبدي الفوائد – علم الأصول-
- عمدة الطالبين لفهم ألفاظ المرشد المعين – فقه -
- المنطق لسيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي
- التحفة العلية في الخطب المنبرية
- حاشية كمال الدين بن أبي شريف على المحلى شارح السبكي
- شرح مقدمة ابن رشد لمحمد دين الله بن محمد التطافي
- قصائد في التوحيد لأبي علي سيد الحاج الحسن الشريف
- كتاب غرر المحاضرة للقاضي عبد الوهاب
- السراج في علم الفلك لسيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني- فلك –
- إيضاح الأسرار والبدائع في قراءة الإمام نافع – التجويد –
- كتاب تحصيل المنافع من كتاب الدرر اللوامع
- تفسير القرءان لابن عطية - مجلدان –
- كتاب في القضاء الشهير بالمكناسي
- فتح الرب المالك على ألفية ابن مالك – نحو –
- الخزرجية وشرحها- ميزان الشعر-
- معارج القلوب والأرواح على مناجاة الفتاح
- شرح ابن عاصم – قضاء –

- شرح لامية الأفعال في الصرف
- كتاب شرح الجزرية في التجويد
- شرح مختصر على الحزب الكبير لأبي الحسن شرح الأشموني ج1 على ألفية ابن مالك ويليه منظومة الشيخ العلامة أبو زيد عبد الرحمان بن صالح المكودي ويليه كتاب الشيخ الإمام العلامة أبو محمد محمود بن أحمد العيني ويليه تلخيص في البلاغة ويليه قصيدة للشيخ الأستاذ أبو إسماعيل الحسن بن عبد الصمد الأصباهاني
- قال الفقيه الإمام الأستاذ العامل بحجة الإسلام زين الذين أبو بكر محمد بن عبد الله الأنصاري الأشبيلي المعروف بالخفاف رحمه الله
- كتاب التلخيص المسمى بالمطول للتفتزاني في نهج البلاغة
- غاية الأماني في أجوبة الشيخ أبي زيد التيلتلاني
- كتاب الجامع المختصر من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

2 - ملـوكــة :

أ- نبذة عن حياة المؤسس :

لقد بدأ تأسيس الخزانة في هذا القصر على يد العالم الجليل الشيخ سيد الحاج محمد بن عبد الرحمان بن عبد القادر بن الحاج محمد بن الشيخ سيد أحمد الفقيه بن أبي زيد المقبور بتفلالت (سجلماسة المغربية)

ذكره صاحب الدرة الفاخرة فقال فيه : لاحت عليه أعلام التوفيق المحب للعلم وأربابه المتفق على تحصيله المستفيد والمفيد كان أحد الأعلام ومن الأئمة المجتهدين في العصر ولقد أختلف في تاريخ ولادته حيث ذكره صاحب الدرة الفاخرة أنه ولد ليلة عرفة سنة 1155ه وذكر صاحب جوهرة المعاني أنه ولد سنة 1144ه وعرفه بقوله : هو من طلعت شمسه دون سحاب على دياجر ذوي الألباب , كان رحمه الله في مقام العلم من الراسخين عند الخاصة والعامة من المكرمين شيخا عارفا مجتهدا ملازما للتدريس والمطالعة تتلمذ على يد الشيخ سيدي أمحمد بن عبد الله الونقالي وأخذ النحو عن العلامة سيدي محمد بن عبد الرحمان بن عمر كانت له العديد من الأشعار ذكرها الحافظ ابن عساكر في كتابه تاريخ دمشق . تولى التدريس والخطابة في جامع أولاد علي بن موسى كما تولى قضاء الجماعة التواتية

من أبز مؤلفاته : كتاب غنية المقتصد السائل فيما حل في توات من القضايا والمسائل وله تآليف كثيرة وجواهر نفيسة توفي بين العشائين ليلة الاثنين 7 جمادي الثانية 1244هـ.

لقد أكمل من بعده ولده الشيخ عبد العزيز الملقب أبو فارس وأضاف إليها العديد من الكتب . هو الشيخ سيدي عبد العزيز بن محمد قال فيه صاحب الدرة الفاخرة : أبو المفاخر العلية والمآثر السنية.

أخذ العلم عن والده وعن الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمان بن عمر التنلاني وكانت ولادته سنة 1190هـ تولى قضاء الجماعة التواتية وتخرج على يده مجموعة العلماء, توفي سنة 1261هـ من أهم مؤلفاته إكمال جمع الغنية وقام بنسخ وشراء وجمع العديد من كتب لتكوين الخزانة

ب - بين يدي الخزانة:

إن خزانة قصر ملوكة لم تكن في جل كتبها مؤلفة من قبل المؤسسين البلباليين وإنما كانت عبارة عن خليط مما ألفوه ومما نسخوه ومما أشتروه أو أهدي لهم وكانت تحتوي هذه الخزانة على حوالي 500 مخطوط ولكنها تعرضت للإتلاف والنهب وعوامل الدهر فأتلف العديد من الكتب الهامة وسرقت وتقلص عدد الكتب إلى حوالي 270 وهو رقم قابل للزيادة أو النقصان لعدم وجود عملية جرد صحيحة لهذه الكتب واختلاط بعضها ببعض ومن أهم هذه المخطوطات نذكر ما يلي :

- تهذيب مسائل المدونة
- التصريح بمضمون التوضيح – نحو –
- كتاب إكمال فتح المقيت في شرح اليواقيت – فلك-
- التيسير والتسهيل في ذكر ما أغفله خليل من أحكام المغارسة والتوليج والتصبير
- شرح خليل للخطاب وآخرون
- أنوار التنزيل – تفسير –
- تراجم التحفة
- الخزرجية في العروض والقوافي
- العيون الغامزة على خبايا الرامزة لمحمد بن أبي بكر بن عمر –في الأحكام والمعاملات-
- القاموس المحيط والقابوس الوسيط لمحمد بن عبد العزيز.وقد جمعه العالم الزجلاوي- في ذكر أخبار أهل الديار والأمصار والعلماء والقصور والعادات والتقاليد –
- إجازة في فكر علماء توات لمحمد بن عبد العزيز
- إتحاف الأحباب من منح الأحباب -في الفلك والنوازل –
- في فن الرسم والضبط في القراءة والكتابة
- المخاطبة بالأشعار لفقيه سيدي محمد بن الحبيب –في الأدب-
- منظومة الإمام محمد بن عاشر للشيخ محمد ميارة
- منازل الغنية للشيخ عبد العزيز البلبالي –في الفقه والأحكام والمعاملات –
- تحفة الأحكام لمحمد بن محمد قاضي غرناطة – في الفقه والمعاملات -.
- نوازل المعيار في فتوى علماء إفريقيا والأندلس للونشريسي .
- تبصرة الحكام في أصول الفقه ومناهج الأحكام للعالم ابن أبا
- الورقات الكبيرة للشيخ جلال الدين – فقه –
- لباب الألباب في بيان ما تضمنته أبواب الكتاب للشيخ عبد الله محمد بن عبد الله بن راشد
- مسائل الأحباس لأحمد بابا التمبكتاوي
- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج لأحمد بابا التمبكتاوي
- حاشية للشيخ خليل لأحمد التمبكتاوي
- اللماع في الإشارة لحكم التباع لأحمد التمبكتاوي – قضاء -
- عيون المذاهب
- السنوسية في علم التوحيد
- لامية الزقاقة للشيخ بن عبد السلام البناتي –قضاء-
- نور الشهاب شرح تسهيل الصعاب – ميراث –
- وهن الأكسان في الامتثال والأحكام في الذبائح
- الترغيب في غض البصر والترهيب من إطلاقه للشيخ عبد العظيم المنذري

- صفحات من كتاب تبيين أنواع المواثيق وكيفيتها مثل(شهادة السماع وثيقة التسفيه, وثيقة الترشيد, الوصية , الهبة, الحوز, التقويم , الدعوة)
- شرح البخاري للقسطلاني
- النكث للسيوطي
- التعليق للشيخ عبد الرحمان بن عومر بن أحمد بن يوسف – السيرة-
- الدرة الفائقة في ذكر سيد الخالقة للسيد مسعود بن محمد
- روضة النسرين للشيخ بن أبا
- الجامع الصغير في حديث البشير النذير
- منهج البادية في الأسانية العالمية لعبد الله بن محمد بن عبد القادر الفارسي
- الخزين في تفسير القرءان
- الدرة الفارسية في حل الألفاظ السقراطية
- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل للشيخ عبد الكريم الجيلي
- تحفة اللبيب في جمع الطرر المعلقة على شرح ابن النجيب تحقيق الحاج بن عبد الرحمن البلبالي
- الغنية البلبالية للحاج عبد الرحمن الملوكي البلبالي وهي في القضاء والفقه وقد نسخت سنة 1244 هـ وقد بدئت بقصيدة تحتوي على 84 بيتا للشيخ يوسف بن عبد الحفيظ البلبالي يرثي بها شيوخه الثلاثة يقول في مطلعها :

انس نديمك بالصبابة وانشد بعد المدام قريضك المتجود

إلى أن يقول :

فاعشوشبت وتناصرت وتناظرت حتى كأن الطير تأخذ باليد

- شرح التلمسانية- في الميراث
- كتاب القواعد الإسلامية لمحمد بن عمر
- شرح الزر قاني على خليل
- شرح الزجلاوي على مختصر خليل
- إيضاح الأسرار
- رحلة الشيخ عمر بن إدريس التنلاني إلى ثغر الجزائر
- كتاب عرائس الأزهار للحلبي

قائمة المراجع:

- مصطفى أبو ضيف:القبائل العربية في المغرب ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982 ص
- موريس لومبار : الإسلام في مجده الأول ترجمة إسماعيل العربي ديوان المطبوعات الجامعية 1982
- مبروك مقدم : المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 بتوات وقورارة وتيديكلت

• الأستاذ: حاج أحمد الصديق
• المحور: واقع التراث المخطوط في الخزائن التواتية
• عنوان المداخلة: المخطوطات التاريخية بالخزائن التواتية وأهميتها في كتابة تاريخ المنطقة
• الجامعة: جامعة أدرار –قسم اللغة العربية-

الشمال والجنوب , وذلك راجع لكونها معبراً استراتيجياً للقوافل التجارية, ومواكب الحجيج القاصدين لبيت الله الحرام , ولا غرابة إذا قلنا أن تلك القوافل قد أثّرت وتأثّرت بإقليم توات سياسيا، واجتماعيا، وثقافيا، واقتصاديا،

ويعترف السواد الأعظم من المؤرخين والباحثين من أن هذه المزيّة التي تبوأتها توات في عصرها الوسيط وما بعده، مكنتها من أن تلعب أدوارا حضارية وعلمية، ألقت بظلالها على المناطق المجاورة.

فلقد عَرف الإقليم التواتي من منتصف القرن 09 هـ إلى نهاية القرن 11هـ انتعاشا ملموسا، وبعثا مذكورا، مهّد السبيل للعصور التي تلت من بعده، ولاسيما القرن الثاني عشر، والثالث عشر للهجرة .

هذه الفترة التي عرفت تكاثرا غزيرا للإعلام، ونشطت بها الحركة العلمية والفكرية بالإقليم، حتى غدا مزار، ومحج طلاب العلم من كافة الأصقاع, والحواضر الإسلامية.

ومن النتائج التي تمخضت عن تلك الحركة العلمية والفكرية التي عرفتها توات في تاريخها الحضاري، وجود كم هائل من المخطوطات التاريخية، التي ترقد قلقة في رفوف الخزائن التواتية،وقصد استنطاق هذه المخطوطات النفيسة،والتعريف بها، ومظان وجودها،ومد الجسور بينها وبين الباحثين والدارسين المتعطشين لمثل هذه المصادر،التي تعد مرجعا هاما في كتابة تاريخ هذه المنطقة،التي سكت عنها المؤرخين،حينا من الدهر.

ومن خلال اهتمامنا بتاريخ المنطقة،والمتمثل أساسا في جهدنا المتواضع،والمتمثل في تأليفنا لكتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن11هـ إلى القرن14هـ،والذي نشر وطبع سنة2003،بعناية ورعاية مديرية الثقافة لولاية أدرار،هذا فضلا على اشتغالنا الأكاديمي،وذلك من خلال رسالتنا للماجستير،حول أحد دراسة وتحقيق مخطوطة محلية،ومما ننبري عليه حاليا في إطار إعداد أطروحتنا للدكتوراه،حول موضوع الدراسات اللغوية بتوات،قلت فإن هذا الاهتمام العام بتاريخ المنطقة،والاشتغال الأكاديمي الخاص بهذه المنطقة،مكننا من رصد العديد من المخطوطات المحلية،التي يعوّل عليها لأن تسهم إسهاما كبيرا في محاولة كتابة تاريخ المنطقة.

فقد حاولت من خلال الرحلة المسحية التي قمت بها إلى أغلب الخزائن التواتية،بداية من منطقة قورارة86،حيث خزائن أولاد سعيد87،وخزانة زاوية بدريان88،وخزانةجنتور89،وخزانة المطارفة90.

أما بناحية توات الوسطى 91،فقد مسحنا المخطوطات الموجودة بخزائن ملوكة وكوسام وبني تامر92،وخزانة بودة93،وخزائن زاوية سيد البكري وتمنطيط94،وخزانة باعبد الله95،وخزانة زاجلو وأنزجمير96،وخزانة زاوية كنتة97،وخزانة زاوية الشيخ المغيلي98.

أما خزائن تدكلت99،فقد وقفنا فيها على خزائن ساهل100،وخزانة زاوية سيدي أمحمد بن أبي نعامة101.

وبداية يمكن تلمّس تضاريس المخطوطات التواتية،التي لها علاقة بتاريخ المنطقة،وذلك بمحاولة تصنيفها وفق الفنون،وهذا التقسيم هو كالتالي:

1)- مخطوطات التراجم.

2)- المخطوطات التاريخية البحثية.

3)- مخطوطات النوازل.

4)-مخطوطات الرحلات.

5)- مخطوطات التقاييد،وفهرسة المرويات،والإجازات،والرسائل الإخوانية،والوصايا،والمراسلات،والخطب.

أولا: مخطوطات التراجم:

*المخطوط الأول:الدرة الفاخرة في ذكر المشائخ التواتية- للشيخ عمر بن عبد القادر المهداوي التنلاني102،وهو مخطوط بخزانة الوليد بن الوليد بقصر باعبد الله،تيمي،ولاية أدرار.

وتكمن أهمية هذا المخطوط في أنه يترجم لعدد كبير من العلماء التواتيين.

---

86 -تقع منطقة قورارة(تيميمون)، في الجهة الشمالية لإقليم توات،يحدها من الشمال ولاية البيض،ومن الجنوب توات الوسطى.

87 -تقع أولاد أسعيد في الجهة الشمالية الغربية من قورارة،وتبتعد عن تيميمون المركز بحوالي31كلم.

88 -تقع الزاوية البدريانية في الجهة الشمنالية من تيميمون المركز،وتبتعد عنها بحوالي10كلم.

89 -تقع جنتور في الناحية الجنوبية الغربية مكن تيميمون،وتبتعد عنها بحوالي67كلم.

90 -تقع في الناحية الجنوبية من تيميمون،وتبتعد عن مقر الولاية بحوالي99كلم.

91 -هي المنطقة الممتدة من تسابيت إلى رقان.

92 -هذه المخطوطات والخزائن ملك للعائلة البلبالية.

93 -هذه الخزانة ملك للعائلة الجعفرية ببودة.

94 -هذه الخزائن ملك للعائلة البكرية.

95 -هذه الخزانة ملك للوليد.

96 -هذه الخزائن مللك للعائلة الزجلاوية.

97 -هذه الخزانة ملك للعائلة الكنتاوية.

98 -هذه الخزانة ملك لأحفاد الإمام المغيلي.

99 -وهي المنطقة التي تسمى حاليا بأولف.

100 -وهذه الخزائن ملك للعائلة الفلانية.

101 -وهي ملك للعائلة العقباوية الهاملية الكنتاوية.

102 -من علماء مهدية التنلانيين،يسرجع لترجمته في كتاب التاريخ الثقافي لإقليم توات-للأستاذ حاج أحمد الصديق،وفي كتاب النبذة للشيخ عبد الحميد بكراوي،وكتاب سلسلة النواة للشيخ مولاي التهامي غيتاوي.

* المخطوط الثاني: جوهرة المعاني فيما ثبت لدى من علماء الألف الثاني-للشيخ محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنطيطي103،يوجد هذا المخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط،وأهمية هذا المخطوط تتمثل في ترجمته لكم هائل من علماء توات.

* المخطوط الثالث: الكواكب البرية في الشجرة البكرية- للشيخ محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنطيطي،يوجد هذا المخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط، وأهميته أنه يختص بالترجمة للعلماء البكراويين فقط.

*المخطوط الرابع: تراجم علماء الدغامشة وقورارة- للشيخالحاج بن عبد الكبير المطارفي،والمخطوط موجود بخزانة المطارفة،وأهميته تكمن في أنه يترجم لنفر ليس بالقليل من علماء الدغامشة وقورارة.

*المخطوط الخامس: الدرة البهية في الشجرة البكرية- للشيخ محمد العالم البكراوي التواتي المنيعي،والمخطوط موجود بخزانة المؤلف بالمنيعة،ويهتم هذا المخطوط أساسا بعلماء العائلة البكراوية.

* المخطوط السادس: السيف البتار في أخبارأولاد سيد المختار ومن جاورهم من كناتة الأخيار- للشيخ البكاي الكنتي،والمخطوط موجود بخزانة الشيخ الحاج أمحمد الكنتي بزاوية كنتة،وأهمية المخطوط تتمثل في أنه يهتم بتراجم علماء العائلة الكنتية.

ثانيا: المخطوطات التاريخية:

* المخطوط الأول: نقل الرواة عمن أبدع قصور توات- للشيخ محمد بن عمر بن محمدج بن أحمد الحبيب بن محمد بن المبروك البوداوي الجعفري، والمخطوط موجود بخزانة العائلة الجعفرية بزاوية سيدي حيدة ببودة،وأهمية المخطوط تتمثل في كونه يسرد الروايات التي قيلت عن تاريخ توات،محاولا تقريب الرأي فيها.

* المخطوط الثاني: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام- للشيخ محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنطيطي،والمخطوط موجود بالخزانة البكراوية بتمنطيط،وهو كتاب تاريخي عام عن منطقة توات.

* المخطوط الثالث: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات- للشيخ مولاي أحمد الإدريسي الطاهري السالي،والمخطوط موجود بخزانة الشاري الطيب بكوسام،وتتمثل أهمية المخطوط في أنه يرصد الأراء والروايات التي قيلت حول تاريخ توات.

* المخطوط الرابع: الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين- للشيخ العتيق بن سعد الدين السوقي،والمخطوط موجود بحوزة الباحث،وللمخطوط أهمية كبيرة في التأريخ للقبائل التي سكنت الصحراء.

*المخطوط الخامس: الطرائف والتلائد في مناقب الوالدة والوالد- للشيخ محمد بن سيد المختار الكنتي،والمخطوط موجود بخزانة الشيخ الحاج أمحمد الكنتي الرقادي،وأهمية المخطوط تتمثل في كونه يهتم بتاريخ العائلة المنتية.

ثالثا: مخطوطات النوازل

* المخطوط الأول: نوازل الغنية البلبالية المسمى" بغية المقتصد السائل حول ما حلّ بتوات من المسائل"، والمخطوط موجود بخزانة ملوكة، ويعتبر هذا المخطوط النوازلي من أهم مخطوطات النوازل،بحكم أن تلك النوازل تؤرخ للمنطقة بطريقة غير مباشرة.

* المخطوط الثاني: نوازل الزجلاوي- للشيخ محمد بلعالم الزجلاوي،والمخطوط موجود بخزانة الشاري الطيب.

*المخطوط الثالث: نوازل الجنتوري- للشيخ عبد الرحمان الجنتوري،والمخطوط موجود بخزانة الزاوية البدريانية.

رابعا: الرّحلات المخطوطة

* المخطوط الأول: رحلة عبد الرحمان بن عمر التنلاني- وتوجد هذه المخطوطة بالخزانة البكراوية بتمنطيط.

* المخطوط الثاني: رحلة عبد الله بن أحمد الفلاني-وتوجد منها نسخة بخزانة سليماني علي بأدغا.

* المخطوط الثالث: رحلة عبد الكريم بن أمحمد بن أبي محمد التواتي التمنطيطي، والتي سمّاها" تحفة المجتاز إلى معالم الحجاز"، والرحلة موجودة بالخزانة البكرية بتمنطيط.

خامسا: مخطوطات التقاييد، وفهرسة المرويات،والإجازات،والرسائل الإخوانية،والوصايا، والخطب.

وهذا النوع من المخطوطات له أهمية بالغة في تدوين تاريخ المنطقة.

---

103 -اشتغل بالقضاء والتأليف،ينظر ترجمته في التاريخ الثقافي لإقليم توات،والنبذة،وسلسلة النواة.

• الأستاذة: شابي سعاد
• المحور: واقع التراث المخطوط في الخزائن التواتية
• عنوان المداخلة: دراسة وصفية لخزانة أبا عبد الله أدرار
• الجامعة: جامعة أدرار –قسم اللغة العربية-

التراث اصطلاحا: هو:" ما خلفه السلف من آثار علمية وفنية وأدبية مما يعتبر نفيسا بالنسبة لتقاليد العصر الحاضر وروحه" (1)

للباحثين والدارسين مواقف من التراث العربي، فقد تعددت الآراء وتضاربت المواقف منتجة ثلاثة روافد نقدية، فالأول يمثله أصحاب الموقف الكلاسيكي الذين فضلوا التراث، ذلك لأن دراستنا للتراث تعني الوفاء للذات ولأن عنصري الأصالة والتراث يقومان في مظهرهما الإنساني في عامل السبق والإبداع لأسس الحضارة ومنطلقاتها (2)

وأما الرافد الثاني فيمثله أنصار الدراسات الغربية الحديثة الذين يرفضون كل قديم، وحجتهم في ذلك أن في ذلك أن ما أنتجته الحضارة العربية في مجال الدراسات اللغوية لا يزيد عن كونه عملا تقنيا منطلقه وغايته نظام اللغة العربية في ذاتها لا غير (3)

وأما الموقف الثالث فتمثله طائفة تحاول التوفيق بين ما هو عربي قديم وبين ما هو غربي حديث وذلك بإعادة قراءة الموروث العربي ثم وصله بأساسيات الاستحداث إستجابة لروح العصر المتميز بالرخاء الحضاري والفكر العلمي، حيث:" كان هدف العودة إلى الماضي مرهون بتحقيق شرعية الحاضر وليس شرعية الماضي" (4)

فالحاضر لا يتقدم إلا بالرجوع إلى الماضي، لذا فإن التجديد في التراث مهمة الجميع، ومن هنا تكون رؤية الحاضر في صيرورة تتفاعل في داخلها منجزات الماضي وممكنات المستقبل (5)

وإنه من الواجب الإقرار بأن التراث العربي هو نتيجة جهد جماعي*، ثم عبر عصور مختلفة لا في حقبة زمنية واحدة حيث كان لكل عالم طريقته في الدراسة وتحليل الظواهر اللغوية، موضوع الدراسة، كما أنه من المؤسف أن نتهم القدامى بالضعف المنهجي في دراساتهم حيث لا يمكننا مقارنة ما أنتجوه بما بدأه أسلافنا من أبحاث، ثم من المنصف الاهتمام بتراثنا العربي لأنه لا وجود لجديد من العدم وإنما دائما الانطلاق من القديم أن كل جديد لا يغني عن قديم، ولا عيب في اختيار ما يتلاءم مع خصائص لغتنا من مناهج حديثة، أي غربية، ذلك لأن إعادة قراءتنا للتراث العربي تجعلنا نكتشف أمورا كان لعلمائنا السبق في اكتشافها.

والمخطوط العربي هو أحد مكونات تراثنا العربي،فالاهتمام به والحفاظ عليه يعني الحفاظ على الهوية القومية بمختلف أبعادها، وإن متاحف المخطوطات والخزائن والمكتبات سواء الخاصة أو الجامعية تمثل أوعية للمخطوطات، وما يتميز به المخطوط عن باقي المؤلفات الأخرى أن الحصول عليه صعب نظرا لندرته ولقيمته العلمية والفنية والتاريخية، وأن المخطوطات التي تعود للقرون الأولى لم يبق منها إلا نماذج قليلة جدا.

تعريف المخطوط العربي:

في الحقيقة أن هناك عدة تعريفات للمخطوط، فهو:(...جميع المواد التي كتبت باليد على الألواح الطينية والأحجار، ويشمل ذلك مخطوطات العصور الوسطى، وعصر النهضة وكذلك المخطوطات الحديثة كالمخطوطات الأدبية والتاريخية....) (6)

والمخطوط هو الكتاب الذي كتب بخط باليد خلافا للكتاب المطبوع بواسطة الآلة، والكتب لا توجد في أمة من الأمم إلا إذا تحققت لها عناصر ثلاثة: مواد يكتب عليها، وأدوات يكتب بها وأشخاص يعرفون الكتابة (7) ، فهذا التعريف يتضمن أجزاء والمكونات الضرورية لإنجاز المخطوط، وهي: المادة والكتابة والخطاط.

كما جاء المخطوط بمعنى:(كتاب كتب بخط اليد لتمييزه عن الخطاب أو الورقة أو أي وثيقة أخرى كتبت بخط اليد، خاصة تلك الكتب التي كتبت قبل عصر الطباعة) (8)

والتراث العربي المخطوط هو:" ما وصل إلينا من مؤلفات ومصنفات مكتوبة بخط مؤلفها، أو بخط أحد النساخ قبل عصر الطباعة، وفي مقابل ذلك الكتب المطبوعة التي أخرجتها آلات الطباعة في العصر الحديث" (9)

فنلاحظ من خلال هذه التعريفات أن مفهوم المخطوط تارة يتسع ليشمل كل ما كتب باليد، وهذا يشمل الرسائل والنقوش على الحجر والرسومات على القماش، ويضيق المفهوم تارة أخرى ليشمل الكتاب المخطوط بخط عربي سواء أكان في شكل لفائف أو في شكل صحف ضم بعضها إلى بعض على هيئة دفاتر أو كراريس، والمفهوم الثاني هو الشائع.

نشأة وتطور المخطوط:

إن معظم الدراسات تذكر أن نشأة المخطوط ترتبط أساسا بمرحلة ظهور الإسلام وبخاصة بكتابة المصاحف، فقد كان القرآن الكريم أول مخطوط عربي بالمفهوم الدقيق لكلمة مخطوط، وام تكن الكتابات العربية قبله سوى نقوش ونصوص قصيرة لا تتجاوز أسطرا معدودات.

ومن ثم اتسعت دائرة التأليف والكتابة وبالتالي ازدهار المخطوط العربي، وقد عرف ذلك تطورا كبيرا خلال القرنين الأول والثاني الهجريين، وخاصة بعد ظهور مادة الكاغد التي أخذها العرب عن الصينيين أثناء احتكاكهم بهم في مدينة سمرقند .

المخطوط في خزانة أبا عبد الله:

إن منطقة توات ضاربة في أعماق التاريخ، ويرجع عمارتها إلى ما قبل التاريخ، وكانت تسمى الصحراء القبلية (10)، توافد إليها الكثير من العلماء، وكانت تمثل نقطة التقاء وتواصل بين الشعوب المجاورة، وهذا انعكس إيجابا على الحياة الثقافية داخل المنطقة استفاد منه علماء المنطقة وأودعوا كل ما أنتجوه من مخطوطات في دور وخزائن خاصة، ومن خلال عملية إحصاء لجمعية الأبحاث والدراسات التاريخية بولاية أدرار والذي شمل تسعة وعشرين خزانة، تبين أن هناك إثنتي عشر مخطوطا تم إحصاؤها منها ثلاثة آلاف مخطوط مفهرسة فقط(10) .

***التعريف بمؤسسها الأول (11):**

العلامة محمد بن الوليد: هو سيدي محمد الملقب بالحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن منصور بن بلقاسم بن عبد الكريم بن أحمد بن يوسف التنلاني.

ولد سنة 1865م بقصر باعبد الله، درس القرآن والفقه والنحو والتوحيد وعلم الحديث، كان فقيها وعمل قاضيا بوجلان بلدية تسابيت.

بحث في كل فن من فنون العلم، وتخرج على يده الكثير من الفقهاء، كما كانت له عدة اتصالات بعلماء زمانه، توفي سنة 1940م.

من مؤلفاته: غنية المريد لشرح مسائل بن الوليد على شرح مختصر خليل، الكبس في علم الفلك وفتاوى مختلفة.

***ترجمة للوليد بن الوليد (12):**

ولد سيدي الوليد بن الوليد بن محمد المحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد التنلاني بقصر باعبد الله أولاد أوشن عام 1925م، درس القرآن وأخذ مبادئ الفقه واللغة العربية، اشتغل إماما، وكاتبا في البلدية، اشتغل معلما بالمدرسة الابتدائية، وبعد تقاعده تفرغ إلى خزانته، للاعتناء بدراسة المخطوطات، وتحقيقها وإعادة نسخها في سجلات وفهرستها.

قام الوليد بفهرسة وترتيب خزانته، جمع مصادر لتأليف كتابه " قرة الأعيان في ذكر علماء تنلان" الذي لم يتم طبته، كما أن للوؤرخ ديوان شعري كبير ومتنوع في الشعر الملحون، ومخطوطات في الأنساب وشجيرات لأعيان وعلماء المنطقة.

***تأسيس المكتبة ومحتويات الخزينة (13):**

أثناء اشتغاله بالتدريس في أولاد أنقال وباعبد الله والمنصور في أولاد أحمد كان الشيخ مهتما باقتناء الكتب في مختلف الفنون مثل التوحيد والفقه والنحو والتاريخ والأصول، منها نسخه بيده ومنها ما اشتراه ولا تزال محفوظة إلى يومنا.

تضم الخزانة ميراثا فقهيا مخطوطا متنوعا في شرح القرآن والحديث، مثل شراح خليل وغيره، وأشهر العناوين الفقهية غنية المريد لشرح مسائل بن الوليد لصاحب الخزانة، ومختصر خليل منسوخ وغيره.

وفي اللغة: قاموس المحيط وكتاب المصباح المنير لصاحبه محمد بن يعقوب بن محمد الفيروزي 1140هـ، وفي الطب كتاب الرحمة في الطب والحكمة والطب العربي لابن سينا.

وفي التصوف والتوحيد كتاب: كرامات الأولياء مخطوط لمحمد بن الوليد ومناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني.

وفي التاريخ: كتاب تاريخ علماء توات لابن وليد الحاج وليد.

وفي القضاء: الغنية البلبالية للحاج محمد عبد الرحمن البلبالي وابنه سيدي عبد العزيز وفتاوى ونوازل لعلماء توات أمثال: الجنتوري والزجلاوي والتنيلاني، كما يحتوي على مرسومات تقسيم مياه الفقاقير وزمامات البيع والشراء.

وقد انفردت هذه الخزانة بأنساب قصور بلدية تيمي قديما وأرشيف عرش تيمي الذي يضم سجلات الولادة والوفيات منذ سنة 952.

1- الخزانة:

توجد بقصر باعبد الله بأولاد أوشن بجنوب الولاية بحوالي كيلومترين، ومقرها بيت صاحبها عبد القادر بن الوليد.

2- رصيد المكتبة:

تحتوي المكتبة على أزيد من مائة وخمسين مخطوطا، فقد تواصل الاهتمام بالخطوط في مكتبة أبا عبد الله أبا عن جد.

3- التصنيف:

الخزانة مصنفة من طرف صاحبها عبد القادر بن الوليد، حيث قسمها إلى خمس خزائن للحفظ تتراوح كل خزانة من أربعة إلى خمسة رفوف، بالإضافة إلى وجود مكتبة خاصة بصاحبها تثمينا للخزانة.

هذا التقسيم كان حسب موضوعات:

- تأليف علماء توات وقرارة
- شراح مختصر خليل (في الفقه)
- في علوم اللغة

* ما يلاحظ أن معظم المخطوطات في الموضوعات الفقهية، فمن المخطوطات الموجودة نذكر:

- جواهر الدرر في حل ألفاظ المختصر
- الحطاب على خليل
- ألفية ابن مالك
- الصحيح البخاري
- الطب والحكمة للسيوطي
- لامية الأفعال لابن مالك
- العكبري في إعراب القرآن الكريم
- شرح بردة البصيري
- قصائد الحلبي في مدح الرسول

* ومما لاحظته على الخزانة: وجود أيضا رسائل خاصة بالأملاك والعقود وهي أيضا من المخطوط.

* كما تتضمن الخزانة بعض الأرشيف الخاص لبعض الوثائق والتقييدات حول أنساب بعض عائلات المنطقة

التواتية.

* وجود دفتر خاص بحساب مياه الفقارة.

* ويعود أقدم مخطوط في الخزانة إلى القرن التاسع الهجري، مثل مؤلفات الماغيلي: كأسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي/ منهج الوهاب في رد الفكر إلى الصواب/ الرد على المعتزلة/ المفروض في علم الفروض.

4- الفهرسة:

الفهرسة عملية تهدف إلى تقديم وصف علمي ومادي للأوعية المكتبية المختلفة، كالكتب والمخطوطات....والفهرسة أيضا (عملية تحديد المسؤولية من وجود مادة مكتبية معينة أو مصدر للمعلومات، وبيان الملامح المادية والفكرية له، وإعداد السجلات الخاصة بذلك وترتيبها وفق نظام معين) (14)

والهدف من الفهرسة تسهيل الوصول إلى المعلومات التي يريدها القارئ والباحث، كما أنه لا يوجد فهرسة خاصة بالمخطوط في البلاد العربية، حيث (يتفاوت حجم البيانات التي تقدمها لنا فهارس المخطوطات العربية كما تتفاوت طريقة ترتيبها حتى أننا لا نكاد نجد نمطا متفقا عليه في طريقة سرد البيانات أو في حجم البيانات نفسها) (15).

وقد خضعت مجموعة مخطوطات مكتبة أبا عبد الله لتجارب الفهرسة التابعة لبرنامج** البحر الأبيض المتوسط، ولمخابر المخطوطات في الجزائر ابتداءا من 1999م.

كما تلقى المشرف على الخزينة بن الوليد عدة تربصات حول حفظ وصيانة المخطوطات.

5- الملامح المادية لمخطوطات مكتبة أبا عبد الله:

أ- صفحة العنوان:

معظم المخطوطات جاء فيها ذكر العنوان , أما عناوين الفصول فنادرة .

فالعنوان يرد في الصفحة الأولى بعد البسملة و الصلاة على رسول الله الكريم و التعريف بنسب المؤلف، ثم يأتي ذكر العنوان مثل في قوله (سمية كذا.....)

ب- الهوامش:

فالحواشي هي المساحات البيضاء الفارغة التي تحيط بالنص من جهاته الأربع، فيها يقوم المؤلف بإعادة تصحيح أخطاء، أو تسجيل ما قد نسيه أثناء الكتابة وقد تمثل إضافات وتعليقات، وما لاحظناه في مخطوطات مكتبة أبا عبد الله أن بعضها نجد الأوراق مملوءة عن آخرها أي من جهات الأربع النص وذلك حسب التكلفة الإقتصادية للورق.

ج- الخاتمة:

عاد ما يختم المؤلف مخطوطه بذكر تاريخ الإنتهاء من تأليف وذلك كقوله مثلا:

كان الفراغ منه صيحة وذلك بذكر التاريخ أي اليوم والشهر السنة وتكتب على شكل هرم أومثلث مقلوب.

أما مسطرة المخطوط : فتختلف من صفحة لأخرى وذلك على حسب عدد الأسطر الموجودة في الصفحة الواحدة، هذا عن حجم الصفحات فتختلف من مخطوط لآخر و أشهر القياسات:

طول/عرض: 32سم/22 سم ، 29سم/14سم ،27/سم/19سم، 23سم/22سم ، 1سم/14.5 سم ، 19سم /13سم، 10سم /10سم .

6- الملامح الفنية:

أ- التجليد: نسبة 5% تقريبا أما ما تبقى منها فهي عادية بدون غلاف .

الزخرفة :قليلة فمعظم المخطوطات جاءت بدون زخرفة نظرا لارتباطاتها بالجوانب الفقهية و الدينية.

ب- الرسومات الأشكال: نادرة، موجودة إلا في مخطوطات الفلك والطب.

ج- الألوان: الكتابة في إطار مربع، الحبر معظمه بالأسود، مع وجود اللون الأحمر في العناوين في قلة من المخطوطات في مثل، القاموس المحيط للفيروز أبادي الذي نسخ سنة 1140هـ في جزأين.

7- مميزات المخطوطات و المكتبة:

- معظمها فيها اسم المؤلف و التاسع.
- في معظمها محققة.
- بعض المخطوطات بدون بداية ولا نهاية أي غياب الصفحات الأولى والأخيرة، نظرا لعوامل طبيعية وإنسانية .
- كما أن المخطوطات محفوظة في ظروف و بطريقة جيدة .
- تتضمن الخزانة سجلا ذهبيا يضم أسماء الشخصيات التي زارت الخزانة و بنظرة إجمالية نجد أهم الأسماء:
- الشيخ بوعلقة (باحث في التراث)
- عبد الرحمان شيبان (وزير سابق)
- د. عبد المجيد مزيان (وزير سابق)
- الأخضر السائحي (شاعر) إضافة إلى شخصيات عربية منحصرة بالخصوص نال صاحب الخزانة عدة شهادات محلية ووطنية على تعاونه وحرصه على الخزينة .

* الهوامش:

1- مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، 1993، ص93.

2- د. محمد عباس: المقدمة، ص08.

3- عبد السلام المسدي: التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط2، 1986، ص24.

3- عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، مجلة عالم المعرفة، العدد 272، أوت 2001،

4- مطابع الوطن

5- بالكويت، ص175.

5- صالح بلعيد: تجربتي في تدريس التراث النحوي، مقال مجلة الخطاب، يصدرها معهد الآداب واللغة العربية، جامعة مولود معمري، تزيوزو، العدد 01، 1996، ص52.

*-جماعي لا أقصد بها عمل مشترك بين جماعة، وإنما هو مجموع أعمال فردية.

6- Thompson,Lawrence...Manuscript in :encyclopedia of library and information science, new york: marcel dekker, 1968, vol 17, p118.

7- عبد الستار الحلوجي: المخطوط العربي، مكتبة مصباح، جدة، 1989، ص21.

8- أحمد محمد الشامي وسيد حسب الله، المعجم الموسوعي لمصطلحات المكتبات والمعلومات، دار المريخ، الرياض، 1988، ص704.

9- عبد الله عبد الرحيم عسيلان: تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد، الرياض، 1994، ص39.

10- أ. أحمد أبا الصافي جعفري: رجال في الذاكرة، محمد بن أب المزمري، دار الكتاب العبي، ط1، 2004، ص 27.
11- من إعداد الأستاذ بن الوليد عبد القادر، صاحب الخزينة.
12- نفسه.
13- نفسه.
14- مراد كريم: المخطوط العربي في مكتبة الدكتور أحمد عروة الجامعية الواقع والآفاق، مقال بمجلة دراسات أدبية وإنسانية بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع3، 2004، ص 187.
15- سيد أيمن فؤاد: الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ج2، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 1997،ص 533.

**- بطاقات جاهزة بها اسم الناسخ، المؤلف، المقياس، العنوان، الحبر، اللون، عدد الصفحات....وكل ما يتعلق بالمخطوط، تملأ لتسهيل طريقة البحث.

- الأستاذ: بن خويا ادريس
- المحور: واقع التراث المخطوط في الخزائن التواتية
- عنوان المداخلة: خزانة مولاي سليمان بن علي والمخطوطات المتواجدة بها – دراسة وصفية-
- الجامعة: جامعة أدرار –قسم اللغة العربية-

مقدمة:

نحمده سبحانه وتعالى حمدا جليلا يليق بعظمته، لا نحصي ثناء [illegible] وهو على كل شيء قدير.

ونُصلي ونسلم على سيدنا محمد؛ الرحمة المهداة، وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد؛

إنه لمن دواعي السرور ونحن في هذا اليوم المبارك أن أسلط الضوء ضمن هذا الملتقى على إحدى خزائن المخطوطات الواقعة ضمن زوايا منطقة توات، والتي تعتبر أول زاوية أنشأت بها، مبرزا مؤسسها والظروف التي دعت إلى ذلك التأسيس، مرورا بمراحل حياته، وتاريخ نشأة تلك الزاوية؛ ألا وهي زاوية الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي- ت- الملقّب بـ"سلطان تيمي". الذي يعتبر أحد أقطاب منطقة توات، وأحد العلماء العاملين الأوائل الذين حلوا بالمنطقة التي كانت له بها أحداث وآثار سجلها التاريخ في ذاكرته وصلنا منها ما سمح به الدهر، وقد شهد له التاريخ بالسبق في تأسيس الزاويا بالمنطقة.

مولاي سليمان بن علي في سطور:

نسبه:

أبو داود سليمان "الملقب بـ أوشن" بن مولاي علي الشريف بن أعمر بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أحمد بن علي بن محمد بن سعيد بن عبد الرحمان بن عيسى بن أبي القاسم بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبطي بن سيدنا علي بن السيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وُلد حوالي سنة 549 هجرية الموافق لـ: 1154 ميلادية.

سبب مجيئه إلى أرض توات:

كان عالمنا سليمان بن علي من تلامذة الشيخ سيدي علي بن حرزهم دفين فاس النجباء المقبولين لديه الراضين عنه، وحدث أنه لما كان يقرأ عليه بعض دروسه حضر جماعة وطلبوا من الشيخ المدرس الحضور إليهم فاستخلف تلميذه سيدي سليمان لتدريس الطلبة صباحا، فلما انتهى من تدريس الطلبة أمره شيخه بالحضور للبيت لتناول الطعام، وبعد الانتهاء من تناول الطعام قال الشيخ لتلميذه: يا سليمان فحلان لا يهدآن في مراح، فانطلق إلى مكان عبادة أهله كلهم عباد؛ وهو قطر توات فقال له: توات بها أناس مساكين ولا طاقة لي بالزاد المبلغ إليها، فخرج الشيخ وتلميذه إلى مكان يسمى باب الكيزة بفاس المحروسة، وأعطى الشيخ تلميذه ما يحتاج من الزاد الموصل إليها، بعد ذلك سافر إلى عالمنا إلى غزوان؛ وهي مقر سكناه لزيارة والده مولاي علي فوجد معه إخوته وهم: السيد أبو بكر، والسيد موسى، والسيد محمد وبينما هو في منزله وردت رسائل إلى والده من مختلف جهات المنطقة تريد أحد أولاده للتبرك بآل الرسول صلى الله عليه وسلم فبعث الوالد أكبر أولاده أبابكر إلى تافيلات، ووجه السيد محمد إلى سوس بالمغرب وأمر السيد سليمان بالتوجه إلى توات وقال له: سمعاً وطاعةً فإن توات راحة لكل أحد.

أوصى الأب ابنه أن يحفر بئراً بكل مكان مرّ به، ويعيد إليه ترابه حتى إذا كان المكان الذي يستوعب ترابه فهو مكان إقامته.

وخرج السيد مولاي سليمان من غزوان بعد صلاة الجمعة شهر رجب عام 580هـ حوالي 1185م إلى أن وصل إلى قرية عريان الرأس بمنطقة تسابيت، فاستقبله هناك رجال من توات وقورارة وأكرموه، ثم انتقل إلى بن طلحة ففرحوا وحفروا البئر فزاد تراب البئر على الحفرة ثم ارتحل إلى قصر العوينات -أسبع حالياً-، ثم جدد المسير إلى قرية مقصودة الله ونزل بها ومنها تحول إلى بلدة تنيلان، وكان ذلك حوالي سنة 591هـ الموافق لـ 1195م، فأكرمه أهلها وزاد التراب على الحفرة، ثم توجه إلى منطقة تيمي ونزل بقرية أولاد عمور وحفر البئر، فكذلك استوى التراب مع البئر وقال أن هذا المكان هو أرض البركة وكان الاستقرار بها ودعا لتيمي بدعوات بقي بأولاد عمور إلى سنة 593هـ الموافق لـ 1197م.

تزوج مولاي سليمان بنت الشيخ أعمر وبقيت معه إلى سنة 595هـ؛ حيث أنجب منها ولدا سماه عيسى أكبر أولاده ثم ارتحل إلى أولاد أوشن سنة 594هـ فأقام بها وأسس زاوية للعلم وأهل السبيل وحفر فقارة أجدلاون وغرس أشجار النخيل المثمرة وسقاها من ينابيع هذه الفقارة.

كما أنه كان حاملا لراية العلم الظاهر والباطن، وكان يُعلّم القرآن للراغبين وعبادة الرحمان للمريدين، فأقبلت عليه الطلبة من أراض شاسعة، فكانت زاويته متكاملة عامرة بطلاب العلم وطلاب المائدة فخضعت له النفوس الأبية وأقبل على الأخذ مما منحه الله خلق كثير، واستمر على هذه الحال إلى أن ارتحل إلى جوار ربه سنة 670هـ حوالي 1271م وقبره معروف يزار له بأولاد أوشن[1].

ذريته: وهم على التوالي:

السيد علي، والسيد عيسى، والسيد عبد الحق، والسيد عبد الله، والسيد عبد الصمد، والسيدة ستي التي توفيت في حياته مقبورة ببلدة أولاد عيسى وجعل زاوية لكل واحد من أولاده وسمى الزاوي باسم أحد أبنائه.

فالسيد عيسى أنزله بجانبه إلى أن عجز، فتحول إلى زاوية أولاد أوشن بعد خروجه من أولاد أعمر.

وأما السيد عبد الله القائل في وعظه: لا ألِدُ للتراب ولا أبني للخراب، وهو مقبور بإمدري بقصر باعبد الله.

وأما مولاي علي فسكن عند أولاد مطاع المعروفة بأولاد علي حالياً، وأما مولاي عبد الحق فبقي بأولاد أوشن وبقي كل واحد في زاويته، وأما السيد عبد الصمد خرج صغيرا إلى أرض السودان وذريته بأرض التكرور.

وللولي الصالح سيدي مولاي سليمان كرامات عديدة ومشهودة منها جفاف الماء من السبخة بعدما كانت تقطع بالقوارب.

ويقول فيه عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التينيلاني : "وكان ذو منزلة عظيمة في النفوس، ومن كبار المشايخ صاحب الآيات والكرامات، وقبره أحد المزارات، واستمرت الولاية في أولاده، وكان للناس اعتقاد في تعظيمه، وكان مع صلاحه فيه فضيلة"[2].

تاريخ نشأة الزاوية:

وقبل الخوض في تسليط الضوء على هذه الزاوية وتقديمها للقارئ الكريم، يتوجب علي أن أعرف مفهوم مصطلح زاوية حتى يتسنى للقارئ معرفة مضامين الزاوية والأسس التي ترتكز عليها.

الزوايا في المفهوم اللغوي هي جمع زاوية مشتقة من زوى؛ أي جمع لأن فيها تجتمع الضيوف والفقراء وطلبة العلم، ويجمع المال بالطرق لمشروعة لتمويلها وتسيير نُظُمها.

أما من حيث المفهوم الاصطلاحي فهي مؤسسة دينية روحية، اجتماعية وإسلامية[3].

إن جل المخطوطات التي وقفنا عندها تؤكد السبق للولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي- τ- في تأسيس الزوايا بمنطقة توات، وأول زاوية أنشأت للعلم، وإذا كانت هناك زوايا أخرى أسست قبله بالمنطقة فلم تُعرف، ولم نجد لها أي ذكر أو أثر يدلان على ذلك.

وبالتالي، فإنّ زاوية مولاي سليمان بن علي أول زاوية أسست على المبادئ التي ذكرها الرسول ρ ؛ أي في معنى الحديث، إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث؛ ولد صالح يدعو له، وعلم ينتفع به، وصدقة جارية.

ويرجع تأسيسها إلى القرن السادس للهجرة (6هـ). وبذلك، فإن مولاي سليمان بن علي بدأ تدريسه وتعليمه للطلبة القرآن الكريم قبل وضعه الحجر الأساس لهذه الزاوية بداية من سنة 581هـ، إلى أن وضع الحجر الأساس، أو الانطلاقة الفعلية لتشييدها سنة 593هـ بقصر أولاد أوشن-أدرار.

وأما عن حُبس الزاوية، فيقول بنفسه: "كما حبس الديار والقصر، وأماكن الطلبة وجميع المرافق التي تحت أيدينا على الزاوية لوجه الله العظيم، وعلى أولادي عبد الحق، وعلي، وعيسى، وعبد الصمد، وعبد الله وليس لهم سوى القوت والمسكن واللباس، وأريد والله يريد ويفعل ما يريد أن لا ألقى ربي وكل واحد من أبنائي له زاوية والله على ما أقول شهيدا"[4].

وفتحت أبواب الزاوية لتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، والفقه، وإطعام الطعام، وإيواء الضيوف[5].

ويمكن القول، إن زاوية مولاي سليمان بن علي هي زاوية جمعت بين تغذية الروح وتغذية الجسد. وتعتبر مقرا للعلم والتعليم، ومكان للعبادة والتصوف، فرحم الله من رجل علم الناس أمور دينهم، ونفع الطلاب والمتمدرسين.

وقد تميزت زاويته بكثرة الانفاق والإطعام للفقراء والمعوذين، فضلا عن قوافل الحجاج التي كانت تقصد زاويته لراحة والتخفيف، ورغبة في معرفة الكثير عن مسائل الحج وفتاويه.

ومما زاد أهمية وفضلا هو احتواؤها على مكتبة تنوعت عناوينها، وتعددت محتوياتها، فكان فيها العديد من الكتب الفقهية والنحوية، وغير ذلك من الطب والفقه والحساب[6].

وهناك قصيدة مدح في سيدنا سليمان بن علي لسيدي البكري بن عبد الرحمان التينيلاني [7]، وهي:

سيدي سليمان نجل علي وفسيل ابن حرزهم في الطريقة
فُقت مجداً وسؤدداً وكمالاً وسلوكاً شريعة وحقيقة
قد حللت توات كالبدر يسري تهزِمُ الظلمات منه الشريقة
ومَلَكت أزمّة العِزّ والتصريف فيها مع الصّفات الأنيقة
وَبَسطتَ يديكَ بالجود تُعطي كلّ ذي أمال ثيابا صفيقة
ومنحتَ الزوار كلّ مرامٍ دُوحَهُ سُرَّ بالغصون الوريقة
وهدَيْتَ من الخلائق جمّاً للهُدى بعد هونهم بسحِيقة
مثل سَيّدي الأحسنيّ[8] فأضحى بالولاية ذِكرُه في الخليقة
بعد ما كان في حضيض انقطاع فارتقى بعدُ في المراقي الشريقة
وعلى قبرك المعظّم نورٌ ظاهرٌ لذوي الفُهوم الدقيقة

حُرمَـة عظَّم الإلـه حِمـاهَا مَالَها فـي كـثـيـرها مـن شـقـيقة
كُـلّ مَـن لَـمْ يكـن لـه أدبٌ في حـوزِها فـصَمَ الإلـهُ وثـيـقـة
سَنَد المستغيـثُ كُـن لي غِيـاثا في عويض الخُطـوب تَضحـي طليـقة
أنت حامي الدِّمـارَ حاشـاكَ رُكني أن أكـونَ مِن الـجُـمُـوع الغَـرِيقـة
في حِمـاك الضعيـفُ مادِح معنـاكَ البُـكَـيْـرُ[9] الفـقـير حالِكُ فـيـقَـة
ضَانَـهُ الله مِـن شيـاطين جِـنّ مـع إنـسٍ بـنـيـرَات عَـتـيـقـة

المخطوطات المتواجدة بزاوية مولاي سليمان بن علي[10]:

إنّ زاوية مولاي سليمان بن علي تحتوي على كم هائل من المخطوطات، ونظرا لتشتتها بين أحفاده لم يصلنا منها إلى القليل، وهو ما وجدته مجموعا ضمن خزانة سميت باسم الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي.

مفهوم المخطوط:

إن جل التعريفات التي وقفت عليها عند مفهوم المخطوط وجدت أنه هو ما خط باليد أو رقم بالآلة ومضى على تدوينه خمسون عاما فأكثر سواء نشر فيما بعد أم لم ينشر وسواء أكان في مكتبة رسمية أو خاصة أو لدى الهيئات أو شخص بعينه[11].

موقع الخزانة:

تقع خزانة الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي بقصر أدغا – جنوب ولاية أدرار التي تبعد عن الولاية بثلاثة كيلومترات تقريبا، ومقرها هو منزل الأستاذ: سليماني علي؛ الذي يعتبر المؤسس الأول لها والمشرف عليها إل غاية اليوم. وهو من أحفاد الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي.

كما يمكن أن نعتبر أن المخطوطات المتواجدة بها –تقريبا- جُمعت من أحفاد الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي عن طريق الوراثة.

حالة المخطوط بالخزانة:

وعند إطلاعنا على تلك المخطوطات وجدنا أن كلها تحتوي على عناوين مع أسماء مؤلفيها، فقط أن البعض منها يحتاج إلى صيانة ووضع الأغلفة عليها حتى لا تخضع للضياع والتلف، وخصوصا أن المشرف على الخزانة –جزاه الله عنا كل خير- يبذل جهدا كبيرا من أجل المحافظة عليها بتغليفها وفهرستها، وإعادة كتابة المخطوط باليد إذا كان في حالة غير جيدة، وغير صالح للقراءة، وذلك دون تأثير على محتواه العلمي.

وهناك من الخطوطات مكتوبة بالورق الصغير، والبعض منها مكتوب بالحجم المتداول والمتعارف عليها، مع اختلاف في نوعية الخط، ولونه مابين الأحمر والأسود.

فهرس المخطوطات بالخزانة:

إن المهمة التي يقوم بها صاحب الخزانة من أجل المحافظة عليه هو تدوين البيانات الوصفية عن المخطوط بذكر عنوانه وموضوعه ومؤلفه، والعصر الذي عاش فيه ومسطرته وعدد أوراقه وناسخه والمعلومات الأخرى المثبتة عليه من تملك ووقف وبيان حالته المادية وما يحتوي عليه من ميزات فنية، وذلك بتدوينه في سجل خاص بالخزانة.

مميزات الخزانة:

إن من مميزات الخزانة هو أنها الوحيدة –على ماأعتقد- على مستوى الولاية أنها تملك أقدم مخطوط للقرآن الكريم أو أقدم نسخة ترجع إلى عهد عثمابن بن عفان –رضي الله عنه-.

عدد الخطوطات بالخزانة:

حيث تصل عدد المخطوطات بها إلى أزيد من 200 مخطوط. اشتملت على مجموعة من العلوم، منها: علوم اللغة، الفقه، علوم القرآن، الرحلات، السير والتراجم، الطب، وعلم الفلك.....

ومن عناوين هذه المخطوطات نجد:

- أدوية؛ لعبد الرحمان بن محمد بن مسعود الفارسي.
- تفصيل القرآن الكريم؛ محمد بن المحفوظ بن محمد الوشاني.
- شرح كلمة الإخلاص؛ محمد الصافي بن البركة.
- علم الفلك هدية السالك إلى الربع الكامل؛ بدر الدين المارديني.
- الفتح المغتبط في شرح المغتبط؛ محمد بن أبي التواتي.
- تحفة الأحباب في هيئات النبات والأعشاب؛ الإمام أبي الحسن.
- نيل المراد في كيفية عقد ألوان المزاد؛ الصافي بن البركة.
- رحلة سيدي عبد الرحمان بن عومر.
- رحلة عبد القادر بن عمر المهداوي.
- رحلة أحمد بن هاشم.
- رحلة عبد الله الفلاني لعبد الله الفلاني.
- قصيدة في مدح الرسول ρ؛ محمد البكري بن عبد الرحمان بن الطيب.
- الطرائف والتلائد؛ سيدي المختار الكنتي.
- غاية الأماني في أجوبة إلى زيد التنلاني؛ محمد عبد الكريم البلبالي.
- نقل الروات فيمن أبدع قصور توات؛ محمد بن عومر بن محمد البوداوي.
- شجرة أنساب آل البيت؛ محمد علي السنوسي.
- نازلة فقهية؛ عبد الرحمان عمر التواتي.

- نازلة فقهية؛ محمد بن محمود نغيع.
- المحن والشدائد بتوات؛ عبد الرحمان الأدغاغي.
- حاشية شرح الرسالة؛ الأجهوي المالكي.
- قصيدة التداوي من العمى؛ عبد العزيز بن سعيد الشاطبي.
- شرح مثلث قطرب؛ محمد بن أب الزموري.
- أرجوزة في علم النحو؛ عبد الرحمان المالقي.
- كيفية استخراج حروف الفاتحة؛ محمد الطيب بن الحاج المكي.
- شرف الطالب إلى أسنى المطالب؛ أبو العباس بن الخطيب القسنطيني.
- كشف الأسرار عن حروف الغبار؛ علي بن محمد القلصادي.
- شرح العبقري؛ محمد بن أب المزمري.
- رد على اعتراض السيد محمد بن محمد العالم الزجلاوي في مسائل الحبوس؛ محمد بن عبد الرحمان بن عومر التنلاني.
- إتمام المقتبس في ثبوت التحبيس؛ محمد بن عبد الرحمان بن عومر التنلاني.
- رفع الحجاب وكشف النقاب في ثبوت التحبيس؛ محمد بن عبد الرحمان بن عومر التنلاني.
- مرثية الغرناطي بعد سقوط الأندلس؛ الشريف الغرناطي.
- تعليق على شرح الأربعين الإدريسية؛ أحمد زروق...

ولذلك، فإن هذه الزاوي هي متواجدة لحد الساعة داخل قصر أولاد أوشن الذي يتواجد به ضريح الولي الصالح سيدي مولاي سليمان بن علي، وتقام له الزيارة سنويا بتاريخ 16 ماي، وتأتيه الوفود من كل منطقة للتبرك به.

رحمه الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جنانه، ورزقنا وأنفعنا وأياكم بعلمه وجعلنا من المحبين لعباده الصالحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

الهوامش:

[1] - درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق، مخطوط بخزانة سيدي أحمد بن ديدي (تمنطيط)، وينظر كذلك في نسبه وحياته إلى زهرة الأخبار في تعريف أنساب آل بيت النبي المختار، للعلامة المدقق والمحقق أبي عبد الله أحمد بن المقري التلمساني(مخطوط)، وأنساب الشرفاء لأبي بكر بن محمد السيوطي (مخطوط).

[2] - الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، عبد القادر بن عمر بن عبد الرحمان التينيلاني المهداوي (مخطوط بخزانة الوليد بن الوليد).

[3] - أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة، الشيخ محمد باي بالعالم، ص01، محاضرة ألقيت بالملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار، 1-2-3 ماي 2000.

[4] - نسخة من مخطوط نُقلت على يد شاهدها علي نفسه أحمد بن أعلي أحمد، ومحمد المهدي بن محمد عبد الرحمان الوشاني، وبه محمد السالم بن محمد الطيب الوشاني، في آخر من ربيع الأول من سنة ثلاثة وخمسين وألف 1053هـ.

[5] - النسخة نفسها.

[6] - ينظر في النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن 09 إلى القرن 14هـ، عبد الحميد بكري، ص 74-75.

[7] - نسخة مخطوطة موجودة بخزانة باعبد الله-أدرار، لصاحبها الوليد بن الوليد-رحمة الله عليه-.

8- كان ضالا عن الطريق، فهداه مولاي سليمان بن علي إلى الطريق المستقيم.

9- نسبة إلى ناظمها.

10- متواجدة بخزانة أدغا- أدرار، لصاحبها سليماني علي.

11- من موقع http://213.136.192.26/2001jaz/aug/26/wo5.htm

المداخلة في هرميتها المعرفية والعلمية ،عبارة عن قراءة لغوية متواضعة في واحد من المخطوطات اللغوية التي حفظها لنا التاريخ التواتي ،لأننا نؤمن وبحقيقة لايرقى إليها الشك ،وهي أن المخطوط ظل وما زال يشكل جانبا لايستهان به في رسم جوانب مضيئة من حياتنا المعرفية بتقاطعاتها المختلفة سواء كانت لغوية أو أدبية أوتاريخية أو غيرها من المعارف التي استطاع المخطوط أن يرفدها ،وهو مايؤكد أصالة الفكر الإنساني عبر حقب زمنية متفاوتة.

وحتى نستطيع اسيتفاء عناصر الموضوع المراد طرقه ،سنحاول تجزئته منهجياً إلى عناصر مختلفة

لأننا إزاء أحد المخطوطات اللغوية ،أي مخطوط نيل المراد من لامية ابن المجراد ،والذي يمس أحد مستويات اللغة العربية في جانبها التركيبي ،أو ما يعرف عند النحاة واللغويين بنحو الجملة.

من أجل ذلك سنحاول الوقوف عند شارح المنظومة بالدراسة والتحليل ثم نعرج على صاحب المنظومة ،لنقف بعد ذلك عند بعض المسائل اللغوية التي تناولها الناظم وفصّلها الشّارح،مستلهمين من كل ذلك منهج ابن أبّ في شرح المسائل اللغوية التي جاءت في المجرادية.

- أولا: شارح منظومة نيل المراد:

شارح هذا المخطوط هو أبو عبد الله محمد بن أُبّ بن أحمد بن عثمان بن أبي بكر الزّمّوري أو المَزمّري نسباً ،ولد سنة 1094هـ ،بقرية أولاد الحاج ،وهي بلدة قريبة من بلدية تمقطن دائرة أولف ،وبأولاد الحاج تلقى مباديء علومه الأولى.

وعن نسبه يقول محمد بن عبد الكريم البكري :« السيد محمد بن أُبّ بضم الهمزة هكذا ضبطه الزموري نسبة إلى زمورة ،من أرض البرابر،المخزومي القرشي»[1].

وبعد أن تلقى علومه الأولى كما أشرنا سلفاً ،انتقل محمد بن أب إلى قصر زاوية كنته ،واتصل بالشيخ الفقيه عمر بن مصطفى الرقادي ومكث طويلاً ،ثم سافر إلى مدينة تمنطيط قبلة العلماء والمتعلمين إذ درّس بها طويلاً ، وكان الشيخ الزموري كثير الأسفار

والرحلات طلبا للعلم والمعرفة فزار مدنا عديدة إذ انتقل الشيخ بين فاس وسجلماسة بالمغرب الأقصى ،وبين مالي وتمبكتو وأروان بأرض السودان الإفريقي.

ولقد كان نتاج هذا العالم كثيراً وفي مختلف صنوف المعارف من فقهية ولغوية بالدرجة الأولى،ومن بين ما خلّف لنا هذا العالم نذكر على سبيل المثال لا الحصر بعضها:

1 - قصيدة في فكّ البحور ألّفها سنة 1116هـ بدأها بقوله :

بدأتُ بحمد الله ربّ مصلياً على الهادي أحمد الرضا علم الهدى
وأصحابه والأكرمين وآله وبعد فخذ فـكّ البحور على الولا

2 - أرجوزة في علم العروض ألّفها سنة 1121هـ وسماها روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف والعلل ،وقال في مقدمتها :

قال عبيد ربه محتسـبا محمـد المزمري نسباً
الحمد لله الذي قد مـهدا لنا عروض دينه وأرشدا
ثم على البحر السريع الفيض للمبتغي جدواه دون غيض

3 - أرجوزة في علم الكلام ،قال في مقدمتها :

حمداً لمن في ملكه توحّـدا وجلّ عن تعضيل من قد جحدا
ثم صلاة الواحد الحي الصمد على الرسول المصطفى بلا أمد

4 - روضة النسرين في مسائل التمرين الواردة في شافية ابن الحاجب،وهي أرجوزة في التصريف ،من جملة مايقول فيها:

الحمد لله الخبير الملهم من شاء للتعليم والتـعلم
ثم على نبيه أصلـي والآل والأصحاب أهل الفضل
وبعد فاعلم أن هذا نظم يروق كل من لديه فـهم
سميته بروضة النسرين بجمعه مسائل التمـرين

5 - نيل المراد من لامية ابن المجـراد،وهو شرح على لامية ابن المجراد،وهو موضوع مداخلتنا.

وفي ظهر يوم الاثنين العاشر من جمادى الأخير سنة ألف ومائة وستين هجرية 1160هـ ،ألقى شيخنا محمد بن أبّ الزموري عصا التيسار ،ودفن بمدينة تيميمون ،بمقبرة سيدي عثمان رحمة الله عليه.

- ثانياً: صاحب النظم أو اللامية:

أما ناظم هذه اللامية ،فيبدو أن كتب التراجم والتاريخ قد سكتت عن ذكر تاريخ ولادة المجرادي ومكانها ،ويبدو أن شهرته بهذه اللامية جعلت المؤرخين لايقفون عند ترجمته ،فأغلب الكتب تذكر له اسم «ابن المجراد »أو« المجرادي» أو« المجراد» ،ولا تشير إلى سبب تسميته بهذا الاسم .

فلقد ذكر الدكتور اميل بديع يعقوب في كتاب المعجم المفصل في اللغويين العرب ،أنه« محمد بن محمد بن محمد أبو عبد الله السلاوي الشهير بالمجرادي كان ماهراً بالنحو واللغة من أهل سلا بجوار الرباط ».[2]

أما كارل بروكلمان ،فيذكر في تاريخ الأدب أنه « أبو عبد الله عبد الرحمن محمد بن محمد بن عمران الفنزاري السلاوي المجرادي المتوفى سنة 819هـ في سلا[2] .

ومن جملة ما خلّف لنا المجرادي من نتاج علمي ومعرفي ،يذكر له صاحب المعجم المفصّل في اللغويين العرب كتاباً واحداً ومنظومة واحدة.

أما الكتاب فعنوانه ايضاح الأسرار والبدائع وتهذيب الغرر والمنافع في شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع ،وهو شرح لمنظومة ابن بري .

والعمل الآخر الذي خلّفه لنا المجرادي ،والذي نحن بصدده ،فهو منظومة عنوانها القصيدة المجرادية في إعراب الجمل ،أو منظومة قواعد الإعراب.

ولقيمتها العلمية والتعليمية ،اقبل العلماء عليها شرحاً وتوضيحا للوقوف عند فوائدها النحوية التي تمس نحو الجملة ولذلك كثرت شروحها ،ومن بينها:

1 - شرح لعلي بن أحمد الجزولي الرسموكي ،ت 1049هـ وسمى شرحه مبرز القواعد النحوية من القصيدة المجرادية ،وعليه حاشية لمحمد المهدي بن الوزان.

2 - شرح لأبي عبد الله محمد بن أحمد ميارة اعتمادا على شرح الحسن بن محمد الدرعي .

3 - شرح لمحمد بن أبّ المزمّري ت 1160هـ سماه نيل المراد من لامية ابن المجراد.

- ثالثاً: بعض المسائل اللغوية في اللامية المجرادية:

يبدو أن الميل إلى تأليف المنظومات النحوية أو الصرفّية سببه في المقام الأول تعليمي ديداكتيكي لأن هذه المنظومات تجعل المتعلم أوالدارس يأتي على أغلب الجوانب التي يتخصص فيها ،فيسهل عليه حفظها واستيعابها.

لكن الاكتفاء بحفظ هذه المنظومات غير كاف للدارس ، لأن بعض المسائل تحتاج إلى من يفك عويصها و يشرح ما يستغلق من أوابدها.

والمنظومة التي نحن بإزاءها ،هي منظومة نحوية تقع في واحد وسبعين بيتاً ،عرض ناظمها مسائل في النحو تقع أساساً في باب نحو الجملة.

يفتتح المجرادي لاميته بحمد الله والثناء بما هو أهل له إذ يقول :

حمـدت إلهي ثم صليت أولاً على سيّد الرسل الكرام ذوي العلا

محمد المبعوث للخلق رحمة وأصحابه طرّاً أولي الفضل والعلا

ثم أشار إلى موضوع منظومته وأنها تفيد في مسائل النحو وأنها تنحو الغرض التعليمي إذ يقول:

وبعد فهاك نبذة من قواعـد تفيدك إعراباً فحصّله تفضلا
وذلك حكم الظرف والجملتين مع بيان الذي قد جرّ حيث تنزلا

وبعد ذلك عرض في فصل إلى تعريف الجملة ،وانقسامها إلى فعلية واسمية ،إذ يقول :

ومثل أتى زيد والحق واضح أو إن قام زيد جملة قد تمثلا
كلاماً تسمى إنْ أفادت وجملة وإلاّ فتسمى جملة قط فاعقلا

ثم نفذ المجرادي إلى موضوع الجمل التي لامحل لها من الإعراب ،فعدد أنواعها في سبعة عشر بيتاً ومما يقول في ذلك :

وإنْ في ابتداء القول جاءتك جملة كأنّا فتحنا أو غلامك أقْبَلاَ

وبعد أن أفاض في الجمل التي لامحل لها من الإعراب ،نفذ إلى الجمل التي لها محل من الإعراب ،إذ استهلها بقوله :

وإنْ وقعت حالاً فنصب محلها وإنْ تأت مفعولاً كذلك اجْعَلاَ
كزيد أبوه راجل وغلامــه مقيم وسبع عدّهـا متجملا

ثم بعد أن يستفيض في مسائل نحو الجملة وما يتعلق بها ،يختتم الشيخ المجرادي لاميته قائلاً:

وقد كمل المقصـود مما أردته فـــلله ربي الحمد دائما أصّلاَ
وبعد على خير النبيين أحمد صلاة تعم الأفق طيباً ومـــندلاَ
وأزواجه والآل طرّاً وصحبه أولي الفضل والإحسان والمجد والعلا

ـ ثالثاً : منهج ابن أُبّ في شرح اللامية:

إن قيمة اللامية المجرادية في عرضها للمسائل المتعلقة بالنحو ،جعلت الدارسين يقبلون عليها شرحا وتناولاً ،وهو ما أومأنا إليه سلفاً ،ودفع الشيخ المزمّري أن يفرد لها كتابا يشرحها أطلق عليه اسم نيل المراد من لامية ابن المجراد .

أما منهج ابن أُبّ في شرح اللامية المجرادية ، فإننا نلفيه يتعقب مفردات اللامية واحدة واحدة ،ويستوفيها شرحاً وتفصيلاً ويعززها بالشواهد القرآنية والشعرية وغيرها .

ولكون المنظومة التي يشرحها نحوية فإننا نجده في مقدمة كتابه يقدم بأسلوب نحوي خالص ،تأمله وهو يقول:« نحمدك يا من منحنا من علم العربية جملة كبرى، ونصلى على نبيك محمد الذي نصبته لفعل كل دنيا وأخرى ،وعلى آله وصحبه ومن أخذ من كل جار ومجرور إلى المحجة الغرا »[3]

وعلى العموم ،فإن قيمة هذا المخطوط نيل المراد في تناول مسائل الجملة في اللغة العربية ،يجعل منه يكتسي قيمة علمية ولغوية ،تحتاج إلىأن تفرد لها دراسة علمية أكادمية[4] ،تأتي على أهم جوانبه المختلفة.

*هوامش المداخلة:

1 ـ جوهرة المعاني في التعريف بعلماء القرن الثاني ،محمد بن عبد الكريم البكري، الورقة رقم 15 .

2 ـ المعجم المفصل في اللغويين العرب ،ج2/ص219.

3 ـ مخطوط نيل المراد من لامية ابن المجراد ،الورقة الأولى.

4 ـ تجدر الإشارة إلى جهود وحدة البحث، بقسم اللغة والأدب العربي نحو تحقيق مخطوط نيل المراد من لامية ابن المجراد .